سياحة في العهد الجديد

تعليقات على بعض أمثال ومعجزات ولقاءات السيد المسيح

مكاريوس
الأسقف العام

إيبارشية المنيا وأبوقرقاص
للأقباط الأرثوذكس

سياحة
فى العهد الجديد

تعليقات على بعض أمثال
ومعجزات ولقاءات السيد المسيح

إعداد :
مكاريوس
الأسقف العام

اسـم الكتـاب: سيَاحَةً في العهد الجديد
(تعليقات عَلى بَعْض أمثال وَمعجزات وَلقاءات السيّد المسيح)
المؤلـف: الأنبا مكاريوس، الأسقف العام.
الناشـر: إيبارشية المنيا وأبو قرقاص للأقباط الأرثوذكس
الطبعـة: الأولى، نوفمبر ٢٠١٨
المطبعـة: مطابع النوبار – العبور
الغـلاف: القس بولا وليم
التنسيق الداخلي: عادل بخيـت
العنـاوين: مجدي لونـدي
صـورة الغـلاف: إهداء من الفنان جرجس سمير
رقـم الإيـداع: ٢١٧٣٥ / ٢٠١٨ م

قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في مصر وسائر بلاد المهجر

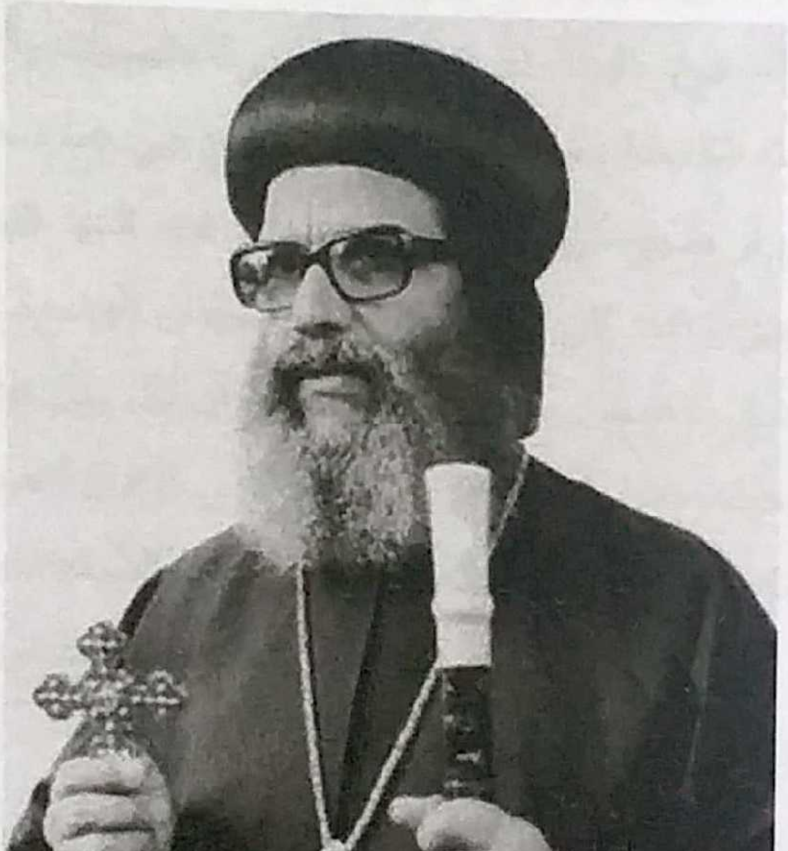

المتنيح نيافة الأنبا أرسانيوس
مطران المنيا وأبو قرقاص

مقدمة

هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ، هو قراءة في بعض معجزات وأمثال السيد المسيح، وكذلك لقاءاته مع بعض الشخصيات والتي كان لها شرف الأحاديث الخاصة معه. وأمثال السيد المسيح هي عبارة عن دراما من الواقع اليهودي أو صور من الحياة اليومية، وضع فيها السيد المسيح تعاليمه بشكل سلس حتى تتغلغل إلى الأعماق من خلال وجدان السامع، لا سيما وأننا في الشرق نعشق القصص. ويجب أن ننتبه إلى أن كل مَثَل كان له محور تدور القصة حوله، ومن الضروري بالتالي ألّا نبني مبادئ لاهوتية وعقائدية على جميع ما يرد بالمَثَل.. مَثَل العذارى كان محوره الاستعداد، ومَثَل وكيل الظلم ومحوره بعد النظر، ومَثَل قاضي الظلم ومحوره اللجاجة، ومَثَل الفريسي والعشار ومحوره البر الذاتي... وهكذا.

وأمّا عن معجزات السيد المسيح، فقد أجرى له المجد معجزات لا حصر لها كما هو وارد في الأناجيل، ولكن ما ذُكِر هو مجرد عيّنات منها. وقد استخدم الرب أكثر من طريقة لعمل المعجزات، منها الخلق كما حدث في شفاء عيني المولود أعمى، ومنها اللمس مثلما حدث مع ابن أرملة نايين والأبرص، ومنها الأمر والمناداه مثلما حدث مع لعازر وذي اليد اليابسة، وبالأمر كما في إخراج الشياطين وإسكات الرياح وتهدئة الأمواج، ومنها مجرد الإرادة كما حدث في عرس قانا الجليل، وبالإرادة عن بُعد مثلما حدث مع ابنة الكنعانية وعبد قائد المئة. وبينما ذهب السيد المسيح لبعض المرضى بنفسه مثل مريض بركة بيت حسدا، هناك من توسّطوا لمريضهم مثل المفلوج المُدلّى

من السقف.. ويذكر البشيرون في أكثر من موضع أنه جاء إليه مرضى كثيرون فشفاهم «فأحضَروا إليهِ جميعَ السُّقَماءِ المُصابينَ بأمراضٍ وأوجاعٍ مُختلِفَةٍ، والمَجانينَ والمَصروعينَ والمَفلوجينَ، فشَفاهُمْ» (متى ٤: ٢٤)، ومنهم من أتى إليه بنفسه مثل الأبرص والأعمى الذي كان يصرخ، ومنهم من حصل على الشفاء دون أن يطلب بلمس الهدب كما في نازفة الدم... وبينما جاءت المعجزات كعمل رحمة وخير، فهي كانت أيضًا إثباتًا للاهوت المسيح وسلطانه كإله.

وفي حوارات السيد المسيح مع البعض وتعاملاته الشخصية، لم يرفض شخصًا بل كان مترفّقًا طويل الأناة، عذب الحديث.. تعامل مع نيقوديموس والمرأة السامرية وزكا والكنعانية وغيرهم، ونبّه إلى القيمة الكبيرة للنفس الواحدة، وقد خرج كلٌّ منهم من حضرته مرتاحًا فتغيّرت حياته وصار «تلميذًا ليسوع» (يوحنا ١٩: ٣٨)، ثم كارزًا (يوحنا ٤: ٢٩).

... إنها سياحة مع الرب يسوع وهو يجول يصنع خيرًا...

جاء يكرز ويشفي ويصحّح المفاهيم، وأكثر من ذلك أنه قدّم نفسه مثالًا ونموذجًا يحتذي به البشر «لأنّي أعطَيتُكُمْ مِثالًا، حتَّى كما صَنَعتُ أنا بكُمْ تصنَعونَ أنتُمْ أيضًا» (يوحَنا ١٣: ١٥)، «تارِكًا لنا مِثالًا لكَيْ تتَّبِعوا خُطواتِهِ» (١بطرس ٢: ٢١). إنه المعلم الصالح، والإله القوي، والفادي المخلّص، وهو محب البشر.

الرب قادر أن يستخدم هذه الصفحات لمجد اسمه القدوس، بصلوات قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني، ونعمة الرب تشملنا جميعًا. آمين.

مكاريوس، الأسقف العام

نوفمبر ٢٠١٨م – هاتور ١٧٣٥ش

الباب الأول

تعليقات على بعض أمثال السيد المسيح

زمّرنا لكم فلم ترقصوا... (مت ١١: ١٧) ؛ (لو ٧-٣٢)

ذكر الرب الرب بنفسه هذا المثل الذي كان شائعًا، مثل أمثال أخرى مثل: أيها الطبيب اشفِ نفسك.. لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم.. ليس نبي بلا كرامة إلّا في وطنه.. ومِثل المَثَل الذي ذكره القديس بطرس «كلبٌ قد عادَ إلَى قَيئِهِ، وخِنزيرَةٌ مُغتَسِلَةٌ إلَى مَراغَةِ الحَمأةِ» (٢بطرس٢: ٢٢)...

زمّرنا لكم فلم ترقصوا:

١- هذا المثل قيل بشكل عام عن البيع والشراء في السوق، وبينما يرقص بعض الباعة لجذب الانتباه فإن آخرين يستخدمون الناي والمواويل.. ولكن أحدًا لا يرغب في الشراء! وربما يكون القصد هو رفض المستمع أو المشتري أو عدم استعداده للشراء أو الاستماع.

٢- كان التطبيق الذي قدمه الرب على المثل هو يوحنا والمسيح، حيث قدّم كلاهما منهجين، وكان لهما تلاميذ. وقد جاء يوحنا بمنهج الراهب والناسك فرفضوه، وجاء المسيح يتواصل مع الناس ويشاركهم في مناسباتهم، فهاجموا الاثنين وقتلوهما.. ونحن وإن كنا لا نقرأ في العهد الجديد عن مواقف لرفض اليهود ليوحنا إلّا أن ماقاله السيد المسيح كافٍ ليؤكد أن ذلك قد حدث بالفعل، أي اضطهاد اليهود ليوحنا.

٣- **المشكلة ليست في المتكلم وإنما في المتلقي**، مهما تكلم في الروحيات، أو في اللاهوت والعقيدة أو في علم النفس، أو القديسين والشفاعة والمعجزات.. فلا تجاوب. يذكرني ذلك بمَثَل الزارع، فقد كانت البذار واحدة، ولكن الأرض التي أُلقِيت عليها البذار متعددة الأنواع، وبالتالي لم تكن الاستجابة واحدة، بينما لو ألقيت أيّة بذور في تربة ما فانها تثمر. هذا نلاحظه في بعض البسطاء، الذين يفرحون بكل أب وبكل كلمة وبكل نشاط، لا يتذمرون ولا ينتقدون ولا يتدخلون في سياسة الكنيسة.

٤- **الكاهن "دايمًا غلطان"**...! مثل الذين ينتقدون جميع الكهنة على مختلف أعمارهم ومستوياتهم: "طوّل في القداس واحنا مستعجلين وورانا مصالح"، "قصّر في القداس واحنا محتاجين نصلي"، "صلى بالقبطي واحنا مش فاهمين"، "صلى بالعربي واحنا أقباط ودي لغتنا"، "أبونا مهتم بمظهره وده ما يصحش"، "مهمل مظهره غلطان لأنه رمز لينا"، "بيعمّر كتير وبيهمل الخدمة"، "مش مُعمِّر ونايم"، "شديد حبتين مفروض يبقى حنين على الرعية"، "طيب بزيادة ومش صاحب قرار"، "حازم في الاعتراف والناس مش مستحملة"، "طيب ومش بيدي تدريبات او عقوبات"، "بيدخل في مشاكل كتير ملهاش لازمة"، "مستعجل ومش حاسس بالشعب"... هو غلطان وبس...!

٥- **اقبل كل الشخصيات مهما كانت أنواعها أو أنماطها**، تعلم من الكل فهناك في كل شخص ما ينقصك وتحتاج اقتناءه. نحن نحتاج إلى الإيقاع ونغمات المرح، مثلما نحتاج إلى الشجن ونغمات الرصانة والتأثر. نحتاج إلى

الناي مثلما نحتاج إلى آلات الإيقاع. لا تنتقد أحدًا مهما كان ومهما صنع بك ومهما سمعت عنه، اقبل كل الألوان والأنماط والروائح، واحترم الكل وتفهّم الجميع، واختر أوصافًا مناسبة عند الحديث عن أي شخص: "فلان غيور" بدلًا من "فلان مندفع وعصبي"، "فلان طيب القلب" بدلًا من "فلان ضعيف"، "فلان حريص" بدلًا من "فلان بخيل"... الخ.

٦- **يجب أيضًا ألّا يكون الشخص مسوقًا بكل ريح، أو يهتم كثيرًا برأي الناس.** لا يكن منهجك "الجمهور عاوز كده"، فإن ذلك سيحدرك إلى الحضيض، فتتلمّس إن كانوا يحبون الرقص فترقص أم البكاء فتنتحب، فقد اتضح مع الوقت أنه لا يرضيهم شيء على طول الخط. وهناك فرق بين مراعاة مشاعر الناس واحتياجاتهم لتؤخَذ في الحسبان، أو عدم الثبات على المبدأ، ولعل هذا ما قصده الرب يسوع بقوله عن يوحنا أنه ليس "قصبة تحركها الريح": «ماذا خرجتُمْ إلَى البَرِّيَّةِ لتَنظُروا؟ أقَصَبَةً تُحَرِّكُها الرِّيحُ؟» (متى ١١: ٧).

٧- العجيب أن الكثير من الناس الذين يرتادون أماكن البيع، قد يطوفون على جميع الأقسام، ويطالعون جميع السلع ويتفرسون فيها، ويبدون آراءهم، مقابل صبر شديد من البائعين. وقد يساومون في الأسعار، وقد يقدم البائع الكثير من التسهيلات للمشتري، ولكنه في النهاية يخرج دونما شراء.. وهنا ينظر إليه البائع قائلًا: «زَمَّرنا لكُمْ فلَمْ ترقُصوا. نُحنا لكُمْ فلَمْ تبكوا».

٨- **ومن جهتنا علينا أن نكون متوازنين في شخصياتنا من جهة، وفيما نقدمه من جهة أخرى،** لا يظهر عليك الحزن المكئب، ولا الفرح غير

المتعقّل، بل ليكن كلٌّ من الحزن والفرح متعقلين، فالإفراط والجنوح والتطرف ليس من سماتنا.. وهذا ينطبق أيضًا على تشجيع الناس أو تبكيتهم، وأن يكون العطاء بحكمة، والكلام بميزان، وهكذا...

٩- **وفي الخدمة يختلف الأمر عن البيع والشراء،** ومن ثَمّ يجب ألّا يكون الهدف هو الاستقطاب أو جذب الإعجاب، أو حشد الدروع البشرية، أو الكسب بأنواعه؛ وإنما السعي لخير الآخرين ونفعهم، وخلاص أنفسهم، ومن ثَمّ فإن تجميل الشخص لنفسه ليس من سمات الخادم المسيحي، وبالتالي الاقتناص والخداع، فقد كان البائعون في أيام المسيح -وحتى الآن- يرقصون وهم يعرضون بعض البضائع ليجتذبوا الناس للمشاهدة ومن ثَمّ للشراء، وآخرون يغنون مواويل بشكل مؤثر لنفس الغرض، وبحسب شخصيات الناس وميولهم ينجذبون وقد يشترون.

مَثَل الزارع (مت ١٣: ١-٢٣)

يُقرأ مثل الزارع كثيرًا في آحاد شهر هاتور، حيث اختارته الكنيسة بحكمة بسبب أن هذا الموسم هو موسم الزرع. لقد تقابل السيد المسيح مع نوعيات كثيرة من المستمعين، منهم مَن قَبِله ومنهم مَن رفضه، ومنهم من تبعه أولًا ثم تراجع عنه، وفي المقابل هناك من رفضه في البداية ولكنه عاد فآمن به وتبعه، ومنهم من أعجبه الكلام سطحيًا ولكنه لم يؤمن به، وهكذا..

١) الزارع واحد، والبذور واحدة، والموسم واحد، غير أن الأرض لم تكن واحدة وبالتالي الاستجابة. مثل الذي يكتب فقد يستخدم قلمًا واحدًا ويكتب نَصًّا واحدًا بضغط متساوٍ بينما تختلف أسطح الورق ما بين أملس وخشن، وأبيض وأسود.

٢) "الطريق" كان في البداية أرضًا عادية وربما جيدة ولكنه تقسّى مع الوقت، وبالتالي لا يوجد شخص شرير بطبعه، ولم يولد إنسان وهو مجرم، بل إن الشر دخيل عليه من البيئة والمجتمع. وهكذا يجب التعامل مع الناس على هذا الأساس، ويمكن بالتالي إعادة حرث الأرض التي تصلّبت لتعود إلى طبيعتها. هناك أناس وصلوا إلى الشيخوخة الروحية مبكرًا.

٣) البعض يفرحون وقتيًا بالكلام، ولكن مجرد السماع لا يخلّص، وكذلك كثرة المعرفة، أو مجرد التردُّد على الكنيسة، وعند المحكّات أو الاختبار الحقيقي يفشلون. هذا الكلام مُوجَّه أيضًا إلى الوعّاظ الذين يميلون إلى إلهاب

حماس سامعيهم فقط، أو يميلون إلى إضحاكهم وإسعادهم دون الاهتمام ببنيانهم الداخلي (إعمل ما يبنيهم لا ما يرضيهم).

٤) الأرض الجيدة تحتاج إلى جهد قليل لكي تثمر، وقد لا تحتاج إلى جهد أصلًا، ومجرد أن تسقط البذرة عليها تتفاعل معها، بل وتبحث عن المياه أينما وُجِدت، وقد صادفنا في الصحارى الكثير من الأشجار والنخيل المثمر دون غارس ولا ساقٍ.

٥) هذا عتاب للذين يتحجّجون بأن ليس هناك من يفتقدهم، أو ليست هناك خدمة قوية وخدام متميزون أو كنيسة نشطة.. هناك كثيرون يحيون في تقوى وبِرٍّ في أماكن ليس بها كنائس ولا خدمة. هنا نتذكر القرى التي ليست بها كنائس، وكيف يحرص شعبها على الذهاب الى أقرب قرية بها كنيسة متكبّدين في ذلك مشقة ليست بقليلة.

٦) الأرض الجيدة لم تأتِ بنفس المقدار من الثمار في جميع مساحاتها، ولا يجوز مقارنة مساحة بأخرى، فكل مساحة أعطت ثمارًا بحسب كثافة البذور المُلقاة فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى بحسب إمكانياتها؛ غير أنها مُخلِصة أعطت ما في وسعها، ومن هنا فإن المقارنة لن تكون بين قطعة وأخرى من الأرض، وإنما بين ماتستطيعه من جهة وما تقدمه فعليا من جهة أخرى؛ وهكذا فإن الله لن يدين الناس بطريقة واحدة – مع أنه سيستخدم العدل مع الجميع. هناك قطعة أتت بـ٣٠ من ٣٠، والأخرى ٦٠ من ٦٠ وهكذا. يشبّهون ذلك بـ "فنجان" و"كوب" و"برميل"، لا مقارنة بين هذه الثلاثة من حيث الحجم، وإنما من حيث كمية السائل داخل الإناء مقارنة بسعته.

٧) وكما أن هناك باذر (زارع) بغير أرض تتفاعل وتثمر، هناك أيضًا بذور بغير باذر تفاعلت مع تربة بغير فاعل وأثمرت في هدوء ثمرًا كثيرًا. قال أحدهم: "لكل كلمة أذن تسمعها، فإن لم تكن كلماتي لأذنك فلا تتهمني بالغموض".

٨) هناك بذور سقطت على أرض جيدة ولكن في موسم مختلف، وبدا أنها لم تثبت ولم تثمر بالتالي، ولكن في الوقت المحدّد أتت بثمر كثير، هذا يُقال للخدام الذين يتعجّلون الثمر، فهناك من يسمع ولا يتفاعل للتو ولكن تعمل فيه النعمة "في وقت مقبول".

«إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَالسَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي» (١كورنثوس ٣:٧).

الزرع الجيد والزوان (مت ١٣: ٢٤-٣٠)

قَدَّمَ لهُمْ مَثَلًا آخَرَ قائلًا: «يُشْبِهُ ملكوتُ السماواتِ إنسانًا زَرَعَ زرعًا جَيِّدًا في حقلِهِ. وفيما النَّاسُ نيامٌ جاءَ عَدوُّهُ وزرَعَ زَوانًا في وسطِ الحِنطَةِ ومَضَى. فلَمَّا طَلَعَ النَّباتُ وصَنَعَ ثَمَرًا، حينَئذٍ ظَهَرَ الزَّوانُ أيضًا. فجاءَ عَبيدُ رَبِّ البَيتِ وقالوا لهُ: يا سيِّدُ، أليس زَرعًا جَيِّدًا زَرَعتَ في حَقلِكَ؟ فمِنْ أين لهُ زَوانٌ؟ فقالَ لهُمْ: إنسانٌ عَدوٌّ فعَلَ هذا. فقالَ لهُ العَبيدُ: أتُريدُ أنْ نَذهَبَ ونَجمَعَهُ؟ فقالَ: لا! لئَلّا تقلَعوا الحِنطَةَ مع الزَّوانِ وأنتُمْ تجمَعونَهُ. دَعوهُما يَنميانِ كِلاهُما مَعًا إلَى الحَصادِ، وفي وقتِ الحَصادِ أقولُ للحَصّادينَ: اجمَعوا أوَّلًا الزَّوانَ واحزِموهُ حُزَمًا ليُحرَقَ، وأمّا الحِنطَةَ فاجمَعوها إلَى مَخزَني». (متى ١٣: ٢٤-٣٠).

قام رب الحقل بزراعة أرضه قمحًا جيدًا، ولكن بعض المخرّبين أفسدوا الزرع بالزوان، مثلما سمّموا المواشي، وأحرقوا الحقول، وسمّموا مجاري المياه، والبضائع المسرطنة، وأضافوا سوائل ومواد أرخص لبضائع غالية، وتطاردهم السلطات في كل زمان؛ ولكن الشرّ مستمر!

والزوان يشبه القمح في لونه وهو ما يزال بعد عُشبًا قصيرًا في الأرض حيث يصعب تمييزه، ولكنه وحالما يكبر ويمكن تمييزه يصعب اقتلاعه بسهولة

ودون ضرر بالغ بالقمح، حيث تكون جذور كلا النباتين قد تشابكتا أسفل الأرض. وقد سلك صاحب الأرض شأنه شأن المزارعين المختبرين، سلك بحكمة إذ منع عبيده من تلك المحاولة لخطورة نتائجها، بل قال المقولة الشهيرة: «دَعوهُما يَنميانِ كِلاهُما مَعًا».

هذا ويُسمّى الزوان بالقمح الفاسد أو القمح النغل، بل إن الكلمة "زوان" تأتي من الكلمة العبرية "زنا"، وكان أكثر ما يفسد الأرض هو الزنا، "فهو زرع غير جيّد" ويفسد الزرع الجيّد. ويرد في التقاليد اليهودية أن الزوان كان في البداية قمحًا جيدًا ولكنه فسد أيام الطوفان!

وبذور الزوان في شكلها لا تشبه القمح، وإنما قد يضعها شخص في القمح أو يبذرها وسط الحقول، وإذا طُحِن الزوان مع القمح وصُنِع خبزًا فقد يصيب بالغثيان، ناهيك عن ضرره، ويُقال إن لونه يميل إلى الرصاص.

قَدَّمَ لهُمْ مَثَلًا آخَرَ قائلًا: «يُشبِهُ ملكوتُ السماواتِ إنسانًا زَرَعَ زرعًا جَيِّدًا في حَقلِهِ. وفيما النّاسُ نيامٌ جاءَ عَدوُّهُ وزَرَعَ زَوانًا في وسطِ الحِنطَةِ ومَضَى. فلَمّا طَلَعَ النَّباتُ وصَنَعَ ثَمَرًا، حينَئذٍ ظَهَرَ الزَّوانُ أيضًا. فجاءَ عَبيدُ رَبِّ البَيتِ وقالوا لهُ: يا سيِّدُ، أليس زَرعًا جَيِّدًا زَرَعتَ في حَقلِكَ؟ فمِنْ أين لهُ زَوانٌ؟ فقالَ لهُمْ: إنسانٌ عَدوٌّ فعَلَ هذا. فقالَ لهُ العَبيدُ: أتُريدُ أنْ نَذهَبَ ونَجمَعَهُ؟ فقالَ: لا! لئلّا تقلَعوا الحِنطَةَ مع الزَّوانِ وأنتُمْ تجمَعونَهُ. دَعوهُما يَنميانِ كِلاهُما مَعًا إلَى الحَصادِ، وفي وقتِ الحَصادِ أقولُ للحَصّادينَ: اجمَعوا أوَّلًا الزَّوانَ واحزِموهُ حُزَمًا ليُحرَقَ، وأمّا الحِنطَةَ فاجمَعوها إلَى مَخزَني».

ملاحظات حول المثل:

١- **الزارع الزرع الجيد هو الله**، كل ما عمله مقدس وحسن «ورأى اللهُ كُلَّ ما عَمِلَهُ فإذا هو حَسَنٌ جِدًّا. وكانَ مساءٌ وكانَ صباحٌ يومًا سادِسًا» (تكوين ١:٣١)، ويعيد الله الخلق بالمعمودية، ويقدِّس بالميرون. وعلى مثاله الرعاة الذين يفعلون كل ما بوسعهم لأجل الرعية. والآباء في المنزل يسلّمون الطفل أسمى المبادئ والقيم وأرقى التعبيرات، ساعين في تقديم نموذج مشرّف للمجتمع والكنيسة، ولم يبخلوا بشيء في سبيل ذلك. والخادم في التربية الكنسية ينتهج أفضل السبل ووسائل الإيضاح، يدرس ويقرأ كثيرًا ويصلي كثيرًا لأجلهم. والمدرس في المدرسة يجتهد في زرع القيم والأخلاق في التلاميذ... وقد يقدِّمون كلهم التعليم الصحيح والوجبات المغذية الصحية، ويتمِّمون عملهم على أفضل نحو.

٢- **وُجِد الشر في العالم منذ البداية**، جنبًا إلى جنب مع الخير، يأكل من طعامه، ويرتوي من مائه؛ وُجِد هابيل ومعه قايين، وُجِد نوح ومعه جيل مُعوَّج، وُجِد اولاد الله وبنات الناس، وُجِد لوط وحوله من يعذّبونه بما يقولون وما يفعلون، وُجِد قضاة أشرار وآخرون أبرار ومثلهم الملوك، وُجِد أنبياء وأنبياء كذبة، معلمون صالحون وآخرون هراطقة، تلاميذ محبون وآخرون خونة، عذارى حكيمات وأخريات جاهلات... الكثير من النباتات تتشابه في الشكل وتختلف في التأثير والنفع، ليس ذلك فحسب بل الغش في الشيء الواحد، وعند البيع إضافة أنواع أخرى.

الأسرة الواحدة فيها الزرع الجيّد والزوان، الابن البار والابن العاق. والكنيسة فيها النوعان أيضًا: البار والشرير، هكذا كان تلاميذ الرب أيضًا؛

المحب والخائن. وفي الحياة هناك اللص والشريف، الطالب المكافح والآخر الغشّاش، الأمين والمرتشي، الحنطة والزوان. وهكذا تحت شمس واحدة، وعلى أرض واحدة، نبعٌ واحد يروي الاثنين، وطعام واحد لكليهما، والناتج مختلف.

٣- **بل قد يتفوّق الزوان!** ويتعجّب الناس من نجاح الأشرار بينما يجدون الأبرار يعانون، وقد تصغر نفس البار بسبب ذلك، وهم يرون الشر يزدهر وأولاد العالم يزهرون، ولكن نجاح الأشرار هو نجاح مؤقّت، فلابدّ أنه سيُقلع في النهاية ويُطرَح في النار، وهو التساؤل الذي دار في ذهن إرميا النبي (إرميا ١٢)، وكاتب المزامير (مزمور ٧٢)، ومن بعدهما القديس أنطونيوس سأل الله: لماذا يولد الناس مختلفين بعضهم عن البعض الآخر؟ ولكن العبرة بالنهاية، مثل الذين أصواتهم عالية أو الجبابرة أو الأشرار عمومًا.

٤- **ومن المُلفِت صعوبة التمييز بين الحنطة والزوان**، ففي مَثَل العذارى نجد عذارى وعذارى! تلاميذ وتلاميذ، وإخوة كذبة، رسل وليسو رسلاً: «جَرَّبْتَ القَائلِينَ إنهُم رُسُلٌ ولَيسوا رُسُلاً» (رؤيا ٢:٢)، رسل كذبة، فَعَلَة ماكرون يغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح (٢كورنثوس ١١:١٣)، ونيقولاوس كان من الشمامسة السبعة، بل حتى الشيطان يمكن أن يغيّر نفسه إلى شبه ملاك نور «ولا عَجَبَ. لأنَّ الشَّيطانَ نَفسَهُ يُغَيِّرُ شَكلهُ إلَى شِبهِ مَلاكِ نورٍ!» (٢كورنثوس ١١:١٤). حتى في المظاهر والفضائل: هذا حب وذاك شهوة، هذا تشجيع وذاك نفاق، هذه غيرة وذاك تعصب، هذه حكمة وذاك خُبث، وهكذا... كان هناك أنبياء وأنبياء كذبة، معلّمون ومعلّمون كذبة، أناجيل وأناجيل منحولة، مواهب شفاء وسحرة ودجّالون... الله وحده هو فاحص القلوب والكلى. هكذا شرح الأب لتلاميذه عن الفرق بين رهبنة الأمس واليوم بالمِسك الذي تم غشّه ومن ثم احتفظ بلونه وشكله فقط.

٥- **فيما الناس نيام**: نام الزارع الأمين مطمئنًا ولم يجعل حُرّاسًا على أرضه، مثل الأم التي تربّي جيدًا ولا تتابع أولادها وأصدقاءهم ولا أين يذهبون؟

أو ماذا يفعلون؟ إن الزرع يحتاج إلى سهر: «أُصحوا واسهَروا. لأنَّ إبليسَ خَصمَكُمْ كأسَدٍ زائرٍ، يَجولُ مُلتَمِسًا مَنْ يَبتَلِعُهُ هو» (١بطرس ٥:٨). وفيما الإنسان نائم يسرقه العدو، تدخله الفيروسات أو الميكروبات. وفي فترات التراخي والكسل تتسلّل الشهوات إلى الداخل وتفسد عمل الله الجيد، ولذلك يسمح الله بالخطر لإيقاظنا: فتمتدّ العشوائيات بمشاكلها، والعلاقات الخاطئة، والتجسُّس، ووجود رشح تحت مبنى عملاق ... الخ.

هذا ينقلنا إلى الإشارة إلى ضرورة المتابعة، مثل المباني العملاقة والتي لا صيانة لها، ومثل المواهب التي لا نتابعها، مثل الثقة البالغة وخطورتها.. نثق ونحرص، نثق ونتابع، والمتابعة المستمرة تضمن لنا تدارك الأخطاء سريعًا.

٦- **لذلك فالزوان هو الخطية في بدايتها**: الشهوة بداية الزنا، والطمع بداية السرقة، ومحبة المال بداية الرشوة والفساد، والغضب بداية القتل، عدم ضبط الحواس ووجود مادة معثرة مخزَّنة في البيت أو على الموبايل أو الكمبيوتر، السماح بالصحبة الشريرة، واعتياد أماكن غير لائقة... الخ.

٧- **من الخطر الحُكم على شخص بأنه زوان**: عندما يتسرّع الفلاح في فصل الزوان من الحنطة فقد يرتكب خطأ فادحًا، فالأمر يحتاج إلى صبر وتدقيق، سواء في الزرع أو في الحكم على بعض الأشخاص أو الخدام، فقد اتّضح لنا مرارًا سوء تقديرنا للبعض، كما أن في ذلك إدانة محتملة، وفيه تعجُّل، وكما سبق القول فإنه من الصعب التمييز بين الاثنين، وقد ظُلِم الكثير من البشر، والله هو الذي له الحُكم الأخير، وقد أشار إلى الحصاد في النهاية وفصل الاثنين فصلًا تامًا.

٨- قد يتحول الزوان إلى حنطة والعكس أيضًا، فكثيرون كنّا نراهم شرًا وفسادًا فإذا بهم يتحوّلون إلى حنطة، ولو اتّخذنا منهم موقفًا من البداية لخسرناهم مثل: شاول وبطرس وأغسطينوس وموسى الأسود وغيرهم، ولكن طول أناة الله من ناحية، مع الجهاد من ناحيتهم من جهة أخرى حوّلهم إلى طعام جيّد مُشبع، بل إن بعضهم كان يبدو زوانًا ولكن ذلك كان من جهة اللون فقط، أمّا القلب فقد كان حنطة. والعكس صحيح، مثلما كان البعض في البداية حنطة فإذا بهم يتحوّلون إلى زوان، مثل ديماس الذي أحب العالم الحاضر فترك القديس بولس (٢تيموثاوس٤: ١٠)، وكثيرون غيره ذكرهم بدموع، فقد صاروا أعداء صليب المسيح (فيلبي ٣:١٨)، ونيقولاوس صاحب بدعة النيقولاويين، ويهوذا، وغيرهم كثيرون وصفهم معلّمنا بولس بأنهم بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد (غلاطية ٣:٣).

٩- إذًا الحُكم في النهاية، وليس من خلال مرحلة واحدة: إذ تمرّ حياة الإنسان بمراحل كثيرة بين الضعف والقوة، الحرارة والبرودة، النشاط والتكاسل، قد يبدأ الإنسان مشاغبًا والفتاة عنيدة ولكنهما ما يلبثا أن يُظهِرا الكثير من التميّز والتفوّق.

١٠- دعوهما ينميان كلاهما معًا: عندما كانت الكنيسة تضطرّ إلى اتخاذ موقف من هرطوقي أو مبتدع، وهي متألّمة، كانت تصلّي لأجله حتى لا ييأس ويهلك، فلعلّه يعود. كما كانت الكنيسة تضع في الاعتبار أولاده ومحبّيه الذين قد يخرجون معه، فهم مسئوليتها أيضًا، وهكذا لا ترفضهم كما لا ترفضه هو بالمعنى الحصري للكلمة. كانت تشعر أن جزءًا من جسدها ينزف، وتظل متألمة حتى يعود. والخادم الذي يتبعه كثيرون يجب التمهّل في إقصائه

لئلا يُعثّر أتباعه ويخرجون معه، وقد يكون أكثرهم أبرياء ولكنهم يتعاطفون معه، فإذا أُقتُلِع كزوان فسيقلع معه الكثيرين، ومن ثَمّ فالكنيسة تهتم بالكل وتسقي الكل وتسهر على الكل، الجيد والزوان.

١١- وبدلاً من تبديد الجهد في قلع الزوان نوجّه هذا الجهد في رعاية الحنطة: حيث يُسمَى ذلك أحيانًا بـ"تيارات السحب"، كما أن ترك الاثنين معًا هو تكافؤ للفرص، فالله يمطر ويشرق شمسه على الكل، حتى الشيطان لم يُحرَم من فرص كثيرة، بل أُعطِي أن يحارب أولاد الله، بل والله نفسه، وفي المقابل أعطى الله أولاده أن يقاوموه ويهزموه.

١٢- فإذا تأكد أن هناك زوانًا وأن وجوده يمثل خطورة فلابد من قلعه، مثل الورم الذي يُخشى من انتشاره، بل وينظف الطبيب الجراح حوله جيدًا لضمان اقتلاعه كله، ومن هنا نفهم قول القديس بولس الرسول «أمّا الّذينَ مِنْ خارِجٍ فاللهُ يَدينُهُمْ. فاعزِلوا الخَبيثَ مِنْ بَينِكُمْ» (١كورنثوس ٥:١٣). فماذا لو أطال الأب الكاهن أناته على شخص مُفسِد في الكنيسة، زانٍ أو سارق أو واشٍ؟ وما هي العلاقة بين طول الأناة والستر على الناس، والخوف على الآخرين من شرّ مَنْ نطيل أناتنا عليهم؟ على أن نمكّن الرجاء للآخرين.

١٣- في النهاية هناك دينونة حتمية: وهي التي عبّر عنها الرب في شرحه للمثل بأن الحصادين سيجمعون الحنطة إلى المخازن، وأمّا الزوان فيحرقونه بالنار. وقد لا يُكافأ الأبرار ههنا، ولكنهم سينالون مكافأتهم حتمًا في النهاية. وقد يزهو الأشرار ههنا كما يفعل الزوان، ولكنهم يُعاقَبون في الوقت المحدّد.

المثل شائع ومحفوظ، ورتّبت الكني سة أن يُقرأ في تذكار نياحة الشهيدات والقديسات. ولنا عدّة محطات في هذا المثل، حيث اقتبس السيد المسيح هذه اللوحة الرائعة من البيئة اليهودية، ولذلك فالصورة ماثلة بشكل جيد في أذهان سامعيه. وقد اختار السيد المسيح أن يستخدم الأمثلة على نطاق واسع حيث يسهل على السامع استيعاب التعليم الذي أراده، وسيكون ذلك أفضل من تسليم صياغات لاهوتية مختصرة قد لا يفهمونها أو يحفظونها، بينما استخدم الجدالات اللاهوتية مع معلميهم.

١- يأتي المثل في إطار الحديث عن المجيء الثاني ليقرب فكرة مجيئه والاستعداد لذلك.

٢- العدد خمسة وخمسة يوحي أن العدد الذي يُخشى عليه كبير نسبيًا (خمسين بالمئة).

٣- ذكر أن المتقدمات هنا هن الجاهلات، ربما في إشارة الى أن المتقدمين هنا هم الخطاة والخارجين على القانون، بينما الأبرار يختارون الظل.

٤- الزيت الإضافي مع مصابيح الحكيمات يشير إلى عذراوية القلب، إذ أن الفريقين عذارى ومعهن مصابيح، وقد جئن معًا في ذات المكان ولذات الغرض.

٥- هنا مفهوم أشمل وأعمق للبتولية، فليس كل متزوج فقد طهارته والعكس صحيح.

٦- إبطاء العريس يعني أننا نحسب زمن المجيء بطريقتنا (زماننا نحن)، ولكنه آتٍ بزمانه هو الذي "رسمه" أي حدّده ولا يمكن أن يتغير.

٧- النعاس والنوم هنا يعني طول الانتظار والموت الجسداني. أمّا طول الانتظار فقد نتج عن توقُّع وشيك لمجيء المسيح، وهنا يشير السيد أنه ليس وشيكًا، وفي مناسبة أخرى قال إن السيد الذي وزّع الوزنات سافر وبعد زمان طويل جاء (متى ٢٥:١٩). وقد تحولت الكنيسة من قوة انتظار لمجيئه إلى قوة كرازة بمجيئه (تعلن وتبشر يوميًا: وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي...).

٨- كما أن النوم يشير إلى الموت الجسداني والذي أتى على الفريقين: الحكيمات والجاهلات. والموت محسوب في الفكر الكتابي أنه نوم (نوم طويل)، وفي المقابل فإن النوم هو موت بالتالي (موت قصير)!!

٩- في نِصفِ اللَّيلِ صارَ صُراخٌ: الصراخ هنا "كرازو" وهي اللفظة التي أتت منها كلمة كرازة، وفي حياتنا تصرخ كلمة الرب أنه آتٍ استعدوا، ولكن عند مجيئه سيعلن الصراخ أنه "أقبل"، أي أزف الوقت، ولم يعد ثَمّة وقت للتوبة. والفرق بين الصراخين أن الأول يفيد بأنه ما تزال فرصة، بينما الثاني انتهى كل شيء، التعبير الأول مُحذِّر أمّا الثاني فهو "صادم".

١٠- «أعطينَنا مِنْ زَيتِكُنَّ» والرد "الآسف" يعنيان أن برّ الانسان لا ينفع أخاه، وأنه لا شفاعة ولا مجاملة، مهما كانت صلة القرابة.

١١- «أُغلِقَ البابُ» تعبير حاسم، والحقيقة أن الباب أُغلِق ليفصل بين فريقين، الأول بالداخل لا خطورة ولا خشية عليه، والثاني لا إمكانية لمروره إلى الداخل، وكأنما قيل بحزم للواحد: تعالَ هنا، وللآخر: أُبعُد إلى هناك.

١٢- «لا أعرفكن» أي ما أقتنع بكن، وما أقبلكن، وما أعترف بكن؛ وبالتالي فهو لا يعني مجرد المعرفة البسيطة.

١٣- «اسهَروا إذًا لأنَّكُمْ لا تعرِفونَ اليومَ ولا السّاعَةَ»: هذا هو تعليق السيد المسيح على القصة، أو الخلاصة، أو الهدف الذي كان يرمي إليه من المثل، مثل جميع الأمثال، كلٌّ منها له محور أو غاية. هذا التعليق يؤكد قصد الله من إخفاء يوم مجيئه حتى لا يتكاسل الناس عن الجهاد والعمل فلا يتوبون بالمرة.

اِسْهَرُوا إِذًا... (مت ٢٥: ١٣)

قرأنا وسمعنا كثيرًا نصيحة «اسهروا»، وينصحنا السيد المسيح أكثر من مرة بالسهر بعد حديثه عن مجيئه الثاني، وكذلك الآباء في كتاباته م، ووردت الكلمة في العهد الجديد ٣٠ مرة، ما بين ضرورة سهرنا وتحذيرنا في المقابل من سهر إبليس المتربّص بنا. ونحن نعرف السهر وبعضنا يحبه، ولكن عندما تحدث المسيح عن ضيق الأيام الأخيرة وتوقُّع مجيئه الثاني المباغت، وضرورة اليقظة والاستعداد، شَخَصَ السامعون إليه وتعلّقت عيونهم به يتساءلون: تُرى ماهو الحل؟ أو بماذا تنصحنا بعدما داخلنا الرعب مما سمعنا وما هو آتٍ؟ فيجيب: «اسهروا إذًا».

الملفت هنا هو لفظة: «إذًا» فهي تعني: "خلاصة الأمر"، أو "الحل القاطع"، أو "إذا أردتَ نصيحتي"، أو "ما لا بديل عنه"، أو "بناءً على ما سمعتهم وما شرحته"، أو "للخروج من هذا المازق"، أو "وبعد التنقُّل بين جميع الحلول المقترحة للخروج من المأزق": اسهروا «إذًا».

الوزنات (مت ٢٥: ١٤-٣٠)

«وَكَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ، فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ وَزَنَاتٍ، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزْنَةً. كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ. فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ. وَهكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، رَبِحَ أَيْضًا وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. أَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ أُخَرُ رَبِحْتُهَا فَوْقَهَا. فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رَبِحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا. قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ. فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ وَالْكَسْلاَنُ، عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِبًا. فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. وَالْعَبْدُ الْبَطَّالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (متى ٢٥: ١٤-٣٠).

هذا الإنجيل يُقرأ في مناسبة نياحة آباء الرهبنة، لكي تلفت الكنيسة الانتباه إلى أن هذا الأب تاجر بوزناته وربح مثله مثل الذين في العالم، كرّس قلبه ومشاعره وتاجر حسنًا وربح؛ وأن لكل منا وزناته، وأنه اجتهد أن يسمع الصوت القائل: «كنتَ أمينًا... ادخل إلى فرح سيدك».

المثل معروف ومشهور، واللفظة "الوزنات" شائعة الاستخدام في الحياة الكنسية، وتعني المواهب والإمكانيات في شتى نواحي الحياة. والآن لنا بعض التعليقات على المثل:

١- دعا السيد عبيده وأعطاهم الوزنات، أي لم يختص جماعة منهم بالوزنات، فالكل عنده فرصة ليتاجر ويبدع ويثمر. لا يوجد من لا وزنات عنده، ليس هناك شخص بلا مواهب، حتى ذوي الاحتياجات الخاصة، أو من نسميهم المعاقين ذهنيًا، وكذلك المعاقين جسديًا هناك منهم الجبابرة. والفرق بين واحد والآخر أن أحدهم تاجر بالوزنات والآخر أهملها.. هناك من يرسم بأسنانه، ومن يقضي كافة احتياجاته بقدميه، ومن يتسلّق الجبال بطرف صناعي، ومن يقود سيارته بيديه، الخ... حتى الأشرار لهم مواهبهم وإن كانوا يستخدمونها في الشر، فإن الشيطان الذي وإن كان قد فقد رتبته، إلّا أنه لم يفقد طبيعته.. ومثل المرتشي والمزور، وإن فقدوا وظائفهم كعقاب إلّا أنهم لم يفقدوا مهاراتهم ومن ثمّ فقد يستثمرهم الأشرار في تخصصاتهم.

يقول القديس بولس: «فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ أَعْمَال مَوْجُودَةٌ، وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ. فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ

بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ. وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ» (١كورنثوس ١٢:٨-١١).

كما أنه لا يوجد شخص يمتلك جميع المواهب، ولكن الله قسم لكل واحد موهبته «وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ» (١كورنثوس ١٢:١١)، ويقول القديس بولس أيضًا: «ولكن لِكُلِّ واحِدٍ مِنّا أُعطيَتِ النِّعمَةُ حَسَبَ قياسِ هِبَةِ المَسيحِ» (أفَسُسَ ٤:٧).

وإلّا لكان السيد صاحب المال قد سلّم أمواله بكاملها لشخص واحد موهوب في الاستثمار، غير أن ذلك لن يحقق له الأرباح التي يحققها متى استثمر مواهب الجميع.. ومن هنا نقول إن الجميع لهم الخلاص والفداء والدعوة والإيمان، الكل متساوون فيها، المسيح مات عن الكل، ولكن تفاعل الناس مع هذه الحقيقة يختلف من شخص لآخر، فليس الكل سيقبلون ويخلصون.

٢- كون السيد قد أعطى الجميع وزنات، يعني أنه يتيح له الفرصة للكل لكي يتاجر، فالبعض بسبب الظن بأنهم لا يستطيعون المتاجرة حسنا، يُحرَمون من نوال فرصتهم. وقد تعلمنا أن كثيرين ممن ظننا بهم ذلك، أبدعوا وتفوقوا نتيجة الثقة التي أعطيت لهم، إن الثقة بمفردها تحفّز على العمل، فكم بالأحرى تشعله عند الموهوبين.. وهكذا هناك من تتفجر فيه الطاقة نتيجة الثقة، وهناك من تتوهج موهبته وتزداد اشتعالًا. «وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ

يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ» (أفسس ٤:١١-١٢).

٣- تعبير «وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ» يشير الى أن السيد كان في عجلة من أمره، ولكن المقصود به هنا في المثل هو صعود السيد المسيح الذي كان وشيكًا إذ قال هذا المثل قبل الصلب مباشرة. ويقصد كيف سيتاجر التلاميذ بالوزنات التي أعطاهم إيّاها حيث ائتمنهم على الكرازة باسمه، وكذلك كيف سيتاجر الشعب بعد كل هذه التعاليم التي استمرت لثلاث سنوات، لأجل الملكوت؟

٤- تعبير آخر يؤخذ في الاعتبار وهو «وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى»، والمقصود به هو أن مجيء المسيح الثاني لم يكن وشيكًا كما ظن البعض. والفكرة ذاتها مُشار اليها في مثلّ العذارى من جهة إبطاء العريس، كما أن القديس بولس الرسول كتب إلى العبرانيين الذين أُحبطوا نتيجة تأخر المسيح في مجيئه وقد ظنوا أن ذلك وشيكًا (لاحظ المقابلة بين التعبيرين: "أبطأ"، "وبعد زمان طويل")، ولكن الكنيسة تحولت من قوة انتظار مجيئه إلى قوة التبشير بمجيئه، وصارت تهتف في اشتياق يومي: "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

٥- هناك فرق بين الوزنة والطاقة، فالوزنة هي الإمكانية المُعطاة للشخص، بينما الطاقة هي قدرته هو على المتاجرة بتلك الإمكانية، ولذلك فلم تكن هناك مقارنة بين الذي ربح العشر وزنات، وذاك الذي ربح الخمس، بل سمع كل منهم نفس المكافأة «نِعِمّا أيها العبد الصالح والأمين... كنتَ أمينًا... ادخل إلى فرح سيدك»، من هنا فليس المطلوب كمّ ما من الجهادات أو

العطاء بأشكاله، وإنما العمل قدر الاستطاعة، في الصوم.. في القراءة.. في العطاء.. في السهر.. في الميطانيات.. حتى في العمل.. حتى ربح الآخرين. المطلق فقط وبدون قدر الاستطاعة هو الحب والغفران.

٦- وبالتالي ليس مهمًا نوع الدور الذي تقوم به، وإنما إلى أيّ مدى تتقنه، فإن رقي أي بلد متوقف على أن يقوم كل شخص بما هو مطلوب منه فقط، الكناس والعامل والموظف وربّة المنزل والمدرس والطبيب والمهندس. نقرأ عن أدوار صغيرة لممثل كبير ولكنه قدمها بتميز وإبهار، فيما يُسمّى "ضيف الشرف"، وأحيانًا تكون مهنة بطل الفيلم بسيطة مثلما قدمت السينما المصرية أفلامًا مثل: "البيه البواب" و"احترسوا أيها السادة"... بل أن الحياة تقوم على أصحاب المهن البسيطة.. الخ.

٧- بل أن هناك مجهولين كثيرين يقومون بأعمال جليلة في الظل، لا يكرمهم أحد، ولا هم يحبون ذلك أو يسعون إليه. هناك كواليس للمسارح، المناظر الجميلة التي ترونها هناك صناع لها، هناك فرق تضم أعدادًا هائلة تعمل في خلف الكاميرات، نراهم عندما يكون هناك تجمع لأفراد الفيلم في مظاهرة أو احتفال، وقيل قديمًا "بنى الأمير المدينة"، رغم أن بناءها اشترك فيه الآلاف من حفر وبناء وخشب وحديد وكلس وإضاءة ومياه وزخارف، ولكنها كلها منسوبة إليه، هؤلاء الناس اكتفوا بأن أجادوا وعملوا ما يرضي ضمائرهم، دون البحث عن المكافأة.

٨- المواهب والوزنات تزداد بالمتاجرة فيها وليس بطمرها، مثل الخطاط والرسام والنحات وأي مهني، وكذلك الرياضي، ومحب الألحان، والمتدرِّب على

السلاح، وبالمثل استخدام المال في عمل الخير ومعاونة الآخرين، وقيل في الأموال واستثمارها: "فهي بالانفاق تبقى، وهي بالإمساك تفنى".

٩- الذين سمعوا «كنتَ أميناً في القليل فأقيمك على الكثير»، كانت مكافأتهم مزيدًا من العمل وليس الراحة (مثل أن يُقال لشخص نحن مسرورون بك وسوف نراسلك، في طريقة مهذبة للاعتذار). وفي المقابل هناك اشخاص ناجحون، وبسبب نجاحهم تُسنَد إليهم مهام أكثر، وربما يتذمرون ولكن يجب أن ينتبهوا إلى أن ذلك يعني نجاحهم، «لأنَّ كُلَّ مَنْ لهُ يُعطَى فيَزدادُ، ومَنْ ليس لهُ فالّذي عِندَهُ يؤخَذُ مِنهُ» (مَتَّى ٢٥:٢٩). فافرح كلما أُسنِد إليك الكثير من الأعمال (باستثناء تلك الأعمال التي يُقصَد بها السخرة)، بل لا تفرح متى خفّفوا عنك مهامك (مثل الموظف الذي عوقب عقابًا مُرًّا بإعفائه من العمل رغم إعطائه كافة المستحقات).

١٠- هناك أصحاب وزنات كبيرة مثل الرؤساء العاديين والدينيين، الأبطال والمليونيرات والمشاهير، مثل شمشون وداود وسليمان وإرميا ويهوذا المكابي وغيرهم، وربما أصحاب الذكاء والجمال والشهرة. بينما أصحاب الوزنات الأقل هم العاديون، هم الذين تقوم عليهم الحياة، فهم ليسوا شمشون وليسوا المُقعَد، ليسوا سليمان ولا فقير باب الجميل، ولكن الجميع مهمون ويمكنهم المتاجرة. في هذا الإطار يقول البابا شنوده إن الجميع أخذوا وزنات، الغني ولعازر، الفريسي والعشار، يوحنا ويهوذا، سليمان وأبشالوم، في العالم يوجد السمك الجيد والسمك الرديء، الجميع أخذوا وزنات، الجميع لهم حق الحياة والجميع مُرشّحون للملكوت والجميع أبناء الله.

١١- صاحب الوزنة الواحدة هو الشخص الذي لم يتاجر، وكانت النتيجة أنه خسر، والدليل تصريح صاحب المال أنه كان من الافضل وضع ماله في البنك ليستثمرها بمعرفته (الصيارفة). إن الذي لا يتاجر لابد وأن يخسر، لأنه ينفق بلا تعويض، ونحن نعرف أن الذي يتوقف لابد وأن يتقهقر وهكذا.. من هنا نستطيع أن نفهم فكرة «العَبْدُ الْبَطَّالُ» المذكورة في المثل (ومثلها فكرة الكلمة البطالة وكلاهما يعني عدم الإنتاج وليس الخسارة أو الإساءة تحديدا) «والعَبدُ البَطّالُ اطرَحوهُ إلَى الظُّلمَةِ الخارِجيَّةِ، هناكَ يكونُ البُكاءُ وصَريرُ الأسنانِ» (مَتَّى ٢٥:٣٠).

والعجيب أن ذلك العبد البطال كان الأكثر تذمُّرًا واحتجاجًا وصياحًا، والسبب أنه لا يعمل.. والذين لا يعملون هم أكثر من يثرثرون، بل ويدينون حتى أولئك الذين يعملون، ومثلهم الذين ينتقدون كثيرًا، فهم أقل الناس فعالية وعطاءً، ألم يُقَل إن الإناء الفارغ تجده عالي الرنين؟

هل كان صاحب الوزنة الواحدة شخصًا صغير النفس، يشعر أنه لا محالة سيفشل؟ ولذلك وفّر التعب والجهد، مثل الطالب والتلميذ الذي يخشى الرسوب فلا يذاكر فيأتي الرسوب نتيجة وليس سببًا.

١٢- تقبّل السيد الكلام غير المُهذَّب من صاحب الوزنة الواحدة الكسول، ولكنه عاتبه (كمن يقول: وعلى فرض أنني كما ذكرتَ أنت، باعتباري سيد قاسٍ). كان ينبغي أن يصارح السيد بذلك دون تورُّط منه وتعطيل لرأس المال. هذا يذكّرني ببعض الناس الذين يخجلون أن يقولوا لا نعرف، ويتورّطون ويسبّبون العطلة والمشاكل بسبب كبريائهم، فليس عيبًا أن يقول الشخص "لا

خبرة لي بذلك" أو "أخشى أن أقصّر" أو "هذه ليست موهبتي"... ولكن ذلك فقط في حالة أنه لا يعرف بالفعل.

١٣- ولكن من هم الصيارفة؟ قُصِد بالصيارفة هنا البنوك، ولكن على المستوى الروحي يرى الآباء أن الصيارفة هم الآباء المرشدون والمعلمون، وشيوخ المهنة، والمربون على مختلف أنواعهم؛ يسلّم لهم الشخص ذاته وهم يتاجرون له ومعه. وكان عقاب ذلك الشخص قاسيًا «كُلُّ شَجَرَةٍ لا تصنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقطَعُ وتُلقَى في النّارِ» (متى ٣: ١٠)، كذلك يذكّرنا الكتاب: «فمَنْ يَعرِفُ أنْ يَعمَلَ حَسَنًا ولا يَعمَلُ، فذلكَ خَطيَّةٌ لهُ» (يعقوب ٤: ١٧).

١٤- إن صاحب الوزنة اختار الفشل، يخشى المحاولة ويخشى المغامرة، وبذلك لن ينجح أبدًا، مثل الذي يخاف من الرياح والصقيع فلا يزرع، وبالتالي فلن يزرع ولن يحصد ولن ينجح...

١٥- ولكن ما هو الفرق بين الطموح واستثمار الوزنات؟ الطموح: كلمة تحتاج إلى ضمان لتكون لحساب الله والآخرين، فالطموح الشخصي يرمي إلى تمجيد الذات، وربما يستخدم وسائل غير شرعية لتحقيقه، ولكن استثمار المواهب يعني استخدام ما وهبه الله لنا وبطرق سليمة ولمجد الله وخير الناس. الطموح البشري قد يجلب الكبرياء، والذي لحساب المسيح يجلب الاتضاع بالأكثر، ويُقال أيضًا إن الطموح البشري إذا نجح أصاب بالعجرفة وإذا فشل أصاب باليأس.

حاول... تاجر... وابذل جهدًا... اربح وافرح... أفد العالم... مجِّد الله.

أيُّها الطبيب اشفِ نفسك (لو٤: ٢٣)

استخدم السيد المسيح أنواعًا من الأمثال: استخدم المثل القصصي، وهو عبارة عن قالب أو صورة في المجتمع، أو قصة تشرح قصد الرب، من خلال أمثال الابن الضال ووكيل الظلم وغيرها. واستخدم في بعض الأحيان مثلًا قصيرًا، يقدم عبرة أو خلاصة خبرة، وصار للمثل مدلول لدى العامة، مثل: الآباء اكلوا الحصرم.. وزمرنا لكم فلم ترقصوا.. لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم.. ليس نبي بلا كرامة إلّا في وطنه.. مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني ملكوت السموات... والمثل الذي ذكره القديس بطرس: «كلبٌ قد عادَ إلَى قَيئهِ، وخِنزيرَةٌ مُغتَسِلَةٌ إلَى مَراغَةِ الحَمأةِ» (٢بطرس٢: ٢٢)... وغيرها.

وهنا يبادر الرب نفسه فيواجه اليهود بما أرادوا أن يقولوه: «أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!» (لوقا٤: ٢٣).. ولعلهم قالوا لاحقًا شيئًا بهذا المعنى تحت صليبه ساخرين «خَلَّصَ آخَرينَ وأمّا نَفسُهُ فما يَقدِرُ أنْ يُخَلِّصَها!» (مت٢٧: ٤٢)، ولكن ذلك رغم ما فيه من تهكُّم وشماتة، كان اعترافًا منهم بأنه صنع معجزات كثيرة وخلص كثيرين، وقد أكّد على ذلك قائلًا: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن اخذها».

قال اليهود هذا للسيد المسيح بعيونهم وليس بأفواههم، إذ جاء ليكرز لهم في كفر ناحوم بينما ينتمي هو إلى الناصرة، وكأنهم يقولون له إن مدينة الناصرة أولى بخدمته، ولكن السيد المسيح أثبت لهم أنه ليس شرطًا أن يُقبَل في بلده، وقد يكون هناك من هو أولى من بلده أو أكثر استحقاقًا، ودلّل على

ذلك بما حدث مع نعمان السرياني والذي لم يكن المريض الوحيد، وامرأة صرفة صيدا، فلم تكن الأرملة الوحيدة المحتاجة.

ولكن السيد المسيح هو الطبيب الحقيقي الشافي لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، وهو مصدر الشفاء فكل من لمسه شُفِي وقام، وهو الإله القادر، بل أننا بجلدته شُفينا، تألم ليمنحنا الشفاء، ومن ثَمّ فاستخدام المثل كتبكيت المسيح ليس في محله وليس من اللياقة.

وهو أمر يذكرني بردود بعض الأبناء على والديهم أو مدرسيهم، مثل مقارنتهم به أو تعييره في شيء ما أو التعامل بندية بشكل عام دون اعتبار للسن أو المكانة، وهو أمر يحزن الأب بلا شك بسبب عدم الطاعة ثم عدم اللياقة.

ولكن ما يعنينا الآن هو الطبيب الذي يحتاج أن يشفي نفسه:

إنه الطبيب الذي يعرف الداء ويصف الدواء، ولكنه هو ما يزال مريضًا وقد يموت بذات الداء. فقد ينصح المرضى بضبط النفس تجاه الطعام أو الحركة، والاقتصاد في الطعام والشراب سواء من جهة النوع أو الكمية، والالتزام ببرنامج محدد، بينما هو مفرط وغير منضبط وغير مبالٍ، إذًا فهو ينصح المرضى ويحثهم ويعينهم على الشفاء بينما هو مستمر في مرضه، ومن ثَمّ يصحّ فيه القول «أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!».

ومثل الخادم الذي يعظ كثيرًا وهو محتاج إلى من يعظه، بل وقد لا يقبل الوعظ ويتبرّم منه، يخلّص به كثيرين وهو يهلك. هنا وأتذكر قول القديس بولس «بل أقمَعُ جَسَدي وأستَعبِدُهُ، حتَّى بَعدَ ما كرَزتُ للآخَرينَ لا أصيرُ أنا نَفسي مَرفوضًا» (كورنثوس الأولى ٩:٢٧)، ومن ثَمّ فقد يكون لخادم متوانٍ تلاميذ قديسون.

أحيانًا يتعرّض شخص ما وربما كاهن لتجربة اجتماعية أو اخلاقية تخص أحد أطراف عائلته، فاذا حدث شيء مشابه ووجّه النصح والإرشاد - وقد يكون صائب الرأي عندئذ، ومن الضروري أن ينصح ويرشد- فيقولون له: «أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!»، وإن أسرتك أولى منّا بالوعظ والإرشاد.

أو خادم مهتم كثيرًا بخدمة الآخرين وتسديد احتياجات الفقراء وبذل الجهد والوقت في سبيل ذلك، بينما يهمل أسرته واحتياجاتها، وقد تلجأ الأسرة إلى آخرين لمعاونتهم، وهنا يعاتبه أهل بيته أنفسهم قائلين: أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ وأسرتك! هل أنت خبير بنفوس الآخرين وأنت تجهل نفسك؟ تحذّر وأنت تحتاج لإنقاذ، ويقول القديس بولس: «وإنْ كانَ أحَدٌ لا يَعتَني بخاصَّتِهِ، ولا سيَّما أهلُ بَيتِهِ، فقد أنكَرَ الإيمانَ، وهو شَرٌّ مِنْ غَيرِ المؤمِنِ» (تيموثاوُسَ الأولَى ٥:٨).

هذا أب يطلب من ابنه عدم التدخين خوفًا على صحته وماله، ولكن الأب مفرط في التدخين مسرف في ماله، ومن ثَمّ ينظر إليه الابن قائلًا: «أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!». وهذه أم تطلب من ابنتها أن تتعقّل في مظهرها وسلوكها، وكأنى بالابنة تود أن تقول لها «أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!».

ينطبق هذا المثل أيضًا على شخص يستنكر وجود قشة في عين الآخر بينما هناك في عينه خشبة (متى٧:٣-٥)، يدين كثيرًا بينما يحتاج إلى التوبة، يشير إلى خطايا الناس ويتجاهل خطاياه، يشير بأصبع الاتهام إلى الآخر بينما تشير الأصابع الثلاثة إليه هو شخصيًا. فإذا انتهر الآخر ناصحًا إيّاه بنزع القشة، قال له: فلتنزع أنت أولًا الخشبة التي في عينك، وما دمت خبيرًا

هكذا فيا «أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!». الأمر له علاقة بالإدانة، حين نتحدث عن عيوبنا وعيوب الآخرين.

ومَنْ يحاور أباه الروحي ويناوره، فينظر إليه كثيرًا ويقول له: اشفِ نفسك، أنت أكثر من يعرف ضعفه، وقديمًا قال داود النبي «أنا عارفٌ بإثمي...» (مزمزر ٥٠)، أو أنا طبيب نفسي. والأباء يقولون: "كلنا يعرف كيف يخلص ولكننا لا نريد أن نخلص". ولكي يشفي الإنسان نفسه يحتاج إلى صدق مع النفس وإلى إرادة قوية وروية. ويقول القديس بولس «لأنْ مَنْ مِنَ النّاسِ يَعرِفُ أُمورَ الإنسانِ إلّا روحُ الإنسانِ الّذي فيهِ؟ هكذا أيضًا أُمورُ اللهِ لا يَعرِفُها أحَدٌ إلّا روحُ اللهِ» (كورنثوس الأولَى ٢:١١).

هناك أمور لا يعلمها إلّا الإنسان نفسه، فهو الذي يعرف خطاياه ونواياه، في حين أن الناس لهم الظاهر فقط، كما أن أب الاعتراف لا ينتزع الاعتراف وانما يسمع فقط المعترف، فهو لا يحقّق معه ولكنه يساعده فقط في التخفُّف من خطاياه.

تبني بيوتًا للآخرين وما زلت تحيا في العراء، باب النجار مخلّع، وحوائط البناء مُهدّمة. وفي بيت العلماء يوجد الفاسدون، وفي بيوت الأتقياء يوجد الأشرار. أنا أعرف أن هناك الكثير من الابناء صاروا عارًا لذويهم، وأذكر منهم أولاد عالي الكاهن: حفني وفينحاس، حتى أن أباهم عوقب بسببهم.

ولكن مرض الطبيب لا يقعده عن ممارسة الطب، فالعديد من الأطباء يمارسون عملهم لآخر وقت وقد يكون نوع مرضه في نفس تخصصه.. وكذلك خطايا الشخص لا توقفه عن الخدمة، بل يخدم نفسه مع الباقين، ويعالج ذاته مع الباقين، وقد يكون فيما هو تألم يقدر أن يعين المُجرَّبين أيضًا. كما أنه

بإمكان الإنسان - كطبيب - أن يتخذ إجراءات وقائية، فلا يخطئ ولا يسيء إلى جسده، ولا يسيء إلى الآخرين الخ... هكذا كطبيب يعرف طعامه وخطاياه وخباياه.

ومن هنا فالإنسان طبيب نفسه كما يقولون، هو الذي يشعر بالألم وويحدد مكانه، وهو الذي يعرف متى تحسن. رووا لي عن شخص أجرى تحاليل كثيرة وإشعات وخضع للكشف الطبي من أطباء كثيرين، وبينما أجمع الجميع على أنه سليم كان هو يشعر بالتعب، ولم يزل هكذا حتى اكتشف واحد منهم انسداد شريانين لم تظهرهما الاشعات..

ويحدث مع بعض السيدات أن تتبع الكثير من الأنظمة الغذائية، وتتردّد على الكثير من عيادات التخسيس، ولكن الأمر يحتاج إلى أن تعالج نفسها بنفسها، فهي تعرف كيف تضبط نفسها وعما تمتنع، فمهما وصف الطبيب ونصح يتبقى أن الإنسان هو طبيب نفسه. قال لي طبيب إنه طالما المريض توقف عن الاستشارة وتناول الدواء، فهو مؤشر على شفائه.

«أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!» لأنه ماذا تنتفع إذا ذاع صيتك بينما فقدتَ صحتك وحياتك؟ أفما أوفق لك أن تُشفى أنت أولًا، لأنه ماذا ينتفع الإنسان إذا ربح العالم كله وخسر نفسه؟

«فأنتَ إذًا الّذي تُعَلِّمُ غيرَكَ، ألَستَ تُعَلِّمُ نفسَكَ؟

الّذي تكرِزُ: أنْ لا يُسرَقَ، أتَسرِقُ؟

الّذي تقولُ: أنْ لا يُزنَى، أتَزني؟

الّذي تستَكرِهُ الأوثانَ، أتَسرِقُ الهَياكِلَ؟

الّذي تفتَخِرُ بالنّاموسِ، أبِتَعَدّي النّاموسِ تُهينُ اللهَ؟» (روميةَ٢:٢١-٢٣).

السامري الصالح الحنون (لو ١٠: ٢٥-٣٧)

من أجمل الأمثال التي نطق بها السيد المسيح... وهو ببساطة شديدة شخص تعرض لمحنة، وبينما تخلّى عنه ذووه، أعانه أحد الغرباء! وجاء المثل ليحدّد من هو القريب؟ كان القريب هو العائلة، ثم اتسع ليشمل كل يهودي، وعندما قال الناموس «تُحِبُّ قريبَكَ وتُبغِضُ عَدوَّكَ» (مَتَّى ٥:٤٣)، كان يقصد الوثنيين. والرب هنا يطلب أن يتسع القلب للكل.

وجاء المثل ليرد على تساؤل الشاب الناموسي عن الوصايا، لقد وضع المسيح وصية «تحب قريبك كنفسك»، في مستوى «تحب الرب إلهك»، وكان الشاب قد سمع من قبل عن ذلك، وتعبير «أرادَ أنْ يُبَرِّرَ نَفسَهُ» يُقصَد به أنه أراد أن يبرّر السؤال رغم معرفته، وكأنه يقول: نعم قريبي مثل نفسي، ولكن تُرى: «مَنْ هو قريبي؟».

سأله الرب: «كيفَ تقرأُ؟» وليس "ماذا تقرأ؟.. وهناك فرق بالطبع بين الاثنين، فكيفية القراءة تعني بأيّ روح تقرأ، هل بروح التلمذة أو الصلاة؟ وهل يُعتبَر الكلام مُوجَّهًا من الله له أم مجرد معرفة؟ وقِس على ذلك كيف تصلي وكيف تخدم وكيف تفكر... الخ.

ولكن لنا في هذا المثل دروس كثيرة:

+ **اختيار السيد المسيح للأمثال كمنهج للتعليم** جاء بسبب حب الناس للقصص الشعبي والملاحم، وكذلك بسبب بساطتهم، ومن ثَمّ قد لا يحتملون الصياغات اللاهوتية، ولذلك كان الرب يسوع بسرد القصة بأسلوب شيّق، وفي

النهاية يضع الخلاصة أو رأيه هو؛ مثل: «وأنا أقولُ لكُمْ: اصنَعوا لكُمْ أصدِقاءَ بمالِ الظُّلمِ...» (لوقا ١٦:٩)، أو «اسمَعوا ما يقولُ قاضي الظُّلمِ. أفَلا يُنصِفُ اللهُ مُختاريهِ...» (لوقا ١٨:٦-٧)، أو «فاسهَروا إذًا لأنَّكُمْ لا تعرِفونَ اليومَ ولا السّاعَةَ الّتي يأتي فيها ابنُ الإنسانِ» (مَتَّى ٢٥:١٣). ويقول القديسون الإنجيليون: «هذا كُلُّهُ كلَّمَ بهِ يَسوعُ الجُموعَ بأمثالٍ، وبدونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكلِّمُهُمْ» (مَتَّى ١٣:٣٤)، «وبدونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكلِّمُهُمْ. وأمّا علَى انفِرادٍ فكانَ يُفَسِّرُ لتلاميذِهِ كُلَّ شَيءٍ» (مَرقُسَ ٤:٣٤)، «قد كلَّمتُكُمْ بهذا بأمثالٍ، ولكن تأتي ساعَةٌ حينَ لا أُكلِّمُكُمْ أيضًا بأمثالٍ، بل أُخبِرُكُمْ عن الآبِ عَلانيَةً» (يوحَنا١٦:٢٥)، «وبأمثالٍ كثيرَةٍ مِثلِ هذِهِ كانَ يُكلِّمُهُمْ حَسبَما كانوا يستطيعونَ أنْ يَسمَعوا» (مَرقُسَ ٤:٣٣).

واستخدام الأمثال في التعليم قديم جدا في الكتاب المقدس، ما بين الأمثال القصيرة جدًا والتي هي عبارة عن خُلاصات الخبرة مثلما ورد في أمثال سليمان وحكمة سليمان ويشوع بن سيراخ وغيرها، بل أن السيد المسيح استخدم هذا النوع من الخلاصات حين أورد بعض الأمثال المعروفة آنذاك مِثل «علَى كُلِّ حالٍ تقولونَ لي هذا المَثَلَ: أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ!» (لوقا ٤:٢٣)، «ويقولونَ: زَمَّرنا لكُمْ فلَمْ ترقُصوا! نُحنا لكُمْ فلَمْ تلطِموا!» (مَتَّى ١١:١٧)، «لأنَّهُ في هذا يَصدُقُ القَوْلُ: إنَّ واحِدًا يَزرَعُ وآخَرَ يَحصُدُ» (يوحَنا ٤:٣٧). «قد أصابَهُمْ ما في المَثَلِ الصّادِقِ: «كلبٌ قد عادَ إلَى قَيئهِ»، و«خِنزيرَةٌ مُغتَسِلَةٌ إلَى مَراغَةِ الحَمأةِ».» (٢بُطرُسَ ٢:٢٢).

وفي العهد القديم نجد بعض من الأمثال، مِثل مَثَل الأشجار التي أرادت أن تقيم ملكًا عليها في قصة أبيمالك (قضاة٩:٧-١٥)، ويوآش الملك:

«فأرسل يهوآش ملكُ إسرائيل إلى أمصيا ملك يهوذا قائلًا: العَوْسَجُ الّذي في لُبنانَ أرسلَ إلى الأرزِ الّذي في لُبنانَ يقولُ: أعطِ ابنتكَ لابني امرأةً. فعبَرَ حيوانٌ بَرّيٌّ كانَ في لُبنانَ وداسَ العَوْسَجَ» (٢ملوك ١٤:٩)، وغيرها.

+ **أريحا من أقدم مدن العالم**، وكانت في ذلك الوقت أشهر مكان لإنتاج الفاكهة، وربما كان للاسم اريحا علاقة بذلك لأن معناه الرائحة الجميلة. وكان التجار قد اعتادوا النزول إليها لشراء الفاكهة وبيعها في أورشليم، وكانت تلك الطريق التي سلكها التاجر اليهودي في المَثَل طريقًا خطرة، وربما كانت قصيرة ولكنها محفوفة بالمخاطر، يكمن فيها اللصوص وقطاع الطرق، طول الطريق ٣٧ كم، منحدرة جدًا من ارتفاع ١٠٠٠ متر، تمر بصحراء مخيفة تتراكم فيها صخور عشوائية تتغطى بطبقة حمراء من المنجنيز، وكانت تُسمَى طريق الدماء والطريق الحمراء. وورد عن بومباي القائد الروماني أنه هاجم اللصوص هناك. وفي القرن التاسع عشر ذُكِر أنه لابد أن يدفع العابر إتاوة للعصابات لكي يمرّ بسلام من هناك. وجاء عن الباحث مورتن أنه سنة ١٩٣٠ حذّره الناس من "ابو جلدة" الذي يخطف السواح وينهب السيارات ويهرب هناك من البوليس. وربما كان هذا الطريق ضمن طرق أخرى كانت في ذهن السيد المسيح حين أكد على أن الطريق التي توصّل هي خطرة بقدر ما هي مضمونة، فإن الطرق الواسعة الرحبة قد يتوه الإنسان فيها: «أُدخُلوا مِنَ البابِ الضَّيِّقِ، لأنَّهُ واسِعٌ البابُ ورَحبٌ الطَّريقُ الّذي يؤَدّي إلَى الهَلاكِ، وكثيرونَ هُمُ الّذينَ يَدخُلونَ مِنهُ!» (متّى ٧:١٣).

+ **جاء مَثَل السيد المسيح ليردّ على الطائفية والعنصرية والتعصُّب**، الإنسان المحتاج أيّ نوع من الاحتياج، هو نموذج للبشرية المُعذَّبة، فالمرأة

الكنعانية لم تكن يهودية، والمرأة التي أمسِكت في ذات الفعل لم تكن مستحقة بحسب المتشدّدين الدينيين، والفقير الذي يستعطي عند باب الجميل لم يكن بالضرورة شخصًا تقيًا، وقائد المئة كان وثنيًا رومانيًا... والسيد المسيح حسم الأمر بقوله «"**كل**" من سألك فأعطه»، ليس من جهة الانتماء فقط، بل ومن جهة الاستحقاق أيضًا. كان اليهود لهم حساسية خاصة مع الوثنيين، لقد كرهوا العشارين رغم كونهم يهودًا لأنهم إنما يعملون لحساب الرومان الوثنيين، كما شمتوا بالذين قُتِلوا في برج سلوام لأنهم عملوا مع الرومان في مشروع المياة الشهير، بل أن اليهود حرّموا مساعدة المرأة الأممية عندما تلد لأنها ستأتي بوثني جديد الى العالم! الهراطقة يُلقَون في الحفرة، كما كانوا يقولون إن العدو الشخصي يُستثنى من المحبة.

+ إن ما فعله السامري مع اليهودي، يذكرنا بمن يتبرع بدمه لأي شخص، وبمن ترضع طفلًا مهما كان انتماؤه، ومن يحمل مصابًا في حادث سيارة أو عمارة أيًا كان دينه؛ فالمحبة كالنور تنتشر في كل مكان دون تمييز.. لقد أحسن السامري إلى اليهودي، مثلما يحسن مسلم إلى مسيحي ويجبن مسيحي عن ذلك. توقع اليهود أن يذكر المسيح شخصية يهودية خيّرة، ولكنه فاجأهم بأن اختار سامريًا.

+ **هناك فرق بين عمل الرحمة والالتزام بالإيمان السليم**، فلا تُعطى الصدقة على أساس الاعتقاد، ولا تُستغل الصدقة في الاقتناص، وبهذا تكون هناك شكل من أشكال المتاجرة الرديئة. ولا يليق اجتذاب المخدومين لطائفة من الطوائف عن طريق تسديد الاحتياج الضروري. ولا يليق أن يكون الزواج هو سبب الانضمام إلى طائفة دون الأخرى، أو دين دون الآخر. بل ليكن

الإيمان أمرًا منفصلًا وليس للوصول إلى غرض ارضي. ربما عمل الرحمة والتعامل الراقي وإحساس المتلقي بشفافية وصدق المحسن يؤثر فيه كثيرًا، وهنا تحضرني واقعة إحسان أهل إسنا للجنود ومن بينهم الأنبا باخوميوس، وكيف تأثر جدًا من هذه اللفتة، ومن المؤكد أن أهل إسنا لم يبشروا الجنود بالمسيحية!

+ **لماذا السامري بالذات؟** كان اليهود عندهم سبع طوائف هناك حساسية في التعامل معهم: الفريسيون والصدوقيون والناموسيون والكتبة والهرادسة والغيوريون والأسينيون، غير أن جميع هؤلاء كانوا في عداء مع السامريين. وترجع الخلافات بين اليهود والسامريين منذ انشقاق المملكة في عهد رحبعام، ثم السبي الأشوري واختلاط دماء السامريات بدماء الرجال الوثنيين الذين أتى بهم الأشوريين ليحيوا هناك. وربما كان في ذكر الأزواج الخمسة الذين عاشت معهم السامرية إشارة إلى البلاد الخمس التي اتى منها اولئك الرجال: بابل، كوث، عوا، حماة، سفروايم. ثم زواج شقيق رئيس الكهنة بامرأة سامرية، ثم بناء هيكل جرزيم في جبل عيبال، ثم رفض اليهود اشتراك السامريين في بناء الهيكل وتقديم الذبائح، واستقلال السامريين بتقويم لهم وليتورجيا وتوراة.. بل وفي حادثة إلقاء عظام أموات في الهيكل، ووصل الكره إلى درجة مطاردة الأطفال لأي رجل سامري يوجد لأمر ما في أورشليم، وكذلك التطهر من ظل سامري مرّ على يهودي يصلي! وبالإجمال نظر اليهود إلى كل ما هو سامري نظرة نجاسة وريب. ونلاحظ ذلك في سؤال السامرية الاستنكاري «كيفَ تطلُبُ منِّي لتشرَبَ، وأنتَ يَهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامِريَّةٌ؟» (يوحنا ٤:٩). اختلطت السامرية بعشرين إلهًا وثنيًا، وكان السامريون يتجمعون ليشتموا الحجاج اليهود

حال دخولهم أورشليم، بل قال الربيون اليهود إن ماء السامرة أنجس من دم الخنزير. ومن ثَمّ أراد الرب أن يلقنهم درسًا في محبة الجميع، وأن القريب هو كل إنسان وأي إنسان في احتياج ما، وأن ينفتح القلب على الكل بمحبة مسيحية. يقول العلامة جيروم: "نحن أقرباء كل البشر إذ لنا أب واحد".

+ **قصة النازل من أورشليم إلى أريحا**، هي قصة البشرية المنحدرة من السماء الى حضيض الخطية، حيث تشير أورشليم الى السلام كما هو واضح من الاسم، بينما تشير أريحا الى الشهوات العالمية. وقد عجز الناموس عن انتشال الإنسان وتخليصه فقد كان قاصرًا، هذا يفسر لنا لماذا لم يساعده الكاهن، كان السبب الظاهري هو ارتباطه بالخدمة الكهنوتية أي الطقس، وكذلك اللاوي وهو ما يقارب الشماس الآن في الكنيسة، ويُقال إنه خشي أن يكون الرجل المُلقى هو مجرد طُعم يصطاد به المجرمون فرائسهم من المارة، وربما كان الخوف من التنجُّس بلمس شخص قد يكون ميتًا سببًا رئيسيًا في حرمانهم من مساعدته، لئلا يُحرَما من ممارسة الخدمة الكهنوتية. استند القديس أمبروسيوس على هذا المَثَل في تبكيت أتباع نوماتيوس، والذين رفضوا قبول الراجعين من الهرطقات، مبينًا لهم أن السيد المسيح علمنا قبول الجميع.

أيًّا كان السبب فإنه لا يصحّ أن نتخلّى عن عمل المحبة مهما كانت الظروف، إلّا إذا امكن تأجيله حتى نهاية الطقس. إن الشعب مهما تأخر في الكنيسة بسبب أن الكاهن كان ينقذ أخًا لهم من الغرق، سيكون ذلك فخرٌ لهم ومدعاة ليس لالتماس العذر فقط وإنما لشكره أيضًا. إن الرب يؤكد كثيرًا أنه يريد رحمة لا ذبيحة، وذلك عندما يفعل الخير في السبوت، ويسمح لتلاميذه بأكل السنابل في السبوت، ولَمَس الأبرص مع أنه نجس. لقد سلمونا في

الرهبنة أنه يجوز قطع الصلاة في القلاية لتقديم عمل محبة لشخص يطرق الباب أثناء الصلاة.

هنا ونؤكد من جديد أن الكاهن في الكنيسة القبطية ليس مجرد "ليتورجست" مؤدي شعائر، بل هو أب وراعٍ ومدبّر وغاسل أقدام، وهو شفيع في أولاده يحمل همومهم ويطرحها قدام الله على المذبح، يصوم معهم ويصنع ميطانيات لأجلهم، وهكذا الشمامسة لخدمة الأرامل والأيتام والفقراء والمحتاجين، وكم مرة نسمع عن الآباء الذين يرافقون المرضى إلى المستشفيات ويسهرون معهم ويطعمونهم بانفسهم، لأن حمل الشخص الجريح في المثل يشير إلى حمل الراعي الغنمة المصابة (لوقا ١٥: ٤).

+ **المسيح هو السامري الصالح:** فهو الذي رفضه اليهود بنو جنسه: «إِلَى خاصَّتِهِ جاءَ، وخاصَّتُهُ لَمْ تقبَلْهُ» (يوحَنا ١: ١١)، وقد شتمه اليهود المتشدِّدون في يوحنا ٨ قائلين: «أَلَسنا نَقولُ حَسَنًا: إنَّكَ سامِريٌّ وبكَ شَيطانٌ؟» (يوحنا ٨: ٤٨)، ولكن المسيح هو السامري، ولكنه السامري الصالح وليس به شيطان، فقد أحسن اليهم وعلمهم وشفى مرضاهم وأقام موتاهم، بل ومات من أجلهم، ولكنهم كانوا يسخرون منه. هذا ينبهنا أيضًا إلى ضرورة الاستمرار في عمل الخير سواء بشكر أو مذمّة، مثلما خدم القديس بولس بصيت حسن وصيت رديء، وألّا ننتظر الشكر من الآخرين، فالمسيح هو السامري الصالح، "الحارس الصالح" الذي لا ينعس ولا ينام (مزمور ١٢١: ٤)، إذ أن سامر من شامر ومعناها حارس. لذلك يقول الرب عن الرعاة غير الأمناء: «جميعُ الّذينَ أتَوْا قَبلي هُم سُرّاقٌ ولُصوصٌ» (يوحنا ١٠: ٨).

ويشير تعبير «تحنّن» (لوقا ١٠:٣٣)، إلى المسيح خصيصًا، فقيل عنه إنه تحنن على الابن الضال (لوقا ١٥:٢٠)، وتحنن على ابن أرملة نايين (لوقا٧:١٣)، وتحنن على الجموع إذ كانوا كخراف لا راعي لها وشفى مرضاهم (متى ٩:٣٦). كل اللاهوت والعقيدة ما لم تصب لصالح محبة الله والآخر فلا قيمة لها.

+ **الكنيسة هي الفندق**، والفندق أو النُزُل قديمًا كان يُسمّى مستشفى أو استقبال hospitality، وكان الناس يستريحون فيه أو يبيتون أو يُعالَجون أو كل ذلك معًا. هكذا الكنيسة للراحة والاستشفاء من كل الأمراض، ولا شفاء خارجها. كما يشير الخمر للإفخارستيا والزيت للروح القدس، وهما لا غنى للإنسان عنهما. وتضميد الجراح يعني في طيّاته قبول الخاطئ والذي وقع بين اللصوص الشياطين وآذوه كثيرًا. كما تشير الدابة إلى الكرازة، والتي تأتي بالمُتعَبين إلى الكنيسة بيت الله. والمسيح هو الشفيع فينا، وهو الذي ترفّق بنا ونزل الينا «لمّا رآه تحنّن»، وضمّد جراحنا، وتعرّى ليكسونا (من المحتمل أن السامري استخدم بعضًا من ثيابه لربط الجروح)، ودافع عنّا، واقتنانا لله أبيه. ويشير الرجوع إلى المجيء الثاني من جهة، ومن جهة أخرى استعداد المسيح للغفران المتكرّر وغير النهائي «مهما أنفقتَ» (لوقا ١٠:٣٥).

ربما أخذ القديس إيسيذورس السكندري الفكرة من مَثَل السامري الصالح، فقد باع ممتلكاته وافتتح دارًا للغرباء والفقراء، وانتشرت هذه البيوت وسُمِّيت فيما بعد "تكية" وجمعها "تكايا"، وهي لفظة قبطية معناها خلوة، أي المكان الذي يستجمّ فيه الإنسان، ويستعيد عافيته. إن كلًّا من الكاهن واللاوي استعرضا الحالة، مثلما نحن نجمع الإحصائيات حول الذين يموتون من الجوع

والحوادث، ونحلّل النتائج، ولكن الجهد وقف عند هذا الحد! نشجب وندين ونستنكر ولكننا لا نفعل أكثر من ذلك.

+ **عند رجوعي أوفيك:** عبارة لها معنيان. الأول: مكافأة الرب عند مجيئه الثاني للذين يتعبون في الكنيسة بكل درجاتهم، والآخر أن الكنيسة تأخذ من المسيح لتنفق على أولادها، تأخذ الحب والبذل ورصيد الغفران... الخ.

+ **المتابعة هامة جدًا وعدم الاكتفاء بتلامس وقتي:** لم يكتفِ هذا السامري النبيل بما فعله مع الجريح من إنقاذ حياته إلى حمله والتوصية عليه، بل أمضى الليلة معه وهو ما نسميه التواجد والمرافقة، مثلما يحدث في الجنازات، ينصرف الجميع بعد تقديم واجب العزاء بينما يتبقى البعض يواسي ويبات إلى جوار المتألم يشاركه بالفعل، والذي يذهب مع الشخص للطبيب والذي يرافق الذي أجرى جراحة وغيرها.

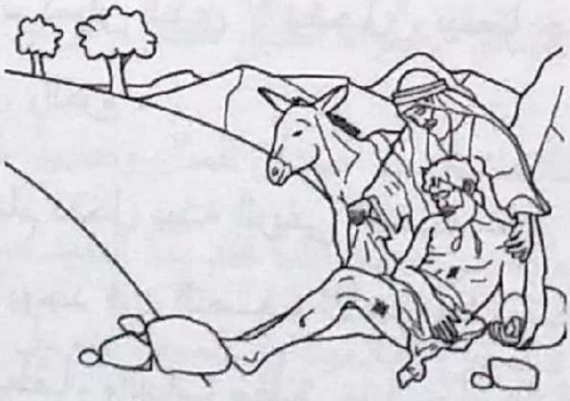

فلسفة اللجاجة في الصلاة (لو ١١: ٥-١٣)

«أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ» (لوقا ١١:٨)

الحقيقة أنني لا أعرف بالضبط من هو الشخص الذي عُنوِن به المثل، لذلك سوف أسمّيه مثل "الأصدقاء الثلاثة"، فهم في الواقع: صاحب البيت الذي باغته ضيف في غير مواعيد الزيارة التقليدية، وضيف له ظروفه التي اضطرّته لمفاجئة مضيفه، ثم الرجل الذي هدّه شقاء اليوم فخلد إلى الراحة، غير أنه من المؤكد أن الطرف الأخير هو الذي يأخذ دور الله في المثل.

يقوم المثل على أساس اللجاجة وخيرية الله وثقة الطالب، هذه الثقة التي يسندها الرجاء وسلاحها الإلحاح، إذ كيف يحصل الطالب على احتياجه في النهاية رغم الصعوبة الواضحة، حتى لقد جاء الإلحاح أو اللجاجة في اللغة الاصلية بمعنى "الاستمرار الذي لا يخجل"، بينما جاء الإنصاف بمعنى "الظهور بمظهر النُبل والكرم".

كان الصديق ينام داخل بيته الريفي البسيط على المصطبة والتي تمثّل نصف البيت، بينما يوجد في النصف الآخر ما يمتلكه من حيوانات ريفية بسيطة. المصباح مُطفأ، والباب مُغلَق منذ حلّ الليل بالمتاريس القوية – عَرضية وطولية – خشية اللصوص، ومن ثَمّ فإذا غالب نعاسه وقام فقد يتعثّر في أولاده النائمين أو الحيوانات، ثم إن فتح الباب يحتاج إلى جهد جهيد، ومن

ثمّ اعتذر بأدب لصديقه، غير أنه تحت ضغط الإلحاح والصداقة من جهة السائل، والخجل والنُبل من جهته هو، قام مغلوبًا من محبته ولبّى الطلب.

ومن المفرح أن يظهر الله هنا كصديق، كما تظهر الصداقة نفسها بغير حدود، فقد استطاع السائل أن يحنِّن أحشاء الله، فظهر الله مغلوبًا من محبته. لذلك فاللجاجة ليست إذلالا للسائل، وإنما سببٌ لتنازل الله واستجابته، ومن هنا تُظهِر اللجاجة استعطافًا من جهة، واستعدادًا لنوال المطلوب من جهة أخرى: «يَا سَامِعَ الصَّلاَةِ، إِلَيْكَ يَأْتِي كُلُّ بَشَرٍ» (مزمور ٦٥:٢). إن الله يريد أن يلهب قلوبنا بالصلاة وأن نلجأ اليه كأب لنا، وفي كل مرة ترتفع فيها درجة اللجاجة ترتفع درجات السلّم للاتحاد بالله.

عندما وقف الأب أنطونيوس بباب المغبوط بولا، تذلّل أكثر من مرة، ويأتي الجواب بالرفض، فلم ييأس لثقته فيمن يقف ببابه، حتى فوجئ بالقديس بولا يفتح باب مغارته، ثم ذراعيه ليحتضن ضيفه مبتسمًا، وكان في الواقع متشوّقًا إلى رؤياه. ما أشبه موقف صديق نصف الليل مع صديقه بصداقة القديسَين بولا وأنطونيوس، ومن اللطيف أن يُشفع طلبه بالوعد الإلهي في مثل صديق نصف الليل: «اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ» (لو ١١:٩).

في قصة المرأة الكنعانية نجد صدىً للمثل وتطبيقًا له: دالة وتوسُّل وثقة من جهة المرأة، واستجابة من جهة الله؛ فقد بدا السيد متمنّعًا في البداية، فلا استجاب لصراخها ولا لالتماس التلاميذ ولا لسجودها، بل لقد وجّه لها ما يبدو أنه إهانة بأنه «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ»، ولكنّ المراة لم تيأس، بل تسلّحت بذات الأسلحة، فقد تشفّع فيها التلاميذ أولاً ولكنه لم

يستجب، غير أنه استجاب في النهاية، معوّضًا إيّاها ليس بتلبية طلبتها فحسب، وإنما بالشهادة بعظم إيمانها: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ» (متى ١٥: ٢١-٢٨).

وأنت إذا تذلّلت وتأخّر الجواب فقل: إنه يعطيني "ما يبنيني لا ما يرضيني"، أو "يعطيني حسب الاحتياج وليس حسب الطلب". إن الآباء الجسديين قد لا يلبّون رغبة أبنائهم في الحال، رغم الإلحاح، ولكنهم قطعًا سوف يستجيبون بالشكل الأفضل وفي الوقت الأنسب، وإذا أراد الطفل أن يأكل حجرًا فإن أباه سوف يمنعه ليعطيه خبزًا! وإذا أراد أن يأكل عقربًا متخيّله بيضة، فلسوف يمنعه قطعًا ويهبه بيضة!

فإذا كان من بين أصدقائكم الذين ينامون من يحرّكه الحب والثقة واللجاجة ليهبكم احتياجكم، فكم بالحري الله الذي لا ينام وهو أبو الرأفة والرحمة، ولكنه يبطئ في الاستجابة عن عمد لتتضاعف الغيرة والإلحاح وتمعن في الطلب بثقة.

وأخيرًا.. نلاحظ أن السيد المسيح عندما قال: «أَقُولُ لَكُمْ»، كان ذلك أشبه ما يكون بسرٍّ يعلنه لنا، كذلك قوله في التطبيق على المثل: «اسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا، اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ» كان ذلك أشبه ما يكون بالقسَم، مثل قوله: «الحق الحق اقول لكم ...».

مَثَلُ الغنيّ الغبيّ (لو ١٢: ١٦-٢١)

«وضَـرَبَ لهُـمْ مَـثَلًا قـائلًا: «إنسـانٌ غنـيٌّ أخصَبَتْ كورَتُـهُ، ففكَّرَ فـي نَفسِـهِ قـائلًا: مـاذا أعمَلُ، لأنْ ليس لـي مَوْضِعٌ أجمَعُ فيـهِ أثماري؟ وقـالَ: أعمَلُ هذا: أهدِمُ مَخازِني وأبني أعظَمَ، وأجمَعُ هنـاكَ جميعَ غَلّاتـي وخَيراتـي، وأقولُ لنَفسـي: يـا نَفسُ لـكِ خَيراتٌ كثيرَةٌ، مَوْضوعَةٌ لسِنينَ كثيرَةٍ. اِستَريحي وكُلي واشرَبي وافرَحي! فقالَ لهُ اللهُ: يا غَبيُّ! هذِهِ اللَّيلَةَ تُطلَبُ نَفسُكَ مِنكَ، فهذِهِ الّتي أعدَدتَها لمَنْ تكونُ؟ هكذا الّذي يَكنِزُ لنَفسِهِ وليس هو غَنيًّا للهِ».» (لوقا ١٢:١٦-٢١).

أخصبت كورتـه بمعنـى أنها أثمرت بشكل مُضاعَف علـى غير المتوقع، مثلما حـدث مـع أبينـا إسحق والـذي أعطـت أرضـه أضـعاف المعتـاد «وزَرَعَ إسحاقُ في تِلكَ الأرضِ فأصـابَ فـي تِلكَ السَّنَةِ مِئَـةَ ضِـعفٍ، وبـارَكَـهُ الرَّبُّ» (تكوين ٢٦:١٢)، ولكن أبانـا إسحق لم يفكر بهذه الطريقة ولم يتكبّر قلبـه، وأتذكر أن بعض الإخوة قالوا للقديس يوحنا القصير: «الشكر لله يا أبانا، إن هذه السنة أمطرت أمطارًا كثيرة، وقد شرب النخلُ ورُوي وها هو يُخرج السعفَ ليجدَ الإخوةُ حاجتهم منه لعمل أيديهم». أما هو فقال لهم: «إن نعمةَ الروحِ القدس إذا ما حلَّت في عقلِ إنسانٍ أرْوَتـهُ وجدَّدته ليُخرج أثمارًا تصلحُ لعملِ الله». وقد يكون الإخصاب هنا بمعنى ارتفاع سعر المحصول بشكل مفاجئ على غير المتوقع، عرض وطلب.

١ – **ماذا أعمل؟** فقد الغني اتزانه وكاد لا يصدق ما حدث، وهرول يمينًا ويسارًا بغير تعقُّل، و"ماذا أعمل؟" هنا هي نقطة التحول، ونقطة الارتكاز، وحساب النفقة، ومراجعة النفس، والوقفة التي يتحدّد على نتائجها المستقبل؛ فالابن الضال فكّر في نفسه، وقاضي الظلم فكر في نفسه، ووكيل الظلم، وصديق نصف الليل فكر في نفسه، «مَعموديَّةُ يوحَنا: مِنْ أين كانت؟ مِنَ السماءِ أم مِنَ النّاسِ؟». ففكَّروا في أنفُسِهِمْ قائلينَ: «إنْ قُلنا: مِنَ السماءِ، يقولُ لنا: فلماذا لَمْ تؤمِنوا بهِ؟» (مَتَّى ٢١:٢٥). والبعض فكّر ولم يتخذ القرار السليم، مثل هيرودس الذي اغتم ولكنه قرّر قتل يوحنا، ومثله بيلاطس...

٢ – **سُمّي بالغبي لأنه حسبها بطريقة خاطئة...** من يبيع الغالي بالرخيص غبي. من يتعلّق بالأرض ينقطع عن السماء، ومن تعلّق بالسماء ينقطع عن الأرض. ومن اهتم بالجسد والطعام والشراب حوّل حياته إلى مجرد جسد وأظلم عقله، وأمّا من اهتم من حطام العالم بالقوت الضروري والكساء وما هو ضروري، هذا يستنير عقله. الإنسان محصور بين الأرضيات والسمائيات، والأبديات والزمنيات، والفانيات والباقيات؛ بعض الناس باعوا أبديتهم ببعض التوافه، والبعض الآخر باع التوافه ليشتري الأبدية. هذا هو الغباء والذكاء، الحكمة والجهل. كما أنه حسبها خطأ من جهة الزمن، فهو لم يدرك أن حياته قد تُسلَب فجأة. هذا هو الفرق بين الغني الغبي والغني الذكي.

٣ – **ماذا كان ينبغي أن يعمل ذلك الغني عندما أخبروه بأن المحصول وفير؟** أن يزيد عدد من يساعدهم، وأن يزيد قيمة المساعدة، وأن يقدم ذبائح شكر، وأن يقدم بكوره لله... ولكن أول ما فكر فيه هو إنشاء المخازن الضخمة، ونسى أن الله يرث الأرض ومن عليها، بل يرث الأرض والمال

الناس. فأين هو الآن؟ السؤال هو: لو فزت مليون جنيه فجأة، ما هو أول ما تفكر فيه؟ هل تشعر وكأنه حلم؟ (قرأتُ أن هناك من سقط ميتًا حالما أُبلِغ بذلك، وهناك من أضاع وثيقة استحقاقه للمبلغ، وهنا من تبرّع بها للمشردين وغيرهم).

٤- يقول أحد الآباء القديسين: "المال يشتري لك: سريرًا لا نومًا، طعامًا لا قابلية، منزلًا لا بيتًا، تسلية لا سعادة، ساعة وليس عمرًا، ثيابًا وليس سترًا.. صليبًا لا مخلّصًا؛ وما يعجز المال عن شرائه لك، يهبك إيّاه الرب يسوع المسيح مجانًا بغير مقابل!

٥- **القصة غالبا لها خلفية عند السامعين،** فقد ورد في يشوع بن سيراخ «رُبَّ غَنِيٍّ اسْتَغْنَى بِاهتِمَامِهِ وَإِمْسَاكِهِ، وَإِنَّمَا حَظُّهُ مِنْ أُجْرَتِهِ، أَنْ يَقُولَ: «قَدْ بَلَغْتُ الرَّاحَةَ، وَأَنَا الآنَ آكُلُ مِنْ خَيْرَاتِي»، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَمْ يَمْضِي مِنَ الزَّمَانِ حَتَّى يَتْرُكَ ذلِكَ لِغَيْرِهِ وَيَمُوتَ» (سيراخ ١١:١٨-١٩). وقد لا يموت ولكن ينفقها في علاج، وقد لا يموت ولكنه يُسرَق من اللصوص، أو يُكتشَف أنه ليس غنىً حقيقيًا بل "فالصو".

٦- **هكذا الذي يكنز لنفسه وهو ليس غنيا لله أو بالله أو لحساب الله:** الله هو النقطة الثابتة وكل غنى خارجه هو فقر وعوز، ولكن الله فيه الشبع الحقيقي، وهناك من يتجمّل بالفضائل ويغتني بالصفات الجميلة، ومن يغتني بالسلام ومحبة الناس، ومن يغتني بالصحة أو الستر كما يقولون، المهم أن تكون غنيًا بالله ولله..

٧- **ارتبط المثل في هذا الاصحاح بالحديث عن الميراث وتقسيمه حيث** ورد: «وقالَ لهُ واحِدٌ مِنَ الجَمعِ: «يا مُعَلِّمُ، قُلْ لأخي أنْ يُقاسِمَني الميراثَ».

فقالَ لهُ: «يا إنسانُ، مَنْ أقامَني علَيكُما قاضيًا أو مُقَسِّمًا؟».» (لو١٢:١٣-١٤). والكنيسة تعلم بقانون المحبة ألّا يتشاجر الإخوان والأهل، ولا تميل لطريقة معينة للتقسيم، ولكن القناعة والمحبة هما قانونها، وأضعف الإيمان هو المساواة بين الأطراف. والسيد المسيح يعطي هنا درسًا للرعاة ألّا يقيموا من أنفسهم قضاة وفنانين وتجارًا، لقد رفض الرب التجارة في بيته، وأراد أن يقول: أنا راعٍ ولست قاضيًا ولست تاجرًا ولست خاطبًا... الخ

العجيب أنه وبينما كان المسيح يتحدث عن التجارب والضيقات، طلب منه هذا الرجا أن يتدخل في تقسيم الميراث. إن هذا معناه انشغال السامع بقضايا أخرى غير ما يتكلم به الواعظ، مثل الذي يسأل عن سعر الدولار وعمر هذه الحوائط، أو نتكلم في موضوع لاهوتي فيفاجئنا الناس بسؤال في الارتباط في سن صغير، وبينما يتحدث الواعظ عن الموت في الجنازة، يتشاجر الإخوة حول وراثة المتوفي.

٨- وتحدث الرب كثيرًا عن عدم الاهتمام بالطعام والشراب والثياب، وبكّتنا بالطيور والزنابق، ولفت انتباهنا إلى أنه أعطانا ما هو أغلى من هذه الأشياء الصغيرة، فهل تتفوق علينا الطيور من جهة الثقة في الله؟ إن الإنسان هو الذي جعل الحياة مُركّبة وليست بسيطة، سواء من جهة الطعام fast food أو الثياب الممزقة وغيرها.

٩- قال لهم أيضًا: «انظُروا وتَحَفَّظوا مِنَ الطَّمَعِ، فإنَّهُ مَتَى كانَ لأحَدٍ كثيرٌ فلَيسَتْ حَياتُهُ مِنْ أموالِهِ». إن المال في حد ذاته ليس شرًا بل خيرًا، ويمكن بالمال أن نحل مشاكل، ونطعم ونكسو ونعالج؛ ولكن الطمع خطية، الأغنى خطية، السعي له خطية، ومحبته خطية، والاغتناء من طرق شريرة

خطية. وحياة الإنسان ليست من أمواله بدليل أن الطب يعجز أمام مريض رغم غناه ورغم كل الأجهزة الحديثة. المال ليس ضامنًا للحياة، وكم من مشرف على الموت كان ينظر بحسرة إلى المال المُكدَّس فلا هو مدّ في حياته ولا هو سيذهب معه. قرأنا ما قاله أبونا ابراهيم لابن أخيه لوط: «لا تكُنْ مُخاصَمَةٌ بَيني وبَينَكَ، وبَينَ رُعاتي ورُعاتِكَ، لأنَّنا نَحنُ أخَوانِ. أليسَتْ كُلُّ الأرضِ أمامَكَ؟ اعتَزِلْ عَنّي. إنْ ذَهَبتَ شِمالًا فأنا يَمينًا، وإنْ يَمينًا فأنا شِمالًا» (تَّكوينُ ١٣:٨-٩)... وفي النهاية كسب الذي زهد في الأرض التي كجنة الله.

١٠- هذ الذي أعددته لمن يكون؟ سؤال حكيم أو ساخر يُعبِّر عن غباء مَن يتكل على جَمْع الخيرات والثروات لتأمين مستقبله بعد الموت، لكنه يترك كل شيء على الأرض. يعلق على ذلك القديس يوحنا الذهبي الفم: "إنك تترك كل الأشياء هنا، وتخرج صفر اليدين". وفي هذا الصدد قال سفر الجامعة: «رَجُلٌ أعطاهُ اللهُ غِنًى ومالًا وكرامَةً، وليس لنَفسِهِ عَوَزٌ مِنْ كُلِّ ما يَشتَهيهِ، ولَمْ يُعطِهِ اللهُ استِطاعَةً علَى أنْ يأكُلَ مِنهُ، بل يأكُلُهُ إنسانٌ غَريبٌ. هذا باطِلٌ ومُصيبَةٌ رَديئَةٌ هو» (الجامِعَةِ ٦:٢).

١١- هل هناك ظلم من الله في أن إنسانًا ما يحلو له أن يغتني ويأكل ويشرب ويمرح، فلماذا يتضايق الله من هذا؟ كلّا! الله يود من محبته أن يلفت الانتباه أن مثل هذه الملذات لا يمكن أن تسعد، وإنما الإنسان بطبعه طمّاع ولا يكتفي ولا يقنع، بل إلى المزيد يتجه اهتمامه، واللهو ينسيه الرحمة واقتناء الفضائل، والغنى الكثير له مخاطره إذ قد يوقع الإنسان في الكثير من الشرور، فإن خطايا الكثير من الأغنياء مرتبطة بغناهم.

١٢- الغني الغبي:

+ غبي لأنه فكَّر أنه بماله سيأكل ويشبع ويشرب ويرتوي، ولكن هيهات! فعن أمثاله قال الرب: «فيأكلون ولا يشبعون» (هوشع٤: ١٠)، وأيضًا: «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا» (يوحنا٤: ١٣)، ولهم قال: «من يُقبل إليَّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبدًا» (يوحنا٦: ٣٥).

+ غبي لأنه فكَّر أن أمواله ستعطيه الراحة والفرح، ونسي الرب الذي قال: «وأنا أريحكم».

+غبي لأنه اعتقد أن نفسه ملكه، ولم يعلم أنها ملك لمن أعطاها له: «ها كل النفوس هي لي. نفس الأب كنفس الابن. كلاهما لي» (حزقيال١٨: ٤).

+ غبي لأنه لم يختَر المكان الصحيح للاحتفاظ بثروته، ونسي العمل بوصية الرب: «لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء... لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا» (متى٦: ١٩-٢١). والنتيجة أنه وجد القبر لا المخازن، والعذاب لا الأفراح.

+غبي لأنه ظنَّ أن المال يضمن له كل شيء حتى العمر الطويل، ونسي أن الحياة أشبار وبخار، وأنه كخيال يتمشى الإنسان.

+ لم يفكر في الموت ولكن الموت "افتكره".

حسابُ النفقة (لو ١٤: ٢٥-٣٣)

تبعية المسيح ليست بالأمر الهين، ليست كمن يتبع أحد الفلاسفة أو إحدى المدارس الفكرية أو الاحزاب أو حركات النشطاء، أو كمن يلتحق بعمل ما أو دراسة ما، وإن كانت هذه تحتاج أيضًا إلى حساب نفقة.. ولكن تبعية المسيح هي شيء مختلف، حيث يتوجّب على التابع ترك كل شيء وترك كل أحد، كل شيء مما يمتلكه: البيوت والحقول والنقود والنفائس، والأشخاص كل من حوله: من الزوجة التي صار معها واحدًا، إلى الجد الذي يتلقى حنوه، والابن الذي تربطه به غريزة الأبوة.. وكذلك ترك شهواته أيضًا ورغباته الخاصة.

ليس ذلك فحسب، وإنما الاستعداد للتعب من أجله وحتى الموت، لقد قال القديس بولس الرسول: «إِنِ ابتَغَى أَحَدٌ الأُسقُفيَّةَ، فيَشتَهي عَمَلًا صالِحًا» (تيموثاوُسَ الأولَى ٣:١)، لأن الأسقفية كانت مرتبطة بالموت. ومن العجيب أن يؤمن البعض بالمسيح، ولا يكون هناك بين إيمانهم وموتهم سوى دقائق معدودة، فكيف أمكنهم ذلك؟!

كان أتباع الناصري مرذولين في البداية، ومحتقرين، ويُسمَّون "أتباع الطريق" أو "شيعة الناصريين". اضطهدهم اليهود ثم الوثنيون ثم الحكام الرومان وكهنة المعابد الوثنية وغيرهم. وكانوا يُضطَّرون إلى اقامة صلواتهم في السراديب، واُضطُر الكثير منهم إلى ترك بيوتهم ووظائفهم، بل وكثيرًا ما أبلغ بعض من أفراد الأسرة على البعض الآخر متى شكّوا في مسيحيتهم. وقد

وافقت الكنيسة في البداية على أن يخفي الشخص إيمانه ريثما يتقوّى، أو يدبّر أمور حياته.

«أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعطِيَ سلامًا علَى الأرضِ؟ كلّا، أقولُ لكُمْ: بل انقِسامًا. لأَنَّهُ يكونُ مِنَ الآنَ خَمسَةٌ في بَيتٍ واحِدٍ مُنقَسِمينَ: ثَلاثَةٌ علَى اثنَينِ، واثنانِ علَى ثَلاثَةٍ. يَنقَسِمُ الأبُ علَى الِابنِ، والِابنُ علَى الأبِ، والأُمُّ علَى البِنتِ، والبِنتُ علَى الأُمِّ، والحَماةُ علَى كنَّتِها، والكَنَّةُ علَى حَماتِها» (لوقا ١٢: ٥١-٥٣).

ثَمّة شرط آخر، ألّا يكون للمسيح شريك في حياة الشخص، بل المحبة "من كل القلب، ومن كل النفس، ومن كل الفكر، ومن كل القدرة"، ونحن نرتل في التسبحة قائلين: "نتبعك بكل قلوبنا". وقد نبّه الرب تابعيه أن تبعيته ليست مجرد نزهة أو طمع في مركز، ولكن على من يتبعه أن يستعد لحمل الصليب بكل أوجهه، وان تكون خدمته هي غسل الأرجل.

إذًا الشروط الثلاثة لتبعية المسيح هي: (١) ترك كل شيء وكل احد، (٢) وحمل الصليب، (٣) وحمل صورة المسيح في كل مكان. يُضاف إليها التشكيك من عدة أوجه فيه وفي الطريق بالتالي. ونقرأ عن يوحنا ويعقوب أنهما تبعاه للوقت تاركين شباكهما، وهكذا بقية التلاميذ.

وقد استخدم الرب مثلين ليشرح حساب النفقة، أولهما البرج الذي لا يليق أن يبدأ الشخص العمل فيه ثم يتوقف بسبب نفاذ المال، فيثير ذلك سخرية الناظرين، ومن جهته لا يستطيع أن يكمل، ولا يستطيع في الوقت ذاته أن يستعيد ما أنفقه أو هدم ما بناه. والمثل الثاني هو التسرُّع بالحرب ضد ملك

في حرب غير متكافئة، فإن كانت هناك فرصة للتفاوض فليجنّب نفسه الحرب بويلاتها.

ولقد ذكر الرب ذلك لأن بعض ممن تبعوه تراجعوا ولم يكملوا، والبعض جبنوا أمام العذابات فأنكروا، والبعض دخلوا الكهنوت والرهبنة والتكريس وندموا ولم يكملوا، أو كملوا بالجسد بعد أن بدأوا بالروح، كما أشار القديس بولس الرسول: «أهكذا أنتُمْ أغبياءُ! أبَعدَما ابتَدأتُمْ بالرّوحِ تُكَمَّلونَ الآنَ بالجَسَدِ؟» (غَلاطيَّةَ ٣:٣)، ويقصد بالغباء هنا عدم حساب النفقة.

ومن بين الأمور التي سيقابلها تابعوه، الإساءة إليه بالتقوّل عليه، والتشكيك في لاهوته من قِبَل الهراطقة، ونلاحظ ذلك عندما يعاني العابرون كثيرًا جدًا من مشاكل من هذا النوع، ومن ثَمّ ينبّه الإشبين كثيرًا على المقبل على الإيمان ليحسب حساب النفقة، لقد قال الرب إنهم سيطردونكم من مدينة إلى مدينة، «وتكونونَ مُبغَضينَ مِنَ الجميعِ مِنْ أجلِ اسمي. ولكن الّذي يَصبِرُ إلَى المُنتَهَى فهذا يَخلُصُ» (مَتَّى ٢٢:١٠).

من بين الذين لم يستطيعوا قبول النفقة، الشخص الذي طلب أن يبقى مع والده حتى يتوفى ويدفنه، والشخص الذي كان حديث التزوج، والثالث الذي كان يودّ أن يجرّب البقر في الحقل، والشاب الغني والذي اتخذ قراره على الفور برفض التبعية المشروطة. «وَفيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «يَا سَيِّدُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ، وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». وَقَالَ لآخَرَ: «اتْبَعْنِي». فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ». وَقَالَ آخَرُ أَيْضًا:

«أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ».» (لوقا ٩: ٥٧-٦٢).

وهناك من كان موقفه مائعًا مثل فيلكس الوالي حين تكلم معه القديس بولس «وَبَيْنَمَا كَانَ يتكلَّمُ عن البِرِّ والتَّعفُّفِ والدَّينونَةِ العَتيدَةِ أنْ تكونَ، ارتَعَبَ فيلِكسُ، وأجابَ: أمَّا الآنَ فاذهَبْ، ومَتَى حَصَلتُ علَى وقتٍ أستَدعيكَ» (أعمالُ ٢٤: ٢٥)، ومَن قال بقليل تقنعني يا بولس أن أصير مسيحياً: «فقالَ أغريباسُ لبولُسَ: «بقَليلٍ تُقنِعُني أنْ أصيرَ مَسيحيًّا!». فقالَ بولُسُ: «كُنتُ أُصَلّي إلَى اللهِ أنَّهُ بقَليلٍ وبكَثيرٍ، ليس أنتَ فقط، بل أيضًا جميعُ الّذينَ يَسمَعونَني اليومَ، يَصيرونَ هكذا كما أنا، ما خَلا هذِهِ القُيودَ».» (أعمالُ ٢٦: ٢٨-٢٩).

من ثَمّ يمكننا أن نصنف تابعي المسيح بسبع أنواع: (١) فريق قَبِله وأكمل معه إلى النهاية، (٢) وفريق رفضه وأصرّ على الرفض حتى النهاية، (٣) وفريق قَبِله في البداية ثم رجع عنه لاحقًا، (٤) وفريق رفضه في البداية ولكنه عاد فقَبِله، (٥) وفريق خامس تبعه شكليًا وقلبه مبتعد عنه، (٦) وفريق سادس تبعه قلبيًا وإن كان لا يبدو عليه من الخارج، (٧) وفريق سابع مائع لا لون له ويعرج بين الفرق السابقة. وقد وبَّخ المسيح كورزين وبيت صيدا وكفرناحوم لأنها لم تتُب، رغم أنه صنع فيها أكثر قوَّاته، وأنبأ عن مصيرها الأليم في يوم الدين (متى ١١: ٢٠-٢٤).

ولكن يتبقى السؤال الجوهري: ما هو العائد الذي يعود على التابعين مقابل هذه الآلام والتضحيات؟ حتى ليبدو الأمر محيِّرًا ومثيرًا للاستخفاف لدى

بعض من الحكام والجلادين، ومثيرًا للعجب لدى الكثيرين. إن ثَمّة ردًا جاهزًا ألا هو معيته في الملكوت، وردًا آخر مبادلته حبًا بحب، وردًا ثالثًا التألم معه ومن أجله كما تألم هو عنا، ومَن قال إنه يودّ أن يحيا حياة نقية عفيفة عوض ما كان يحياه قبل معرفته المسيح، مثلما اعتبر القديس بولس ما خسره نفاية مقابل معرفته بالمسيح.

ولكن ماذا لو تشكّك أحد في قدرته على النفقة العالية لتبعية المسيح؟ إنه إذا قدم الرغبة الصادقة مشتهيًا بكل قلبه، فإن المسيح يدفعها عنه، يكفي أنه يقدم لله النيّة والله سيهبه عندئذ الإمكانية، يقدم الرغبة والله يهبه القدرة، يكفي أن يتعلق بالمسيح وخلال مسيرته معه بثقة لن يتخلى عنه.

وأمّا الذين يتساءلون عن كيفية ترك كل شيء وكل أحد، وهم متزوجون ولديهم أسر ومسئوليات، فإن هذا لا يمنع من التبعية، وقد كان تلاميذ الرب متزوجين ولديهم زوجات وابناء، ويتضح ذلك من قول القديس بولس «أَلَعَلَّنا ليس لنا سُلطانٌ أنْ نَجولَ بأُختٍ زَوْجَةً كباقي الرُسُلِ وإخوَةِ الرَّبِّ وصَفا؟» (كورِنثوس الأولَى ٩:٥). وبالطبع لم يكن قصد الرب أن يهمل الزوج زوجته وأولاده حتى يتبعه، وإنما أن يكون الله هو أولًا ودائمًا أولًا، ولا يكون هناك من يحلّ محله ولا ما يحل محله، وإن كانت لدينا ممتلكات فنحن نمتلكها دون ان تمتلكنا هي.

كما يتساءل البعض عن العلاقة بين حساب النفقة والتدبير المالي في الكنيسة والمنزل والتجارة وغيرها، ولكن هناك فرق بين التدبير المالي للصالح العام أو للآخرين، أو لصالح محبة الشخص للمال والمقتنيات. وقد كان يهوذا أمين صندوق في جماعة التلاميذ، ومع ذلك لم يتعارض هذا التدبير مع وجود

الرب نفسه بينهم، وهل مع وجود الله مصدر كل غنى يحتاج الأمر إلى جمع العطايا وحفظها في صندوق مع شخص، وهو الذي يفتح يديه فيشبع كل حي غنى من رضاه.

ولكن حساب النفقة القائم على الكفاف من جهة وتفضيل الاخر من جهة أخرى، هو مقبول، وإلّا لما ذكر الرب مثلين في حساب النفقة. وهنا نذكر دور الأم في تدبير احتياجات المنزل من خلال الراتب المحدد، ودور أمين الخزينة فيما يتعلق برواتب الموظفين، والتاجر في تجارته...

فالذي قصده الرب في السياق هو التدبُّر، والتأني، والدراسة، وحساب ردود الأفعال. وقد كان الرب ودائمًا صادقًا يصارح تابعيه «للثَّعالِبِ أوجِرَةٌ، ولِطُيورِ السماءِ أوكارٌ، وأمّا ابنُ الإنسانِ فليس لهُ أين يُسنِدُ رأسَهُ» (لو ٩:٦٨)، وأن مملكته ليست من هذا العالم، وأن على تابعيه ألّا يأملوا في منصب او سلطة أو مال.

فمن المهم أن ينبه الشخص تابعيه إلى كلفة التبعية، لا أن يورّطهم، ولا لكي يبحث عن شعبية فحسب، وإلّا سيُطلَب منه دمهم. ويجب أن يذكّرهم بالتزاماتهم تجاه الاختيار، لا سيما عندما لا يمكن التراجع عن الطريق، مثلما ننبه زوجة مُرشَّح الكهنوت إلى ما يطرأ من تغيير على حياتهم، وهكذا الجندية والرهبنة وغيرها. وصرّح الرب بأنه «إنْ كانوا قد اضطَهَدوني فسيَضطَهِدونَكُمْ» (يوحنا ١:٢٠).

ولكن ما هو تفسير ما قاله الرب للقديس بطرس: «فأجابَ يَسوعُ وقالَ: الحَقَّ أقولُ لكُمْ: ليس أحَدٌ ترَكَ بَيتًا أو إخوَةً أو أخَواتٍ أو أبًا أو أُمًّا أو امرأةً أو

أولادًا أو حُقولًا، لأجلي ولأجلِ الإنجيلِ، إلّا ويأخُذُ مِئَةَ ضِعفٍ الآنَ في هذا الزَّمانِ، بُيوتًا وإخوَةً وأخَواتٍ وأُمَّهاتٍ وأولادًا وحُقولًا، مع اضطِهاداتٍ، وفي الدَّهرِ الآتي الحياةَ الأبديَّةَ» (مَرقُسَ ١٠:٢٩-٣٠). هنا وأذكر كيف يبارك الله الذين يعطون الفقراء بسخاء، وكيف عوّض الله الأنبا أنطونيوس بآلاف الأفدنة، وملايين الأبناء والبنات.

أخيرًا يمكننا أن نتعلم من وصية المسيح هذه أن نحسب نفقة القرارات التي نتخذها، ونحسب ردود الأفعال، ولكن دون تردّد كثير قد يجعل الإنسان عاجزًا عن اتخاذ القرارات في حياته، ومن ثَمّ يمكننا القول بأن الأمر يحتاج إلى مغامرة، حتى في تبعية المسيح، لأنه إن ترك الانسان نفسه للتردّد والتشكّك فإنه قد يعجز عن اتخاذ القرار. ونحن نعرف أن رجال الأعمال والاقتصاد مغامرين بطبعهم، ولا يتحسّبون كثيرًا، ومع ذلك يمكن قبول ما يسمى بالمغامرة المحسوبة.

بعض الناس يحسبون النفقة، وإنما هم ضعفاء لا يقدرون على الالتزام بقرارهم، ويخشون من الفشل، ولا يحبون تحمل المسئولية، ومن هنا يأتي الكسل والفشل، بعكس الاقوياء والمغامرين، فهم أكثر الناس قربًا من النجاح.

أخيرًا ماذا لو اكتشف شخص ما أن اختياره لم يكن مدروسًا، وأنه لم يحسب حساب النفقة جيدًا أو حسبها بطريق الخطأ؟ هناك حالات لابد فيها من الاستمرار ودفع التكلفة مثل تبعية المسيح والكهنوت والرهبنة والزواج وغيرها، وحالات يصلح معها التراجع، مثل السفر والتجارة وغيرها.

الدرهم المفقود (لو ١٥: ٨-١٠)

«أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَمًا وَاحِدًا، أَلاَ تُوقِدُ سِرَاجًا وَتَكْنُسُ الْبَيْتَ وَتُفَتِّشُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً: افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ. هكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لوقا ١٥:٨-١٠).

تعليل وجود الدراهم العشر مع إمرأة ريفية بسيطة، ربما كانت كل مقتناها، وربما كانت تحتفظ بها كذكرى غالية، وربما كانت شكلًا من أشكال الزينة؛ ولكن المهم أنها لم تفرّط في واحد منها مكتفية بالتسعة الباقية، بل صار المفقود له نفس الأهمية، بل أن أهميته تزداد بضياعه، فنحن نشعر بقيمة الأشياء والناس عندما نفقدهم لفترة أو بشكل نهائي.

والدرهم δραχμή هو عملة يونانية، وكان الدرهم في أيام هيرودس والولاة يساوي ثمنه دينارًا denarius رومانيًا، وهي عملة فضّية تساوي أجرة عامل ليوم واحد. ومن العملات المذكورة أيضًا الفلس ومنها الفلوس، والإستار والدينار والوزنة وغيرها. وكان بعضها من الفضة والبعض من النحاس والبعض من الذهب، كما كان هناك ما يُسمَى بالعملة المقدسة مثل شاقل القدس أو الشاقل المقدس وهي العملة المتداولة داخل الهيكل.

١- ذكّرني ذلك بأُم لديها عشرة أطفال خرجوا جميعًا، كلٌّ إلى جهته، وعادوا تباعًا حتى تبقّى واحد منهم لم يعد حتى الفجر، فبينما كان التسعة داخل البيت، كان فكر الأم متجهًا نحو الغائب فهو الأولى الآن بالاهتمام. والأم تعطي لكل منهم كل حبها وليس عُشر المحبة، فإن محبتها لهم ليس فقط بالتساوي، وإنما لكل منهم محبتها كاملة، تمامًا كما يُشعرك بعض الآباء الخدام أنه لك وحدك دون الجميع. مثلما توقد مئة شمعة من شمعة واحدة دون أن تنقص من جهة أو تعطي لكل شمعة شيئًا من نورها بل كل نورها، هكذا ليس هناك من هو أكثر أهمية عند الله من آخرين، أمّا إن وُجِد هذا التمييز فإنما هو لصالح الخطاة والضالين. لقد مات السيد المسيح عن الكل، ولكنه تبارك اسمه صرّح بأنه جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك «إنَّ إبنَ الإنسانِ قد جاءَ ليطلُبَ ويُخلِّصَ ما قد هلَكَ» (لوقا ١٩ :١٠) ثم يعود ليؤكد انه لم يات ليدعو ابرارا بل خطاة الى التوبة.

٢- الفروق بين الدرهم المفقود والخروف الضال والابن الضال، هو أن الدرهم جماد لا يستطيع التعبير عن نفسه، وربما يشير إلى الإنسان الذي لا يدرك أنه أخطأ، ومثل غير العاقل والمجنون والذي في غيبوبة والرضعان وغيرهم، ومن ثَمّ نبادر نحن بالبحث عنهم. إن مهمتنا ليس فقط تلبية احتياجات الناس، وإنما البحث عن تلك الاحتياجات، وإيقاظهم وتشجيعهم ولفت انتباههم. أمّا الخروف فهو حالما يدرك أنه تاه فأنه يثغو ثم يزداد ثغاؤه بسبب الخوف، ومن ثَمّ فمن المحتمل أن يسمع الراعي صوته ومن ثَمّ يتجه إلى حيث يوجد، هو على الأقل كائن حيّ، وليس جمادًا كالدرهم. وأمّا الشخص الضال فهو يمتلك إرادة اختار بها، وبالتالي يقدر أن يعبر ويرجع بها، ولذلك عاد إلى أبيه، وحالما رآه ابوه تحنن وركض وقبّله محتضنًا إيّاه

بفرح. وقد يكون موقف الشخص الضال مثل الدرهم أو الخروف، إذا كان مقعدًا اخرس، أو الخروف الذي قد يُغرَّر به أو عن جهل يسقط في الحفرة.

٣- والفروق بين الثلاثة الذين احتاجوا تحرُّكًا واهتمامًا، أن الدرهم كان واحدًا من عشرة أي أن الضياع كان يمثل عُشر المجموع، والخروف كان واحدًا من مئة أي أن نسبة الضياع كانت واحدًا إلى مئة، وفي حالة الابن الضال، صحيح أن أحد أخوين، ولكن هذين الأخوين يمثلان مئات الملايين من البشر.. ولكن كلٌّ منهم كان هامًا نفس أهمية الباقين أيًا كان عددهم.

٤- أهمية الانسان الواحد لا تكمن فقط في أن المسيح مات عنه، بل لأنه يمكن أن يكون عظيمًا متى عاد، ويعود به كثيرون، كما قد يصبح عظيمًا: معلمًا أو قائدًا، أو تتفرّع عنه قبيلة أو شعب كبير، ويصبح أبًا لجمهور كبير، ومن ثَمّ فلا يجب أن يُقال عن شخص ما إنه لا يزيد ولا ينقّص، أو بناقص، أو أنه ابن الهلاك، أو أننا قمنا بما يجب علينا من نحوه... لا تيأس من أحد ولا تحكم على أحد.

٥- وبينما ضاع الدرهم في البيت نفسه حيث تسكن المرأة، فقد ضاع الخروف في الحقل حيث يرعى الراعي الغنم، وأمّا الابن فقد ضل في مدينة بعيدة في العالم الواسع. وللناس درجات في ضياعهم، فمنهم من يضيع داخل الكنيسة نفسها بينما هو يخدم ومتواجد وله اسم فهو في الحقيقة ضائع، وكم من شخص هلك داخل الكنيسة ووسط الألحان والتعليم والخدمات والأنشطة. وكم من شخص منسي داخل الحي أو القرية أو مربع الكنيسة، لم يفتقده أحد، أو أرسل يطلب الزيارة فلم يذهب إليه أحد، وكان كمن يثغو ويصرخ. وكم من شخص عاد بنفسه ليجد الباب موصدًا والأب رافضًا والرجاء مقطوعًا، فعاد

ليتمّم إرادته... ولكن الدرهم هنا بحثوا عنه، والخروف ذهبوا إليه، والابن انتظروه باشتياق.

٦- الدرهم ضاع وغطته الأتربة، ولكنه ما يزال درهمًا لم يفقد قيمته، وحالما يعود يظهر لمعانه. والدرهم شأنه شأن جميع العملات، يحمل صورة على الوجه الواحد تشير إلى انتماء المكان لملك أو حاكم ما، والناحية الأخرى كتابة تفيد قيمة العملة واسم البلد؛ والانسان مخلوق الله يشبه ذلك من جهة الصورة وهي صورة الله، التي خُلِق عليها والتي مطبوعة فيه ولن تُمحى، والكتابة فهي تعني أنه منقوش على كفّ الله، أو أنها وثيقة تؤكد أنه ملك لله. ومن ثَمّ فحينما توجد العملة يتم التعرُّف على هويتها.

ويقول القديس غريغوريوس الكبير: "الدراهم مثل وديعة التي أودعها الله للكنيسة. وكل درهم يشير للطبيعة الإنسانية التي طُبِع عليها صورة الملك السماوي، كما يُطبَع على العملة صورة قيصر. وضياع الدرهم يشير لضياع صورة الملك السماوي من الإنسان".

٧- ومن ثَمّ فالمراة المذكورة هنا هي الكنيسة، ليست الباحثة فقط عن الدرهم، بل الباكية أيضًا وتأبى أن تتعزى حتى يعود مثل راحيل. وقد لا تكون السبب في ضياع الدرهم ولكن مسئولة عن إرجاعه، هذه هي مسئولية الكنيسة، فهي الأم بكل المعاني، ولها شعور الأم. ومن الجميل أن يشب!ه الله نفسه هنا بالأم، مثلما حدث مرارًا في العهدين القديم والجديد. وإن كانت الأم الجسدية المحدودة تبذل جهدًا غير محدود في البحث عن المفقود، فكم بالأحرى الكنيسة التي تسلّمت من المسيح يوم المعمودية بنين على صورته. تخيّلوا ما تفعله أم تاه ابنها أو سُجِن أو تعرّض لحادث أو غاب طويلًا، إنها لا

تذوق شيئًا من الطعام أو الراحة ولا تستطيع النوم طالما أنه غائب أو مُتعَب. هنا لم تيأس المرأة، وطالما أنها مُصرّة فسوف تجده؛ هكذا الخدام الغيورون.

هنا ويجدر بالذكر أننا أحيانًا نهتم بالبعيدين أكثر من القريبين وهم ليسو قليلين، وفيما نظن أنهم مضمونون يكونون أكثر احتياجًا من الآخرين بسبب الأخطار التي تحيق بهم.

ويعلّق البابا غريغوريوس الكبير: "لمّا كان الدرهم عملة تحمل صورة، هكذا المرأة التي تفقد الدرهم تعني عندما يشرد الإنسان المخلوق على صورة الله، يفقد تشبُّهه بخالقه بسبب الخطيَّة"؛ أمّا عبارة «تُوقِدُ سِراجًا» تشير الى تجسد المسيح نور العالم، فهو نور اللاهوت في إناء الجسد (الناسوت)، فإنه تجسَّد، لأن الإنسان أخطأ فضاع. أم!ا عبارة «تَكنُسُ» σαροΐ فتشير إلى انقلاب للشيء رأسًا على عقب، لأنه ما لم ينقلب العقل الذي انحط، لا يمكن أن يُنظِّف (يُكنّس) من عاداته الرذيلة. في حين يرى البعض الآخر في عملية الكنس إشارة الى حث الناس على التوبة؛ وأما عبارة «تَجِدُّ في البَحثِ» فتشير إلى التفتيش باجتهاد.

٨- إنها فكرة الفداء: الهدف الذي جاء من أجله ابن الله، بادر وبحث عن الدرهم، وذهب إلى الضال واستخلصه من بين الأشواك، ولما رأى ابنه مقبلًا ركض من أعلى وقبّله محتضنًا إيّاه، وهو ما يشير إلى التجسد في المَثَل، والأمثال الثلاثة تخدم على هذه الفكرة: البحث عن الضال مهما كان دوره في الضلالة. وقد جاءت الأمثال الثلاثة ردًّا من السيد المسيح على الكتبة والفريسيين الذين أنكروا عليه التصاقه بالعشارين والزناة والخطاة، ولنقرأ معا هذه القصة:

"قامَ ولدٌ صَغيرٌ بمُساعَدَةِ والِدِهِ بِصُنعِ مرْكَبٍ صَغيرٍ بحجمِ لُعبَةٍ ليلعَبَ بِهِ. وكانا يُحِبَّانِ أن يَضَعا هذا المركِبَ الصَّغير في مياهِ المُحيط الذي كانَا يقطُنانِ بجانِبِه. وذاتَ يَومٍ، بينما كانا يُراقِبانِ هذا المركِب الصَّغير يعُومُ على الماء، هبَّتْ عاصِفَةٌ وأخذَ تيَّارٌ هذا المركِب الصغير وأضاعَهُ في عُمقِ البَحر. وبعدَ عدَّةِ أسابيع، اِكتَشفا هذا المركَب خاصَّة الولد الصغير، معرُوضًا في واجِهَةِ إحدَى المحالّ التِّجارِيَّة على شاطِئِ البَحر. ولكن خابَ أملُهُما عندما اكتَشَفا أنَّ صاحِبَ هذا المحلِّ أصرَّ على أن يدفَعا ثمَنَ هذا القارِب إذا أرادا إسترجاعَهُ. فبعدَ أن اشتَرَياهُ، وبينما كانَ الوَلَدُ يترُكُ المَحَلَّ، قالَ مُخاطِبًا مركِبَهُ الصغير، "أنتَ مُلكِي مَرَّتَين. أنتَ مُلكي أوّلًا لأنّي صنعتُكَ، وثانِيًا لأنّي أعدتُ شِراءَكَ."

٩- لا يوجد ما يعادل البشارة بعودة الضائع وإشراك الاخرين، كان الراعي الذي ينجح في إعادة خروفه الضال يصيح في الضيعة كلها بأنه وجده، وأنه راعٍ صالح، وهو الوصف الذي كان يُطلَق على الراعي الذي لم يُفقَد له شيء من خرافه. وفي الدينونة يقف الخادم الأمين قائلًا: «هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم» (إشعياء ٨:١٨). انظروا إلى فرحة الكاهن والخدام وأسرة فتاة عادت بعد أن أُستُخلِصت من فكي الأسد، أو شخص تاب أو شخص عاد إلى الله.

١٠- أخيرًا من جديد وللتأكيد... المرأة لم تلقِ الدرهم في التراب ولا تحت السرير، ولكنه فُقِد دون إرادتها، ومع ذلك شعرت بالمسئولية تجاهه. لا يكفي أن تهتم وتتابع من أعثرته فقط، أو من طالبك وألحّ في الطلب، وإنما من لم يطلب أصلًا، ومن لا يرغب أصلًا، ومن لا يدري أن التراب غطّاه مثل الذين أطفأوا الروح. الكل يحتاج إلينا، مَنْ طَلَبَ ومَنْ لم يطلب ومن يرفض! ليس فقط العنيد ولا الساذج أو الطفل أو المعاق أو الحيوان، بل والجماد أيضًا. مثل الدرهم المفقود.

الابن الضال والأب الحنون (لو ١٥: ١١-٣٢)

يليق بنا أن نسمّي هذا المثل بمثل: "الأب الحنون"، وأن نطلق على الابن لقب: "الابن الذي كان ضالًا" – مثل قولنا: "المرأة التي كانت خاطئة"، وهو يُسمّى الابن الشاطر من وجهتين: فهو شاطر في توبته وهو شاطر كذلك للميراث.

الأب هو بطل القصة، فهو الذي غُلِب أكثر من مرة من تحنُّنه، وهو متحيّر بين ابن ساذج والآخر بارّ في عيني نفسه. غُلِب في المرة الأولى عندما أصرّ الابن على اقتسام الميراث والأب ما يزال حيًّا، ولم يكن عجوزًا متهالكًا (بدليل أنه ركض لاستقبال ابنه، كما أنه أدار حفل الاستقبال بمهارة ونشاط)، وغُلِب الأب ثانية من تحنّنه عندما نسي كل ما صدر عن ابنه حالما رجع. أمّا الابن ففي المرة الاولى لم يعترف بحياة أبيه (فالميراث يُوزَّع عادة بعد موت الأب)، وفي الثانية يطلب أن يُحسَب كأحد الأجراء. وقد ظهر الأب في الحالتين حنونًا، بل تعامل برفق ومودّة بالغة مع الابن الأكبر الذي اتهم الأب بالتمييز في المعاملة، وكان بودّ هذا الأب الرقيق أن يعاتب ابنه الأكبر: «مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتَ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟... أَمْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةٌ لأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟» (متى ٢٠: ١٣،١٥)؛ فالمال ماله، وهو حرٌّ التصرُّف فيه، غير أنه لم يظلمه. لقد تجسّد الله لأجل الفريقين: اليهود والأمم، وفي المَثَل عبّر عن ذلك بركض الأب من أعلى إلى حيث الابن المُنهَك من الغربة والخطية. إن الابن الأكبر يذكّرنا بالذين يعاتبون الرعاة لماذا لا يهتمون بهم وهم الأقرب وهم الخدام وهم المجاورون والملاصقون، وكأنّي بهم يقولون: "لا تفتقدوا البعيدين ولا تتلقّوا

اعترافاتهم ولا تخدموهم، نحن أولى!" لقد حزن اليهود عندما قُبِل الأمم في الإيمان وصاروا شركاء الملكوت (راجع أعمال ١١: ٢،٣).

ويكفي ما نال الابن من معاناة، غير أن العقوبة التي حلّت به نتيجة الانفصال عن أبيه لم تكن انتقامًا من الأب، وإنما نتيجة لعصيانه هو، وقد بذل الأب طاقة حب جبارة في المرتين. إن اعتذار الابن للأب كان أغلى عند الأخير من الرباط الذي فصمه ابنه، والوصية التي كسرها؛ ودموعنا عادة ما تُحنّن قلب الله، والذي يُغلَب دائمًا من تحنّنه، فهو القائل لعروس النشيد: «حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ فَإِنَّهُمَا قَدْ غَلَبَتَانِي» (نشيد ٦:٥).

لم يكتفِ الأب بقبول الابن، ولكنّه أدرك أنه يحتاج إلى جرعة كبيرة من الحب والتقدير والكرم، لتعود إليه ثقته في نفسه ويسترد رتبته الأولى، وهذا هو الفرق بين العدل الإلهي والعدل البشري: فالأخير معنيّ فقط بإتمام القصاص، ولكن الله في عدله معنيّ بإعادة الخاطئ إلى مكانته الأولى، هذا فعله الله عندما تجسّد، فلم يكتفِ بأن خلّص آدم وإنما جدّد الطبيعة البشرية، يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "وعندما سقط .. أردت أن تجدّده وتردّه إلى رتبته الأولى".

إن قصة الابن الضال هي التصوير البديع الذي قدّمه الرب ليصف حال البشرية في فجرها (كان الابن الضال فتيًّا عندما ترك بيت أبيه)، والتي رفضت الشركة مع الرب لتتاجر بمفردها، ويا لها من تجارة خاسرة، فقد فقدت المال والجمال والقوة والنعمة التي كانت تزيّنها، فتلاهت بها الأعداء وافتقرت إلى الخبز وفارقتها الكرامة، ولكن حضن الآب مفتوح ليستوعب كل راجع دون معايرة أو إذلال: «خَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا» (إشعياء ٤٣: ٢٥). لقد كان الابن

يراجع النصّ أو السيناريو المُحتمَل بينه وبين الأب عند لقائهما معًا، وقد اختار بعناية الكلمات التي سوف يستدرّ بها عطفه من خلال خُطبة طويلة على ما يبدو، غير أن الأب العجيب أعفاه من الحرج، ولم يدعه يكمل السيناريو المُعدّ، ولم يقبل أن يراه متذلّلًا، كان كل مشتهاه أن يعود إلى حضنه.

وبينما كان الابن الذي ضلّ يمثّل الأمم الذين تركوا الرب وتردّوا في دروب الوثنية، كان الابن الأكبر يمثّل اليهود الذين ظهروا متعجرفين وكأنهم "يتجمّلون" على الله بأنهم حفظة الناموس والسبت والختان والهيكل، بل وكانوا يصفون الوثنيين بالكلاب والزناة، وهي التعبيرات ذاتها التي استخدمها الابن الاكبر في وصف أخيه العائد: «أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي» (لوقا ١٥: ٣٠). وبينما يصف الابن الأكبر أخيه العائد قائلًا: «ابنك هذا» فهو في الواقع يصوّر انقسامات البشر، والذين بدلًا من استخدام "إخوتنا هؤلاء" أو "أخي هذا"، يقولون: "ابنك ذاك" و"أولادك أولئك"، أمّا الأب ففي محبته، ومن واقع مسئوليته وأبوّته، يريد أن يجمع الكل إلى حضنه لتكون رعية واحدة لراعٍ واحد (يوحنا ١٠: ١٦). لاحظ أن الأب في عتابه لابنه الأكبر يذكّره بالأخوّة بينه وبين أخيه: «... أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًا فَوُجِدَ» (لو ١٥: ٣٢).

كان الأب يصعد كل يوم ليتشوّف عن بُعد.. يمسح الأفق بعينيه لهفةً على الضالّ، ويداه ممدودتان وأحشاء الرأفة تلتهب داخله، حتى أراد الابن وعاد، واتحدت إرادته مع إرادة ابيه، فحُسِب ابنًا من جديد، فالحلّة الأولى والخاتم والعجل المُسمّن كلها تشير إلى أنه صار ابنًا مكرّسًا متّحدًا بأبيه من جديد.

جاء مثل الابن الضال (في لوقا ١٥) بعد مثليْ "الدرهم المفقود" و"الخروف الضال" ليشرح الرب كم كانت قطعة النقود غالية تستحق التفتيش، وكم فرح الراعي باستخلاص الخروف الضال، فكم بالأحرى الابن الضال وهو خليقة الله المدلّلة، غير أن الفرق بين القصص الثلاث هو أن الدرهم كان في احتياج إلى من يبحث عنه فهو جماد، كذلك الخروف مع أنه كائن حيّ إلاّ أنه غير مريد ولا عاقل، ومن ثَمّ احتاج إلى يخرج ليبحث عنه ويحمله على منكبيه، ولكن الابن الضال هو إنسان عاقل ومريد، ولابد أن يتخذ قرار العودة بنفسه، فثمن الحرية أن يختار هو قرار العودة، ولقد منح الأب ابنه حرية الرفض وهي أقصى أنواع الحرية، ومن ثَمّ سيجد الأب في انتظاره. كان ضياع الدرهم مسئولية صاحبته فقط، واشترك الخروف في ضياع نفسه بنسبة ما، فهو يتفوّق على الجماد بكونه كائنًا حيًا، ولكن الإنسان الذي ضلّ بإرادته يجب عليه أن يعود بإرادته أيضًا. وبينما خرج الراعي بنفسه ليبحث عن الخروف الضال، وقف الأب مادًا يده إلى ابنه لعلّه "يشفق على أبيه ويعود"، يقول الرب: «طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ» (رومية ١٠:٢١).

الغني ولعازر (لو ١٦: ١٥-٣١)

«كانَ إنسانٌ غَنيٌّ وكانَ يَلبَسُ الأُرجوانُ والبَزَّ وهو يتَنَعَّمُ كُلَّ يومٍ مُتَرَفِّهًا. وكانَ مِسكينٌ اسمُهُ لعازَرُ، الّذي طُرِحَ عِندَ بابِهِ مَضروبًا بالقُروحِ، ويَشتَهي أنْ يَشبَعَ مِنَ الفُتاتِ السّاقِطِ مِنْ مائدَةِ الغَنيِّ، بل كانتِ الكِلابُ تأتي وتَلحَسُ قُروحَهُ. فماتَ المِسكينُ وحَمَلَتهُ المَلائكَةُ إلَى حِضنِ إبراهيمَ. وماتَ الغَنيُّ أيضًا ودُفِنَ، فرَفَعَ عَينَيهِ في الجَحيمِ وهو في العَذابِ، ورأى إبراهيمَ مِنْ بَعيدٍ ولِعازَرَ في حِضنِهِ، فنادَى وقالَ: يا أبي إبراهيمَ، ارحَمني، وأرسِلْ لعازَرَ ليَبُلَّ طَرَفَ إصبِعِهِ بماءٍ ويُبَرِّدَ لساني، لأنّي مُعَذَّبٌ في هذا اللَّهيبِ. فقالَ إبراهيمُ: يا ابني، اذكُرْ أنَّكَ استَوفَيتَ خَيراتِكَ في حَياتِكَ، وكذلكَ لعازَرُ البَلايا. والآنَ هو يتَعَزَّى وأنتَ تتَعَذَّبُ. وفَوْقَ هذا كُلِّهِ، بَينَنا وبَينَكُمْ هوَّةٌ عظيمَةٌ قد أُثبِتَتْ، حتَّى إنَّ الّذينَ يُريدونَ العُبورَ مِنْ ههنا إلَيكُمْ لا يَقدِرونَ، ولا الّذينَ مِنْ هناكَ يَجتازونَ إلَينا. فقالَ: أسألُكَ إذًا، يا أبَتِ، أنْ تُرسِلهُ إلَى بَيتِ أبي، لأنَّ لي خَمسَةَ إخوَةٍ، حتَّى يَشهَدَ لهُمْ لكَيلا يأتوا هُم أيضًا إلَى مَوْضِعِ العَذابِ هذا. قالَ لهُ إبراهيمُ: عِندَهُمْ موسَى والأنبياءُ، ليَسمَعوا مِنهُمْ. فقالَ: لا، يا أبي إبراهيمَ، بل إذا مَضَى إليهِمْ واحِدٌ مِنَ الأمواتِ يتوبونَ. فقالَ لهُ: إنْ كانوا لا يَسمَعونَ مِنْ موسَى والأنبياءِ، ولا إنْ قامَ واحِدٌ مِنَ الأمواتِ يُصَدِّقونَ» (لوقا ١٦: ١٩-٣١).

هذا المثل من أغنى امثال السيد المسيح، فهو مملوء بالتعليم اللاهوتي العقائدي والليتورجي والروحي والأدبي، وليس مجرد قصة عن المال والعطاء،

حتى إن المثل يُعَد مرجعًا هامًا في تعليم الكنيسة، وإن كان لكل مثل هدف أو عقدة أو محور، ولكن ما يرد في المثل لا يتعارض مع التعليم الصحيح.

١- يبدو وكما يرى بعض الشراح أنه كانت هناك شخصية حقيقية باسم لعازر، وأن سامعي السيد المسيح كانوا يعرفونه جيدًا، مثلما نعرف نحن عن قارون ولملوم باشا وغيرهم، مثلما كان السيد المسيح يستعيد أمام السامعين بعض المشاهد من المجتمع وذلك في امثاله عن الملكوت وعن المال والقضاء وغيرها، حتى يضع تعليمه في قوالب درامية يسهل على السامعين استيعابها.

٢- **البَزّ هو الحرير والأرجوان**، هو الثياب الثمينة التي كان من عادة الملوك والأمراء أن يلبسوها. وكان الأرجوان على نوعين: بحري وهو حيوانات، ومعدني من الأكاسيد في الصحراء. ومن الملفت أن السيد المسيح أشار إلى ثياب سليمان الغالية هذه عندما تكلم عن زنابق الحقل والتي كانت تكتسي مجدًا عظيمًا عندما تنعكس الشمس فوقها، فكانت تبدو أكثر روعة من أرجوان سليمان «ولا سُلَيمانُ في كُلِّ مَجدِهِ كانَ يَلبَسُ كواحِدَةٍ مِنها» (متى ٦:٢٩)، وكان ارتداء هذه الثياب علامة الغنى الكبير والرفاهية.

٣- **علامات الغنى والرفاهية هي الثياب والطعام**، لذلك ذكر الرب أن الرجل "كان يلبس وكان يولم". هكذا كان الرجل يجمع إليه كل يوم الرؤساء والأمراء والمريدين. والولائم لم تكن قاصرة على الطعام فقط، وإنما الخمر والرقص واللهو، ويتخلّل ذلك عقد الصفقات. لذلك أراد الرب أن يلفت نظر الناس إلى الوليمة السمائية. وفي حديثه عن الولائم أشار إلى العرس والمدعوين ولباس العرس (أي المعمودية) والخدام الذين أُمِروا أن يأتوا بالضيوف من الطرق والسياجات الى بيته حتى يمتلئ (لوقا ١٤:١٦-٢٤).

وهناك إشارة إلى الاتكاء والوليمة في قول الرب عن لعازر إنه في حضن إبراهيم، وهو تعبير يُستخدَم في الولائم حيث يجلس الابن الاكبر في حضن رب البيت. وفي سفر الرؤيا إشارة إلى ذلك العشاء «وقالَ ليَ: «اكتُبْ: طوبَى للمَدعوّينَ إلَى عَشاءِ عُرسِ الخَروفِ!». وقالَ: «هذِهِ هي أقوالُ اللهِ الصّادِقَةُ».» (رؤيا يوحَنا ١٩:٩)... لقد استبدل الغني الوليمة السمائية بالولائم الأرضية.

٤ - **صورة الفقير الجالس يستعطي منتشرة منذ قديم الزمان**، نقرأ عنها في الأمثال وسيراخ والجامعة والبشائر وسفر الأعمال، ويبدو السبب في أن الفقراء يتوسّمون في مرتادي الكنائس والمساجد والمجامع الشفقة وحب الخير، وأنهم لن ينتهروهم أو يطردوهم، ومن هؤلاء لعازر المسكين.. غير أنه لم يختر دور العبادة وإنما مكانًا تكثر في الولائم، ومن المُتوقَّع أن يلقي الخدم بما يتبقى بعد أن ينالوا أنصبتهم، فالأغنياء لا يبيِّتون طعامًا.. ومثل ذلك سمعت أنه أمام بعض الفنادق الكبيرة يتكوّم عشرات من الفقراء في انتظار أن يقدّم لهم الخدم ما يتبقى من الرواد. وقرأت عن شخص عربي يقدمون له قلب البطيخ فقط وبقيتها تُلقى للفقراء وغيرها.. ولا شك أن الفقراء يكونون راضين بهذا المتبقي، إن أحدهم اشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي تأكله الخنازير!

٥ - **يشتهي**: ليست كل شهوة خطية، بل هي شهوة تنم عن قناعة ورضى، وكثير من الفقراء يشتهون مجرد القوت، أن يسدوا جوعهم بالقليل من الطعام الذي يتبقى من المشترين، وما يُرتجَع من الخبز الفرز الثاني والثالث بل والفاسد أحيانًا، وطعام الحيوانات أحيانًا.. الكفاف وأقل من الكفاف. والحقيقة أنه اشتهى ولكنه لم يطلب، والحقيقة أن هناك كثيرين مثله يشتهون

القليل ولكنهم يستحون أن يطلبونه، وعملنا ليس فقط أن نلبي احتياجات الناس أو نحقق لهم مطالبهم، وإنما أن نبحث عن احتياجاتهم ونبادر محافظين على حيائهم وماء وجوههم. إن لعازر لم يشتهِ ما يتبقى من مائدة الغني بل ما يسقط منها، أي الفتات الساقطة عفوًا وربما يكون مصيرها القمامة، مثلما كانت تلتقط راعوث ما يقع من الحصادين.

٦- **الكلاب:** لم تكن الكلاب من الحيوانات المحبوبة عند اليهود بل كانت معتبرة نجسة، بل ذُكِرت جنبًا إلى جنب مع النجسين والسحرة وعبدة الأوثان، ولكننا نقرأ عنها في سفر أيوب وسفر طوبيا وهنا، وذِكرها هنا وفي سفر طوبيا تعبّر عن لمسة إنسانية في الدراما، بينما في سفر ايوب للتعبير عمّا آل إليه وضع ايوب والذي كان يستنكف أن يجعل شامتين فيه مع كلاب غنمه (أيوب ٣٠: ١). وفي سفر طوبيا يظهر الكلب كمرافق، ويظهر هنا أكثر شفقة من الإنسان! ففي الحيوانات ما هو إنساني مثلما يوجد في الإنسان ما هو حيواني. والكلاب هنا كانت تقوم بعمل رحمة دون أن تقصد وربما كان في لعابها مضادات للميكروبات. هكذا بينما كان يحيط بالغني وجهاء المجتمع، كان لعازر يرافقه كلب واحد، وربما كان الكلب يتجرّأ على لعازر الذي لم يكن يستطع حتى أن يمنعه.

٧- **مات لعازر ومات الغني،** الجميع يموتون ولكن المهم ما بعد الموت، وربما يكون في تعبير مات ودفن أنه أُكرِم كغني بجنازة شائقة، وبينما لم يجد لعازر من يواري جسده التراب فحملته الملائكة.. ولكن الغني مات مثل جميع الناس، حتى إن وُجِد من يهتم بجسده ويحتفل بموته، ولكنه مات! ليس هناك شيء مختلف، إنها نفس الأشبار القليلة التي يُوارى فيها الميت، بينما حملت

الملائكة لعازر إلى حضن ابراهيم، المهم كيف تنتهي حياة إنسان لأن نهايةَ أمر خير من بدايته. انتهت حياة لعازر نهاية سعيدة بينما انتهت حياة الغني نهاية مأسوية. ليعلم الجميع أننا جميعنا نموت، وصرّح القديس بولس بذلك «وُضِعَ للنّاسِ أنْ يَموتوا مَرَّةً ثُمَّ بَعدَ ذلكَ الدَّينونَةُ» (عبرانيين ٩:٢٧).

٨- **حضن إبراهيم**: تعبير اصطلح عليه منذ قرون قبل الميلاد، ويعني مكان الراحة، فقد اعتبر اليهود إبراهيم أباهم وأصل الذرية وخليل الله، وهم بتبعيتهم له يصبحون بالتالي أخلاء الله، واعتقد اليهود أنهم جميعًا سيكونون في حضن ابراهيم. وقد استخدم المسيح نفسه هذا المصطلح والذي صار يعني مكان الراحة، قال الرب يسوع: «إنَّ كثيرينَ سيأتونَ مِنَ المَشارِقِ والمَغارِبِ ويَتَّكِئونَ مع إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السماواتِ» (متى ٨:١١)، «هناكَ يكونُ البُكاءُ وصَريرُ الأسنانِ، مَتى رأيتُمْ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ وجميعَ الأنبياءِ في ملكوتِ اللهِ، وأنتُمْ مَطروحونَ خارِجًا. ويأتونَ مِنَ المَشارِقِ ومِنَ المَغارِبِ ومِنَ الشِّمالِ والجَنوبِ، ويَتَّكِئونَ في ملكوتِ اللهِ» (لو١٣:٢٨-٢٩)، وفي هذه الآية نستنتج أن حضن إبراهيم هو الفردوس، ونقول في أوشية الراقدين: "نيِّح نفوسهم في "حضن" آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب".

٩- **الجحيم**: ويُسمّى عدّة أسماء مثل: هاديس وشاؤول، وهو المكان الذي كان يذهب إليه الجميع قبل الفداء، حتى أن أبانا يعقوب قال لأولاده: «تُنزِلونَ شَيبَتي بحُزنٍ إلَى الهاويَةِ» (تكوين ٤٢:٣٨)، وها هو أبونا ابراهيم موجود حتى ذلك الوقت في الجحيم مع الأشرار، وإن كان البعض يرى أن هناك مكانين في الجحيم: علوي للأبرار، وسفلي للأشرار، انطلاقًا من قول الرب: «فرَفَعَ عَينَيهِ في الجَحيمِ وهو في العَذابِ، ورأى إبراهيمَ مِنْ بَعيدٍ»، كان

الجميع في قبضة الشيطان، ولكن لا سلطان له على الأبرار، وعندما نزل المسيح إلى هناك سبى سبيًا وخلص المأسورين في الجحيم وأصعدهم معه بفرح وتهليل. وأمّا بخصوص معرفة الأموات بأمور الأحياء نقرأ في سفر المكابيين كيف ظهر إرميا النبي وحونيا الثالث ليهوذا المكابي وأعطياه سيفًا (٢مكابيين ١٥:١٢-١٦)، وكذلك صموئيل وشاول (١صموئيل ٢٨)، وقال الرب: «وإنْ وقَفَ موسَى وصَموئيلُ أمامي لا تكونُ نَفسي نَحوَ هذا الشَّعبِ» (إرميا ١:١٥).

١٠- **العذاب في الجحيم ثم جهنم حقيقي وليس رمزيًا** وليس كما قال الأدفنتست بفناء الأشرار، والدليل أن الغني يطلب أن يبرّد لعازر لسانه لأنه مُعذَّب في هذا اللهيب، والسيد المسيح قال: «خافوا بالحَريِّ مِنَ الّذي يَقدِرُ أنْ يُهلِكَ النَّفسَ والجَسَدَ كِلَيهِما في جَهَنَّمَ» (متى ٢٨:١٠). وبعد الدينونة ودخول الأشرار للنار الأبدية سيتخذ الجسد طبيعة جديدة لا تفنى بالنار، بل يخلد الإنسان في العذاب.

١١- **الهوة العظيمة التي أُثبِتَت:** لا يقدر أحدٌ أن يساعد الآخر هناك، بِرُّ الإنسان لا ينفع أخاه، مكتوب أنه يجازي كل واحد فواحد كحسب اعماله، حتى الأقارب والاخوة، فكم بالحري شخصان كانا على طرفي نقيض، استوفى أحدهما خيراته بينما استوفى الآخر بلاياه.. لعلنا نذكر قصة المتوحد الذي نهشت جسده الضباع عند موته، والشخص الذي يشبه الغني هنا والذي أُكرِم كثيرًا في وفاته، كان للأول زلّة وللآخر حسنة واحدة، وبهذا استوفى كلٌّ منهما حساباته. قال الرب يسوع «طوباكُمْ أيُّها الباكونَ الآنَ، لأنَّكُمْ ستَضحَكونَ... ويلٌ لكُمْ أيُّها الضّاحِكونَ الآنَ، لأنَّكُمْ ستَحزَنونَ وتبَكونَ» (لوقا ٢١:٦،٢٥)،

والنتيجة أحدهما يتعزّى والآخر يتعذب. إن تعبير «أغلِق الباب» والمُشار إليه في مثل العذارى يؤكدهذه الحقيقة، أنه لا يقدر أحد الطرفين العبور إلى الآخر «لأنَّ الحُكمَ هو بلا رَحمَةٍ لمَنْ لَمْ يَعمَلْ رَحمَةً، والرَّحمَةُ تفتخِرُ علَى الحُكمِ» (يعقوب ٢:١٣).

١٢- **الكرازة للأحياء والشفاعة فيهم**: ظنّ البعض أنه يمكن أن يُكرز للأموات بعد الموت اعتمادًا على «لن يُغفرَ لهُ، لا في هذا العالَمِ ولا في الآتي» (متى ١٢:٣٢)، ومثلها مثل «لَمْ يَعرِفها حتَّى ولَدَتِ ابنَها البِكرَ» (متى ١:٢٥). وإن كان الغني يشفع في الأحياء رغم شروره، فكم بالحري الملائكة والقديسين. ولكن قيامة واحد من الأموات ليست الوسيلة الحاسمة لتوبة الناس، فقد أقام الله لعازر من القبر ومع ذلك تآمر عليه اليهود ليقتلوه.

١٣- **الذين انتقلوا يعرفوننا ويعرفون أخبارنا**، لقد تعرف الغني على أبينا إبراهيم رغم أنه لم يره، كذلك اتضح أن أبانا إبراهيم كان على علم بما جرى مع الشخصين وماذا استوفيا في حياتهما. ونقرا أن إيليا النبي أرسل رسالة تحذير إلى يهورام رغم صعود إيليا قبلها بفترة (٢أخبار ٢١).

١٤- **المطهر**: يبدو من المثل وتسلسل الاحداث أنه لا وجود للمطهر، بدليل أنه لم تكن ثمّة فرصة للغني لكي يدخل المطهر بل مضى فورًا إلى مصيره، مثله في ذلك مَثل اللص اليمين مع الفارق في المصير. هناك مكانان إذًا فقط بعد الموت: الفردوس والجحيم، كما يؤكد لنا ذلك أن الروح تذهب مباشرة إلى الفردوس أو الجحيم وليس في اليوم الثالث كما يتخيل البعض.

١٥- **لم يُدَن الغني لشرٍّ فعله وإنما لخير لم يفعله**، وعند محاسبتنا لأنفسنا علينا أن نسأل أنفسنا: ماذا عملنا وكان يجب ألّا نعمله، وماذا لم نعمل

وكان ينبغي أن نعمله؟ كما لم يُكافأ لعازر لبرٍّ صنع وإنما لتلافيه الإدانة، فالفقر وحده ليس سببًا كافيًا لدخول الملكوت، كما أن الغِنى ليس سببًا في الحرمان منه، كما أن عدم اقتراف الشرور وحده ليس سببًا كافيًا لدخول الملكوت.

١٦- في الدنيا كان لعازر في وضع التوسل بل والتسول بالنسبة للغني، وفي الجحيم انقلب الوضع فصار الغني يتوسل ويتسول من لعازر. وبالرغم من قدرة الغني على أن يهب لعازر ولم يفعل، لم يستطع لعازر هنا أن يعين الغني.

١٧- ومن عجيب الأمور أن لعازر وهو بطل القصة صامت طوال الوقت هنا وهناك، إن الأبرار لا يحتاجون إلى كثرة الكلام.

١٨- **لم تُذكَر أيّة خطايا للغني سوى أنه عاش لنفسه وأهمل الفقير الذي على بابه.** خطيئته إذًا ليس أنه فعل شرًا، بل أنه لم يفعل خيرًا. لم تقم تهمة ضده، ولم تعلق بأخلاقه وصفاته وصمة تشينه، ولم يقل أحد إنه استغل ماله في طرق محرّمة، أو أنه كسب المال بأساليب غير مشروعة؛ فخطيئته ليست في كونه غنيًا، بل كان الغِنى في العقلية اليهودية علامة رضى وبركة من الله، إذ أن إبراهيم كان غنيًا، وأيوب كان غنيًا، ولعازر صديق يسوع كان غنيًا. خطيئته إذًا ليست غناه، لأنّ كلّ ما نمتلكه هو عطيّة الربّ، والمال هو عطيّة الربّ.

١٩- وفي هذا المثل كما في متى ٢٥ طوّب الرب الذين أطعموه و... فأين الحديث عن الإيمان؟ لعل الرب يقصد هنا وهناك أن الإيمان العامل بالمحبة هو ما يطلبه الرب. إن الأعمال الصالحة هي ثمرة الإيمان، لقد قال: «لكيْ يرى الناس أعمالكم الحسنة...»، ولم يقل: إيمانكم القوي.

٢٠- كيف يفكر الأشرار الأغنياء؟: حسبما يرد في سفر الحكمة «إِنَّمَا حَيَاتُنَا ظِلٌّ يَمْضِي، وَلاَ مَرْجِعَ لَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ؛ لأَنَّهُ يُخْتَمُ عَلَيْنَا فَلاَ يَعُودُ أَحَدٌ. فَتَعَالَوْا نَتَمَتَّعْ بِالطَّيِّبَاتِ الْحَاضِرَةِ، وَنَبْتَدِرْ مَنَافِعَ الْوُجُودِ مَا دُمْنَا فِي الشَّبِيبَةِ، وَنَتَرَوَ مِنَ الْخَمْرِ الْفَاخِرَةِ، وَنَتَضَمَّخْ بِالأَدْهَانِ، وَلاَ تَفُتْنَا زَهْرَةُ الأَوَانِ، وَنَتَكَلَّلْ بِالْوَرْدِ قَبْلَ ذُبُولِهِ، وَلاَ يَكُنْ مَرْجٌ إِلاَّ تَمُرُّ لَنَا فِيهِ لَذَّةٌ. وَلاَ يَكُنْ فِينَا مَنْ لاَ يَشْتَرِكُ فِي لَذَّاتِنَا، وَلْنَتْرُكْ فِي كُلِّ مَكَانٍ آثَارَ الْفَرَحِ؛ فَإِنَّ هذَا حَظُّنَا وَنَصِيبُنَا. لِنَجُرْ عَلَى الْفَقِيرِ الصِّدِّيقِ، وَلاَ نُشْفِقْ عَلَى الأَرْمَلَةِ، وَلاَ نَهَبْ شَيْبَةَ الشَّيْخِ الْكَثِيرِ الأَيَّامِ» (حكمة ٢:٥-١٠).

٢١- افتداء الوقت: لا شك أن الغني كان يتعجب كيف يضيّع الناس وقتهم هكذا، وتمنّى لو عاد يومًا إلى الحياة ليتخذ حياة أفضل ويصحّح ما ما فاته، وقد سعى في أن ينقذ إخوته ولكنه فشل. إن يومًا واحدًا يستطيع فيه الإنسان أن يحقق ما فاته في سنوات.

٢٢- الإخوة الخمسة: لابد وأنهم كانوا يحيون بنمط حياته في اللذة والولائم، ولم يعرفوا بمصيره بعد الموت. والعجيب أنه قَبِل قصاص الله العادل، ولكنه يطلب ألّا يواجه إخوته المصير ذاته. ولكن أبونا ابراهيم يشدّد على أهمية الكتاب المقدس في الخلاص أكثر من الآيات والعجائب، فبعض الذين شاهدوا تآمروا على المسيح، وبعض الذين جرت معهم هم أنفسهم انقلبوا مثل مريض بيت حسدا.

حقًا إن «مَنْ يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ صُرَاخِ الْمِسْكِينِ، فَهُو أيضًا يَصْرُخُ ولا يُستَجابُ» (أمثال ٢١:١٣).

الباب الثاني:

تعليقات على بعض معجزات السيد المسيح

المفلوج المدلى من السقف (متى ٩: ١٨) (مر ٢: ١-١٢) (لو ٥: ١٧-٢٦)

«ثُمَّ دَخَلَ كفرَناحومَ أيضًا بَعدَ أيّامٍ، فسُمِعَ أنَّهُ في بَيتٍ. ولِلوقتِ اجتَمَعَ كثيرونَ حتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ ولا ما حَوْلَ البابِ. فكانَ يُخاطِبُهُمْ بالكلِمَةِ. وجاءوا إليهِ مُقَدِّمينَ مَفلوجًا يَحمِلُهُ أربَعَةٌ. وإذ لَمْ يَقدِروا أنْ يَقتَرِبوا إليهِ مِنْ أجلِ الجَمعِ، كشَفوا السَّقفَ حَيثُ كانَ. وبَعدَ ما نَقَبوهُ دَلَّوْا السَّريرَ الّذي كانَ المَفلوجُ مُضطَجِعًا علَيهِ. فلَمّا رأى يَسوعُ إيمانَهُمْ، قالَ للمَفلوجِ: «يا بُنَيَّ، مَغفورَةٌ لكَ خطاياكَ». وكانَ قَوْمٌ مِنَ الكتبةِ هناكَ جالِسينَ يُفَكِّرونَ في قُلوبِهِمْ: «لماذا يتكلَّمُ هذا هكذا بتجاديفَ؟ مَنْ يَقدِرُ أنْ يَغفِرَ خطايا إلّا اللهُ وحدَهُ؟». فللوقتِ شَعَرَ يَسوعُ بروحِهِ أنهُم يُفَكِّرونَ هكذا في أنفُسِهِمْ، فقالَ لهُمْ: «لماذا تُفَكِّرونَ بهذا في قُلوبِكُم؟ أيُّما أيسَرُ، أنْ يُقالَ للمَفلوجِ: مَغفورَةٌ لكَ خطاياكَ، أم أنْ يُقالَ: قُمْ واحمِلْ سريرَكَ وامشِ؟ ولكن لكَيْ تعلَموا أنَّ لابنِ الإنسانِ سُلطانًا علَى الأرضِ أنْ يَغفِرَ الخطايا». قالَ للمَفلوجِ: «لكَ أقولُ: قُمْ واحمِلْ سريرَكَ واذهَبْ إلَى بَيتِكَ!». فقامَ للوقتِ وحَمَلَ السَّريرَ وخرجَ قُدّامَ الكُلِّ، حتَّى بُهِتَ الجميعُ ومَجَّدوا اللهَ قائلينَ: «ما رأينا مِثلَ هذا قطُّ!».» (مَرقُسَ ٢: ١-١٢).

شفى السيد المسيح مرضى كثيرين، ومنهم مفلوجون، وسُمُّوا أحيانًا شُلًّا وأحيانًا عُسمًا والمُخلَّعين: «فذاعَ خَبَرُهُ في جميعِ سوريَّةَ. فأحضَروا إليهِ جميعَ السُّقَماءِ المُصابينَ بأمراضٍ وأوجاعٍ مُختَلِفَةٍ، والمَجانينَ والمَصروعينَ والمَفلوجينَ، فشَفاهُمْ» (متى ٤:٢٤)، «فجاءَ إليهِ جُموعٌ كثيرَةٌ، معهُمْ عُرجٌ وعُميٌ وخُرسٌ وشُلٌّ وآخَرونَ كثيرونَ، وطَرَحوهُم عِندَ قَدَمَيْ يَسوعَ. فشَفاهُمْ» (متى ١٥:٣٠)، «في هذِهِ كانَ مُضطَجِعًا جُمهورٌ كثيرٌ مِنْ مَرضَى وعُميٍ وعُرجٍ وعُسمٍ، يتَوَقَّعونَ تحريكَ الماءِ» (يوحنا ٥:٣). ويُسمّى هذا المرض بالفالج وهو الشلل الرباعي. ولعل أشهر المفلوجين الذين شفاهم الرب يسوع هذا المفلوج المذكورة قصته في الأناجيل الإزائية الثلاثة، ومريض بيت حسدا والذي نطلق عليه "الوحيد" ويُسمّى أحد آحاد الصوم الكبير باسمه (أحد الوحيد أو المخلع). هذا وقد وردت قصته في متى ٩ ومرقس ٢ ولوقا ٥، وهي ليست مجرد قصة من قصص الشفاء أو معجزة كسائر المعجزات ولكنها تستحق الدراسة:

١ – **كفر ناحوم**: ثلاثة أماكن ثلاثة تُنسَب إلى السيد المسيح في حياته بالجسد: بيت لحم حيث وُلِد، والناصرة حيث عاد من مصر ليقضي طفولته فيها، وكفر ناحوم في الجليل، «وتَرَكَ النّاصِرَةَ وأتَى فسكَنَ في كفرَناحومَ الّتي عِندَ البحرِ في تُخومِ زَبولونَ ونَفتاليمَ» (متى ٤:١٣)، وهي غالبًا المدينة التي عاش فيها ناحوم النبي وسُمِّيت باسمه. وقد صنع الكثير من آياته هناك، وعلّم في مجمعهم كثيرًا، حتى أنهم في الناصرة أشاروا إلى ذلك: «فقالَ لهُمْ: علَى كُلِّ حالٍ تقولونَ لي هذا المَثَلَ: أيُّها الطَّبيبُ اشفِ نَفسَكَ! كمْ سمِعنا أنَّهُ جَرَى في كفرِناحومَ، فافعَلْ ذلكَ هنا أيضًا في وطَنِكَ» (لوقا ٤:٢٣)، ولكن سكانها

كانوا متعجرفين استحقوا الانذار «وأنتِ يا كفرنَاحومَ المُرتَفِعَةُ إلَى السماءِ! ستُهبَطينَ إلَى الهاويَةِ» (لوقا ١٠:١٥). يقول القديس متى: «فَدَخَلَ السَّفِينَةَ وَاجْتَازَ وَجَاءَ إِلَى مَدِينَتِهِ» (متى ٩:١)، بينما يقول القديس مرقس «ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ» (مرقس ٢:١). وفي كفر ناحوم يوجد أشهر مجمع يهودي، وغالبًا ما يكون هو الذي بناه لهم قائد المئة الذي أحبه اليهود وتوسّطوا له لشفاء ابنه (لوقا ٧:٥)، وقد عُثِر على بقاياة مؤخرًا.

٢- بعض المرضى تقدموا إلى لسيد المسيح بأنفسهم طالبين الشفاء، منهم الأبرص (متى ٨)، والمولود أعمى (يوحنا ٩)، والعشرة البرص (لوقا١٧)، وغيرهم. وفي المقابل هناك من تقدم للسيد المسيح طالبًا الشفاء لآخرين، مثل قائد المئة لغلامه، والكنعانية لابنتها، ويايرس لابنته، وأبو الولد المجنون الذي قدمه لتلاميذه أولًا، وغيرهم. وهناك مرضى ذهب إليهم الرب بنفسه مثل مريض بيت حسدا، إضافة إلى مرضى كثيرين بأنواع أمراض مختلفة كان يجول بينهم يصنع خيرًا «يَسوعُ الّذي مِنَ النّاصِرَةِ كيفَ مَسَحَهُ اللهُ بالرّوحِ القُدُسِ والقوَّةِ، الّذي جالَ يَصنَعُ خَيرًا ويَشفي جميعَ المُتَسَلِّطِ علَيهِمْ إبليسُ، لأنَّ اللهَ كانَ معهُ» (أعمال ١٠:٣٨)، «وكانَ يَسوعُ يَطوفُ كُلَّ الجَليلِ يُعَلِّمُ في مجامعهمْ، ويَكرِزُ ببِشارَةِ الملكوتِ، ويَشفي كُلَّ مَرَضٍ وكُلَّ ضَعفٍ في الشَّعبِ» (متى٤:٢٣)... أمّا هذا المفلوج، فقد قدمه أصدقاؤه الأربعة للسيد المسيح.

٣- **أمّا المفلوج نفسه**، فربما صار مع طول المدة وحيدًا شأن الكثيرين المطروحين فوق الأرصفة وتحت الكباري وفوقها، لم يكن قادرًا على الطلب أو حتى التعبير عن مأساته، بل ربما لم يعد يعنيه أن يُشفى أم لا، فالأعرج من

بطن أمه المطروح عند باب الجميل، لم يطلب شفاءً بل شخص مُؤمِّلًا أن يحصل من القديسين بطرس ويوحنا على صدقة، ولكنهما أعطياه ما لم يطلبه أو يفكر فيه (أعمال ٣:١-١٠). مَثَلهم مَثَل الذين يهتمون بالمجانين وأطفال في الشارع بل والحيوانات.. من ثَمّ علينا ألّا نلبّي رغبات البؤساء فقط، وإنما نحفّزهم على الطلب والشعور بالاحتياج إلى الحرية والكرامة.

٤- الأصدقاء الأربعة: هل هو قريبهم؟ أم مُستأجَرون لحمله للسيد المسيح؟ أم مُمرِّضون؟ أم متطوعون أشفقوا عليه وبادروا للقيام بعمل المحبة هذا، وهذا هو الأرجح. وفي كل جيل وُجِد مثل هؤلاء الرجال المتطوّعين، إنهم يذكّرونني بخدام المرضى المعاقين والذين ليس لهم احد يهتم بهم، فيحملونهم إلى المستشفيات أو يدفعون لهم النفقات، أو يرافقونهم في الجراحات، أو يبحثون لهم عن الدواء وغيرها، وهم -والشكر لله- كثيرون جدًا.

٥- وقد قاموا بدور الشفاعة لدى الله عن مريضهم، وقد قبل الله شفاعتهم، ولم تكن مجرد شفاعة وتوسُّل، بل كانت مقرونة بإيمانهم القوي أن الرب سيشفي مريضهم، يقول القديس لوقا «فلَمّا رأى إيمانَهُمْ قالَ لهُ: أيُّها الإنسانُ، مَغفورَةٌ لكَ خطاياكَ» (لوقا ٥:٢٠). هكذا تشفّعت العذراء في أهل العرس في قانا الجليل، وموسى النبي عن الشعب في البرية، وقَبِل الرب وساطة اليهود لقائد المئة من أجل غلامه «إنَّهُ مُستَحِقٌّ أنْ يُفعَلَ لهُ هذا، لأنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنا، وهو بَنَى لنا المَجمَعَ» (لوقا ٧:٤،٥) وغيرهم، وقَبِل الرب الشفاعة.

٦- حقًا إنه من أجل محبة الذي لم يخطئ يغفر الله للذي أخطأ. هناك قصة وردت في الأدب الرهباني عن راهب أخطأ وخجل من العودة إلى الدير،

فشجعه راهب آخر بأن تظاهر بأنه أخطأ هو أيضًا مثله، ومضيا إلى مدبِّر الدير الذي وضع عليهما عقوبة واحدة. وبينما كان الراهب البريء يتمّم عقوبته، كان يطلب من الرب أن يحسب تعبه لزميله ويقبل توبته. وقد قال الآباء في ذلك الوقت: أنه من أجل محبة الذي لم يخطئ، غفر الله للذي أخطأ. وهذا يؤكد لنا أهمية صلاتنا بعضنا عن البعض الآخر، فالله يفرح بهذه المحبة، وكأني به يقول: "وهل أنا أقل محبة للبشر من محبتهم بعضهم للبعض الآخر؟"، وكأن المصلي يستحثّ الله أن يفعل، وهذا يحدث حين يتوسَط شخص بحب - وبغير غرض - لشخص آخر لدى ثالث.

٧- **البيت الذي تمت فيه المعجزة:** والذي اتخذه السيد المسيح منبرًا له يعلّم الشعب من خلاله، وفيه تمت المعجزة. مثل بيوت كثيرة اجتمع فيها المسيح مع الجموع، مثل بيت لاوي بن حلفا، وبيت زكا العشار، وبيت سمعان الفريسي، وبيت مار مرقس، وبيت مريم ومرثا، وبيت سمعان ويظن الكثيرون أنه البيت المقصود هنا، وكذلك البيت الذي قال فيه أمثال الملكوت، وبيوت أخرى لم يُذكَر أسماء أصحابها. وكان الكثير من البيوت في ذلك الوقت بها ساحات أو دهاليز تتسع لأعداد كبيرة، تُقام فيها الاجتماعات والمنتديات الدينية أو الولائم الطقسية، وكان السيد المسيح يلبّي الدعوة في المنازل لأن المكان سيتحول إلى منبر للتعليم والآيات.

٨- **ومن المفرح أن يقيم الرب منزلًا له عند أحد**، فبينما يدعو الشخص الرب ليزوره، يقيم الرب له منزلًا عنده بنزوله فيه، ويصبح بذلك هناك منزلان: المنزل البشري الذي دُعي إليه الرب، والمنزل الإلهي الذي أقامه الرب له في ذلك المكان «»إنْ أحَبَّني أحَدٌ يَحفَظْ كلامي، ويُحِبُّهُ أبي، وإليهِ نأتي، وعِندَهُ

نَصنَعُ مَنزِلًا» (يوحنا ١٤:٢٣). هذا وقد تحولت تلك المنازل جميعها إلى كنائس وأماكن سياحية هامة ما تزال قائمة. مثلما تحولت المنازل التي كرز الرسل من خلالها إلى كنائس، ولعل هذا ما قصده السيد المسيح عندما نصحهم: «لا تنتقلوا من بيت إلى بيت» (لوقا ١٠:٧).

٩- **ولكن كيف أنزلوا المفلوج؟** حتى نعرف الرد علينا أن نتخيل المنزل اليهودي وله مدخلان، الأول خاص بأهل البيت، والثاني يتجه مباشرة إلى أعلى البيت، حيث يوجد في العادة في ركن من السطح أو مساحة منه ما يُسمّى بالعلّية، وفيها كانت تُقام الخلوات مثلما أقامت يهوديت، وفيها أضاف البعض أنبياء مثل إيليا وإليشع، وفيها اقام بعض الملوك كمقر صيفي مثل عجلون ملك موآب، وفيها يقيم الضيوف والغرباء لعدم اقتحام خصوصية أهل البيت، كما كانت تؤجَّر هذه الأماكن أحيانًا في المناسبات مثل الفصح. فلما لم يستطع الرجال الأربعة الدخول من الباب، صعدوا إلى السطح، وكشفوا الطاقة التي اعتاد السكان عملها في السطح للتهوية والإضاءة (الروشن)، وربما كانت الطاقة محاطة أو مغطاة بالأجرّ (قطع الفخار)، ولا أظن أنهم نقبوا السطح بمعنى أنهم حفروا ورفعوا الطبقات حتى الخشب ثم قلعوه!.. فلفي هذا خطر شديد على الموجودين تحتهم، ولا يمكن ضمان سلامتهم مع عمل من هذا النوع.

١٠- **ويُحسَب لأولئك الرجال أنهم لم ييأسوا**، وبحثوا عن بدائل، كانوا متأكدين أن مهمتهم تتركّز في الوصول بالمريض إلى أمام المسيح، مثلما أدرك الأبرص أن المشكلة الحقيقية تكمن في الوصول إلى المسيح وعندئذ سيُشفى لا محالة. هكذا كل من أراد أن يخدم لا يكتفي بالمحاولة الأولى، ولا

يتعلّل بصعوبة الأمر، ولا ينهزم بسهولة، بل يبذل كافة الطرق والجهود ليحقق مطلبه، ولهذا أثره على الطرف المراد استمالته. لقد قرأنا في التاريخ كيف ضمن شخص ما آخر محكومًا عليه بالموت، وكيف عاد المحكوم عليه رغم وجود فرصة للنجاة، لقد تأثر الحاكم بنُبل وشهامة الطرفين، ورأى أنه لا يليق به أن يكون أقلّ منهما في تلك الصفات، فعفى عن اثنيهما.

١١- شفى الرب البعض بالخلق مثل الأعمي منذ ولادته، وباللمس مثل ابن أرملة نايين والأبرص، وبالمناداة مثل لعازر وذي اليد اليابسة وإخراج الشياطين، وبالإرادة دون كلمة مثل تحويل الماء إلى خمر، وبمجرد كلمة ووعد عن بُعد مثل ابنة الكنعانية وغلام قائد المئة، وهو ما يُسمّى بالشفاء عن بُعد، والبعض عن طريق خروج قوة منه دون حديث ولا أمر مثل نازفة الدم، أمّا هنا -ومثله مفلوج بيت حسدا- فقد شفى المقعد بغفران خطاياه.

١٢- **مغفورة لك خطاياك:** بعض الأمراض نتجت عن خطية ما، مثل الانحراف والتدخين والكحول والشراهة وغيرها، ولكن ليست كل خطية تتسبّب في الأمراض، ولا كل مرض نتج عن خطية، ولكن الأمر كان مؤكدًا بتصريح الرب نفسه عند شفاء مريض بيت حسدا: «لا تُخطِئْ أيضًا، لئَلّا يكونَ لكَ أشَرُّ» (يوحنا ٥:١٤). وفي الاتجاه المقابل، فما أن قال له الرب «مغفورة لك خطاياك»، حتى زال عنه المرض وشُفِي. وقد ارتبط الشفاء في الكنيسة بالتوبة والمغفرة «صَلاةُ الإيمانِ تشفي المَريضَ، والرَّبُّ يُقيمُهُ، وإنْ كانَ قد فعَلَ خَطيَّةً تُغفَرُ لهُ» (يعقوبَ ٥:١٥). والعجيب أن المريض لم يحتج إلى علاج طبيعي وهو الذي بسبب طول الرقاد قد يبست عضلاته ومفاصله..

١٣- **من يقدر أن يغفر الخطايا؟**: ما ان سمع الكتبة الكتبة ذلك قالوا: «هذا يُجَدِّفُ!» (كتى ٩:٣)، «لماذا يتكلَّمُ هذا هكذا بتجاديفَ؟ مَنْ يقدِرُ أنْ يَغفِرَ خطايا إلّا اللهُ وحدَهُ؟» (مَرقُسَ ٢:٧)، «مَنْ هذا الّذي يتكلّمُ بتجاديفَ؟ مَنْ يَقدِرُ أنْ يَغفِرَ خطايا إلّا اللهُ وحدَهُ؟» (لوقا ٥:٢١). بدلًا من أن يفرح الكتبة بشفاء الرجل مُمجّدين الله، تركوا المعجزة المبهرة وأدانوا المسيح! ولكن فيما هم يهاجمونه جاء الهجوم اعترافًا منهم بألوهية المسيح، وفي قولهم «الله الواحد وحده» (بحسب لوقا – الترجمة القبطية) إشارة إلى الفرق بين مجرد إله والإله الواحد، فلا يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله. وقد أكد لهم السيد المسيح أنه الغافر بدليل أن الرجل قام حاملًا سريره، ليدلّل أمام الكل على أنه شُفِي بمجرد غفران خطاياه الذي وهبه إيّاه الله وحده، فقال لهم الرب: أيّما أيسر أن أقول له مجرد قول إنه قد غُفِرت خطيته فلا تصدقون، أم أن يكون هناك دليل ملموس ومرئي؟! وهنا قال له: «لكَ أقولُ: قُمْ واحمِلْ سريرَكَ واذهَبْ إلَى بَيتِكَ!» (ليس محمولًا ولكن حاملًا لما كنتَ محمولًا عليه). هكذا فعل قدام الجميع ليتأكد للكل أن الكلام حقيقي وليس مجرد ادعاء ألوهية.

١٤- : **«مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!»**: كان تعليق الجموع ومن بينهم لاهوتيون وعلماء ومعلمون: «بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!»، إن كلمته ذات السلطان أعطت المغفرة والشفاء معًا. كان السيد المسيح يتكلم بسلطان وليس كالكتبة، كلمته محيية شافية مقيمة معزية، تحمل قوته وإمكانياته.

العَشَرة البُرص (لو ١٧: ١١-١٩)

وفـي ذَهابِـهِ إلَـى أورُشَليمَ اجتـازَ فـي وسطِ السّامِرَةِ والجَليلِ. وفيما هو داخِلٌ إلَى قريـةٍ استَقبَلَهُ عشَرَةُ رِجالٍ بُرصٍ، فوَقَفوا مِنْ بَعيدٍ ورَفَعوا صوتًا قائلينَ: «يا يَسوعُ، يا مُعَلِّمُ، ارحَمنا!». فنَظَرَ وقالَ لهُمْ: «اذهَبوا وأروا أنفُسَكُمْ للكهنةِ». وفيما هُم مُنطَلِقونَ طَهَروا. فواحِدٌ مِنهُمْ لَمّا رأى أنَّهُ شُفيَ، رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيمٍ، وخَرَّ علَى وجهِهِ عِندَ رِجلَيهِ شاكِرًا لهُ، وكانَ سامِريًّا. فأجابَ يَسوعُ وقالَ: «أليس العشَرَةُ قد طَهَروا؟ فأين التِّسعَةُ؟ ألَمْ يوجَدْ مَنْ يَرجِعُ ليُعطيَ مَجدًا للهِ غَيرُ هذا الغَريبِ الجِنسِ؟». ثُمَّ قالَ لـهُ: «قُمْ وامضِ، إيمانُكَ خَلَّصَكَ». (لوقا ١٧: ١١-١٩).

الأبرص بحسب ما ورد في سفر اللاويين «والأبرَصُ الّذي فيهِ الضَّربَةُ، تكونُ ثيابُهُ مَشقوقَةً، ورأسُهُ يكونُ مَكشوفًا، ويُغَطّي شارِبَيهِ، ويُنادي: نَجِسٌ، نَجِسٌ» (اللاويّينَ ١٣: ٤٥)، يجب أن يُعزَل عن الناس، ليس لأنه مُعدٍ فحسب وإنما لأنه خاطئ مرفوض، وبسبب خطيته أُصيب بالبرص. وكانت الشريعة تلزمه بشقّ الثياب وحلق الشارب والصراخ بأنه "نجس" حالما يشعر بأحد يقترب منه، لئلا يتنجس الأخر بملامسته، وفي هذه الحالة سيكون عقاب الأبرص القتل. وكان البرص يشيرون للبشرية التي بسبب خطيتها صارت محرومة من الشركة، ولكن المسيح أعادنا للشركة.

كان العشرة خارج المدينة بعضهم من اليهود والبعض من السامرة، وعلى رغم الفروق العقائدية بينهم إلّا أن المرض قد جمعهم، فأيّ نفع لشريعة تعمّق الشعور داخلهم بالخطية والرفض. وكان المسيح يمرّ مع تلاميذه في طريقه إلى أورشليم، وكان أولئك العشرة قد عرفوا بذلك، فاتفقوا على عمل ما يشبه المظاهرة وصرخوا معا «يا يَسوعُ، يا مُعَلِّمُ، ارحَمنا!»، وهنا تحنن الرب عليهم...

ومرة أخرى يقدّم المسيح السامريين إلى اليهود مُعلِّمًا إيّاهم نبذ العرقية والتعصُّب، مِثل مَثَل السامري الصالح. ليس ذلك فحسب، بل أنه أعطى أرفع وسام للمرأة الكنعانية «عظيم إيمانكِ»، وشكر اليهود للمسيح قائد المئة، وقبل كرنيليوس رغم أنه وثني...

ويُلاحَظ أن السيد المسيح لم يتكلم معهم، ولم يضع يديه عليهم، ولكن بمجرد إرادته. وتذكرني المعجزة بمعجزة قانا الجليل، إذ لم يقل شيئًا سوى أنه قال لهم «استقوا الآن...». ولكن هنا يأمرهم بالذهاب إلى الكاهن، وهذه خطوة تتم بعد الشفاء من ضربة البرص، وهذا يعني أنهم قد شُفُوا بالفعل مع خروج كلمته، فهو لم يقل "مد يدك"، ولا "لك أقول قم"، ولم يصنع من التفل طينًا، بل لم يقل لهم "اطهروا الآن"... **كلمة الرب مشفية محيية معزية.**

ولا نعرف إن كانوا قد صدّقوا المسيح أم لا، ولكنهم على أيّة حال مضوا، وفي الطريق لاحظوا تغيُّرًا في لون جلدهم ليصبح مثل لحم صبي كما جاء عن نعمان السرياني، وانتابهم الفرح الشديد، ولكن واحدًا قرر العودة بمفرده ليقدم الشكر «فواحِدٌ مِنهُمْ لَمّا رأى أنَّـهُ شُفيَ، رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بصوتٍ عظيمٍ، وخَرَّ علَى وجهِهِ عِندَ رِجلَيهِ شاكِرًا لهُ».

إن الملفت في هذه القصة ليس الشفاء في حد ذاته، فالسيد المسيح صنع الكثير من المعجزات وبعضها يبدو أعظم من شفاء البرص، «جالَ يَصنَعُ خَيرًا ويَشفي جميعَ المُتَسَلِّطِ علَيهِمْ إبليسُ» (أعمال ١٠:٣٨)، ولم يُذكَر مع هذه المعجزات شيء عن موضوع الشكر، أي أن الرب لم يطلب شكرًا، بل في بعض المعجزات كان يطلب من الشخص ألّا يحدّث أحدًا بها «وقالَ لهُ: انظُرْ، لا تقُلْ لأحَدٍ شَيئًا، بل اذهَبْ أرِ نَفسَكَ للكاهِنِ وقَدِّمْ عن تطهيرِكَ ما أمَرَ بهِ موسَى، شَهادَةً لهُمْ» (مَرقُسَ ١:٤٤)، ولكن في هذه المرة قال «أين التسعة؟»».

كنيسة القديس جورجيوس ببرقين والمسماة كنيسة العشرة البرص

وتُعرَف بأنها رابع أقدم كنيسة بالعالم بعد القيامة والمهد والبشارة، وثالث مكان مقدس للمسيحيين، وتقع ببلدة برقين جنوبي مدينة جنين بشمال الضفة الغربية، تُعرَف الكنيسة الآن باسمها أو بـ"بُرصين" كما كانت تُسمّى القرية سابقًا، وتُسمّى أيضا "أعجوبة شفاء العشرة البُرْص". وقيل أنه تم احتجازهم في داخل مغارة مظلمة خشية انتقال العدوى إلى الآخرين، وكان الأهالي يزوِّدونهم بالماء والطعام من خلال فتحة صغيرة في أعلى المغارة، حتى قدم إليهم المسيح، ومسح على وجوههم، على منحدر جبلي. وتشرف على واد برقين الأخضر، وتكسو أشجار الزيتون المنطقة المقابلة لها.

ملاحظات حول المعجزة:

+ **لم يكن المسيح ينتظر الشكر منهم**، شأنهم شأن الكثيرين الذين صنع معروفًا معهم، وإن بدا العتاب فيه شيء من الأسى. وواضح أنه لم يكن يوجّه الكلام للسامري، بل كنوع من التمتمة (مثلما كان يكتب على الأرض في قصة

التي أُمسِكت في ذات الفعل)، بل كان هذا في الواقع مدحًا للسامري الذي عاد ليشكر، وربما قبل أن يذهب إلى الكاهن، وقبل أن يبلّغ أسرته، شعر أن الواجب أن يمضي أولا ليقدم الشكر للمسيح.

+ **علينا تقديم الشكر لكل من اهتم بنا:** وقدم خدمة أو مجاملة، أو مجرد محاولة المساعدة، مجرد أن بذل الشخص جهدًا حتى وان لم تنجح المحاولة. هناك برتوكلات الشكر بين الدول والجماعات والأفراد، تقديم الشكر على التهاني، وعلى الزيارة، وعلى المكالمة، على الطعام.. امدح في كل شيء قُدِّم لك، ديكورات البيت، والثياب، والطعام والشراب...

+ **نكران الجميل:** في حين أن نكران الجميل لا يليق بأولاد الله، كم كان جميلًا أن يعود التسعة الآخرون إلى المسيح يشكرونه على شفائهم، كان الشفاء هبة مجانية غير مشروطة، فلم يفرض عليهم يسوع الشكر قبل شفائهم ولم يشترط عليهم الشكر بعد شفائهم، ولكنه ترك موضوع الشكر لهم كعمل اختيارى يعبّر عن الإحساس بالعرفان والتقدير لعمل الله معهم.

وما عمله يسوع مع العشرة البرص يعمله معنا نحن أيضا، وبالمثل فهو لا يفرض علينا الشكر مقابل إحساناته كمن يصرّ على تحصيل الثمن قبل أو بعد تسليم البضائع. فيسوع لا يرغمنا على أن نقدم له الشكر بل هو يشرق بشمسه ويروي بأمطاره ويغمر ببركاته كل البشر، الصالحين منهم والطالحين، الشاكرين منهم والجاحدين؛ ولكنه يُسَر بالقلوب الشاكرة.

+ **دور الكنيسة:** وفي هذا التصرُّف أيضًا يوجّهنا الرب يسوع للخضوع للكنيسة وتعاليمها، وأيضًا يلزم الخاطئ بالذهاب إلى أب الاعتراف لكي يعترف بخطاياه وينال الحل، إنه احترام لدور الكاهن، بل هو نفسه خضع لذلك حين

دخل الهيكل وقُدِّمت عنه ذبيحة البكر فاتح الرحم. وعن المرضى قال القديس يعقوب: «أمَريضٌ أحَدٌ بَينَكُم؟ فليَدعُ قُسوسَ الكَنيسَةِ فيُصَلّوا علَيهِ ويَدهُنوهُ بزَيتٍ باسمِ الرَّبِّ...» (يعقوب٥:١٤).

+ **الوفاء:** والشكر يرتبط بالوفاء، فالوفاء هو التعبير عن الشكر، وهو لا يرتبط بحياة صاحب الفضل ولكن بعد وفاته أيضًا، مثلما فعل داود مع نسل شاول. كثير من الناس كانوا بحاجة إلى الفتات من كلمات التشجيع إبّان حياتهم، ولم يجدوها لتبلّ ريقهم، في حين كِيل لهم المديح بعد وفاتهم، وهناك من جاملوهم كثيرًا في وجوههم لتخرس جميع الألسنة عقب وفاتهم (مثل العمدة وكلبه). والكتاب يقول «أذكُروا مُرشِديكُمُ الّذينَ كلَّموكُمْ بكلِمَةِ اللهِ...» (العِبرانيّينَ١٣:٧).

+الوفاء داخل الأسرة: هناك بين الأولاد من تعوّد أن يشكر والديه في كل مرة يحضرون له شيئًا فيها، وتتعجب الأم أو الأب أحيانًا لماذا فلان فقط هو الذي يشكر، أليس الجميع أولادنا حملتهم وأرضعتهم وربيتهم وكبرتهم؟ لماذا هذا الجحود؟ ومن هنا جاءت فكرة عيد الأم، ليقدم لها المجتمع كله الشكر لتغطية نكران أولادها. ومن هنا ندرك سبب التفريق في المعاملة بين ابن وآخر، فبينما يجب ألّا تفرّق الأم بين أولادها، فإن هناك منهم من يستطيع أن يستأثر بحب وكرم أكثر من الباقين بسبب قدرته على التعبير عن الشكر. أين الأبناء من المسنين والمسنات، والراقدين في المستشفيات، والذين يستجدون العطف والاهتمام من الغرباء؟

+ **داخل الكنيسة:** «أليس العشَرَةُ قد طَهَروا؟ فأين التِّسعَةُ؟ ألَمْ يوجَدْ مَنْ يَرجِعُ ليُعطيَ مَجدًا للهِ غيرُ هذا الغَريبِ الجِنسِ؟». هذا يحدث أيضًا في

الكنيسة.. فالكاهن يخدم الكل ويسأل عن الكل، ولكن نادرًا ما يجد من يسأل عنه أو احتياجاته، أو من يتصل حتى للاطمئنان عليه، أكثر من ذلك بعد نياحة الكاهن قد لا تجد أسرته من يزورها ويسأل عنها، ربما لا يكونون في احتياج، ولكنه من اللائق أن يشعروا بالوفاء من جهة من خدمهم الكاهن، إلّا القليل النادر، ومن هنا تتساءل الأرملة: أليس العشرة شُفوا، فأين التسعة؟.. ومن العجيب أن يجد الشخص أن من يسأل عنه ويقدم له الشكر والوفاء هو البعيد أكثر من القريبين، سواء في الكنيسة أو الحياة العامة.

+ **لماذا يُري نفسه للكاهن؟** الذهاب للكهنة ليس لنقص في عمل المسيح بل كمال، كما أنه يعطي الكهنة دليلًا ماديًا على قدرته ولاهوته. أيضًا لاحظنا بأن السيد المسيح أمرهم بأن يذهبوا إلى الكهنة ليروا انفسهم لهم ليؤكد أنه ما جاء لينقض الشريعة بل يكملها، وأيضًا كي يعطي للكهنة اليهود دليلًا ماديًا على قدرته على الشفاء والتطهير.

+ **الانشغال بالعطية وترك العاطي:** لقد فرح هؤلاء التسعة بخلاص الرب، لكن السامري فرح بإله خلاصه (حبقوق ٣:١٨). هذا يحدث كثيرًا أن نطلب بإلحاح وصراخ ودموع وقد ننذر، ولكن حالما تُجاب طلبتنا نفرح بها بينما ننسى تقديم الشكر. لهذا كان اليهود يعزلون العشور والبكور قبل الأكل منها، وكانت البكور تُقدَّم بطريقة مفرحة تعبّر عن القلب الشاكر للرب على عطاياه، ومن ثَمّ يصبح الطعام مقدسًا. ومثل طفل يستقبل أباه ناظرًا إلى ما يحمله، وعندئذ يتعلق بالهدية حتى دون أن يقبّل والده، ويذهب بعيدًا ليأكل أو يلعب. هنا ويجب على الوالدين تسليم أولادهما فضيلة الشكر، وإبداء إعجابهم بكل ما يحضرونه لهم، وإن كان هناك تعليق فليكن لاحقًا، فبعض الواهبين يُصابون

بالإحباط عندما لا يسمعون كلمة شكر، ويعتقدون في أنفسهم أنهم مهما فعلوا فلن يُشكَروا. يقول القديس أثناسيوس الرسول إن هذا الأبرص السامري هو مَثَل لحياة الشكر التي تكشف عن قلب تعلّق بواهب العطايا -أي الله- أكثر من العطية ذاتها .

هناك الكثير من الناس يبنون علاقاتهم مع الله بأنه خادم لحاجاتهم، يحبونه حين يحقق مطالبهم أو احتياجاتهم، ويجدفون عليه حين لا يلبي طلباتهم، أو بمجرد أن نالوا طلبهم يذهبون ولا يرجعون ليشكروان الله مثل البرص التسعة.

+ **والعجيب أن الحيوان يكون أحيانًا أوفى من الإنسان:** فالحيوان يستطيع أن يعبّر عن امتنانه وشكره لمن يقدم له الطعام والاهتمام، وفي كل مرة يفعل ذلك بالإيماء وبالتمسح وبلعق الأقدام.

+ **الأقباط الذين في الخارج:** يسعون أن يكونوا أمناء للكنيسة، هنا وأذكر بالخير بعض الآباء الكهنة الذين ما يزالون على اتصال بالإيبارشية، ويساهمون في احتياجاتها، ويذكرون الوطن ولا ينسون أنهم تربّوا في مصر وتعلموا فيها، وعاشوا في خيرها... إن بعضًا من الذين يحسنون إلى الأقباط وإلى الكنيسة هم أشخاص لم يولدوا فيها ولكنهم يشكرون عن آبائهم وأجدادهم.

أخيـرًا:

يحتفل الناس فى القارة الأمريكية فى الخميس الرابع من شهر نوفمبر من كل عام بيوم هام يُسمّى "عيد الشكر". وهو تذكار لتقليد قديم قام به الرواد الأوائل القادمون للعالم الجديد بعد أن أنهوا صراعهم مع سكان البلد الأصليين،

حيث جلسوا معهم يأكلون الطعام الذى كان يتكون من الديك الرومي والبطاطا. وحتى هذا اليوم ما تزال هذه المناسبة تُراعى بين الأهل والأصدقاء حيث يجلسون معًا يتذكرون إحسانات الله معهم خلال العام الماضي. والهيئات الخيرية تحرص فى ذلك اليوم على دعوة الفقراء إلى مأدبات تقدم لهم فيها نفس تلك الأطعمة. وهو تقليد جميل وإن كان قد فقد مغزاه عند بعض الناس وتحول إلى عمل روتيني.

تعلموا الشكر لكل حركة: الذي أفسح لك الطريق، والذي يقدم لك شيئًا لا سيما الأطفال، والذي أحضر لك شيئًا فتقول له "كنتُ في احتياج إليه" حتى وان لم تكن.. شكر الذي يأخذ يحرك الذي يعطي ليبذل المزيد، وليست عطية بلا زيادة إلّا التي بلا شكر. الشكر أعطى الشاكر أكثر مما أخذوا هم: لذلك بينما حصل التسع على تطهير الجسد فقط، حصل هذا السامري على تطهير الجسد وخلاص النفس...

المُخَلَّع (يو ٥: ١-١٥)

العنوان نفسه يثير العجب وربما الابتسام، "مُخلّع" أي أنه مُفكّك وغير متماسك. ويسمونه أحد الوحيد أو المفلوج، ويُسمّى هذا المرض بالفالج ومنه المفلوج، وأُشير إليه بالعُسم «عرج وعمي وعسم..» أي الشلل الرباعي..

١- بركة "بيت حسدا":

أو "بيت الرحمة"، وقد اكتسبت هذه التسمية بسبب ما عُرِف من أن أشفية كانت تُجرى فيها. ولطالما هاجم نقّاد الكتاب المقدّس هذا النص إذ لم يستدلّوا على بركة بهذا الاسم، إلى أن تم اكتشاف البركة فعلًا ووجدوا لها خمسة أروقة، ووجدوا أنّها انطمست أثناء غزو الرومان. والأروقة هي دهاليز مسقوفة تستعمل كأماكن انتظار للمرضى. والبركة طولها ١٠٠ متر، وعرضها يتراوح بين ٥٠ و٧٠ مترًا. وحولها أعمدة قسّمت المساحة لخمس صالات للانتظار. وكان اليهود يستخدمون هذه البركة للتطهير الناموسي ويتركون ملابسهم في الأروقة، إلى أن حدثت ظاهرة تحريك الماء فتحوّلت البركة إلى مكان استشفاء. وكان المرضى يضّطجعون في هذه الأروقة.

وقيل إن هذه البركة والتي أُشير إلى أنها عند باب الضأن، تقع مقابل باب الضأن أحد أبواب أورشليم الاثني عشر، ومنه كانت تدخل الخراف المُعدَّة لتُقدَّم كذبائح في الهيكل. وقيل إن الخراف كانت تُغسَل في الماء في تلك البركة. ومن أبواب أورشليم أيضًا: باب السمك ومقابله كان باعة السمك أو

سوق السمك، وباب الماء وربما كان مقابل بركة سلوام حيث كان يُجلَب الماء بموكب من الكهنة في عيد المظال، وهكذا...

٢ - الرب يفتقد المفلوج:

البعض ذهبوا إلى الرب مُقدِّمين إرادتهم له، مثل الأبرص الذي جثا امامه قائلًا: «إنْ أرَدتَ تقدِرْ أنْ تُطَهِّرَني» (مرقس ١: ٤٠)، وزكا العشار الذي طلب أن يراه. والبعض انتظرهم الله مثلما يتضح من قصة الابن الضال إذ كانت له القدرة على المجيء إلى المسيح. والبعض ذهب إليه محمولًا بأيدي أناس محبين، أي كانت هناك معه إمكانية من يحمله إلى المسيح. والبعض الآخر ذهب هو إليهم لعدم قدرتهم على المجيء بأنفسهم، مثل هذا المفلوج، فلم تكن لديه هذه الامكانية، ليس فقط ان يحملونه إلى السيد، بل ولا حتى من يساعده عدة عشرات من الأمتار حتى الماء «ليس لي إنسانٌ يُلقيني في البِركَةِ مَتَى تحَرَّكَ الماءُ» (يوحنا ٥: ٧)، هكذا بحث المسيح عن التائهين والمنسيين والذين أوشكوا على اليأس، ولعلنا نلاحظ في آحاد الصوم أن جميع أبطالها من المرذولين: الابن الضال، والسامرية، والمخلع، والمولود أعمى.

٣- كثيرون تابوا ولكنهم انتكسوا من جديد:

التوبة ليست فاتورة تُدفَع أو توقيع على عقد، وإنما هي حياة يتم اختيارها بعد الاقتناع بها. والتوبة عن الخطية ليست كافية، وإنما الاستمرار وتجفيف المنابع وسدّ الثغرات. وهناك خطايا نقدم عنها توبة غير كاملة، فتعود بقوة أعظم وكأنها أخذت مناعة، مثل الشيطان الذي يخرج ثم يعود فيجد المكان الذي تركه مفروشًا مُزيَّنًا فيُحضر معه سبعة أرواح أشر منه، يجعلون من

أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله. وقلنا مرارًا إن الخطورة لا تكمن في عمل الخطية فقط، وإنما بالأحرى في عدم التوبة عنها وعدم التعلُّم منها، ومن الرجوع إليها، كما أن الله لن يديننا لأننا أخطأنا ولكنه سيديننا إن لم نتب بعد ما أخطأنا.

قابلتُ من يخطئ ولا يقدم توبة، ومن يخطئ ويتوب، ومن يقدم توبة عمّا لم يقترفه، ومن ينسب أخطاءه للآخرين، ومن يجاهد ألّا يخطئ، ومن يصرّ على العناد، ومن هو مشغول بخطايا الآخرين، ومن هو معني بخطاياه، ومن يصلي لأجل الخطاة، ومن يدينهم ويطلب الانتقام منهم، ومن يعرج بين الفرقتين، ومن اتخذ من مراجعة نفسه والتوبة منهجًا فعاش في راحة واقتنى الملكوت.

وعندما حذّر الرب ذلك الشخص المريض من العودة مُجدَّدًا للخطية، كان تحذيرًا وليس تهديدًا أنه سيكون له أشرّ، وقد حدث ذلك بالفعل إذ عاد إلى خطيته فهو الذي حاول منع المشيِّعين من السير بتابوت السيدة العذراء وهم في طريقهم لدفن جسدها الطاهر، ومن ثَمّ التصقت يداه وانفصلتا عن جسده.

٤- أتريد أن تبرأ؟!

بدأت متاعب الانسان منذ انفصلت إرادته عن إرادة الله، ومن ثَمّ ولكي يخلص لابد من اتحاد الإرادتان معًا. في المرات التي ذهب إليه البعض فيها قدموا له إرادتهم، مثلما حدث مع الأبرص «إنْ أَرَدتَ تقدِرْ أنْ تُطَهِّرَني»، وقال الربُّ للتو: «أُريدُ، فاطهُرْ!». وعندما ذهب هو إلى المفلوج سأله «أتُريدُ أنْ تبرأ؟»، وقدم الرجل إرادته مع الشرح.. وهنا شفاه الرب. وقد عاتب أورشليم:

«كَمْ مَرَّةٍ أَرَدتُ... ولَمْ تُريدوا!» (متى ٢٤:٣٧). وهنا نلحظ أن الله يعلن إرادته دائمًا، فهو يريد أن جميع الناس يخلصون.. بل هو مستعد أن يهب الإرادة نفسها «لأنَّ اللهَ هو العامِلُ فيكُم أنْ تُريدوا وأنْ تعمَلوا مِنْ أجلِ المَسَرَّةِ» (فيلبّي٢:١٣)، المهم من الذي سيستجيب؟ وقال بعض الآباء: "انتشلني يا رب رغمًا عني، ولا تنتظر إرادتي لأني مثل الطين أشتاق إلى الخطية وأميل إليها".. ولنفرِّق بين شخص يستطيع ولكنه لا يريد، وآخر يريد ولكنه لا يستطيع وهذا يهبه الله الاستطاعة. العجيب أن البعض يدرك أنه إذا عاد إلى الرب فهو يُشفى، ولكنه لا يريد «لِئَلّا... يَرجِعوا فأشفيَهُمْ» (يوحَنا ١٢:٤٠).

٥- قام بمجرد المناداة:

في معجزة شفاء المولود أعمى أظهر الرب أنه الخالق، فصنع له عينين لأنه مولود أعمى. عمل الخلق يُنسَب للثالوث القدوس وهكذا الخلاص، كما أن الصفات المُطلَقة تُنسَب للثالوث القدوس أيضًا مثل القداسة والبر والسرمدية وغيرها، ففي البشارة قال الملاك: «الرّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ علَيكِ، وقوَّةُ العَليِّ تُظَلِّلُكِ، فلذلكَ أيضًا القُدّوسُ المَوْلودُ مِنكِ يُدعَى ابنَ اللهِ» (لوقا ١:٣٥)، الآب أرسل الابن، والابن تجسد وصُلِب، والروح القدس ينقل إلينا مفاعيل الخلاص. وفي شفاء هذا المفلوج (ومثله المفلوج المُدلّى من السقف) قام من شلله التام بمجرد كلمة، فكلمة الرب شافية من المرض ومُحيِية من الموت، ومُخرِجة للشياطين، ومُعزِّية وقاطعة مثل سيف ذي حدين. حدث مثل ذلك في إقامة لعازر، وشفاء ذي اليد اليابسة، وابن ارملة نايين، وغيرهم... لاحظوا كيف قام المفلوج فجأة ودون تدرُّج ولا علاج طبيعي، ولماذا نتعجب وقد أقام الميت الذيِ أنتن في القبر، فكم بالاحرى المفلوج؟

٦- مهما طال رقاد الشخص في الخطية يمكن أن يُشفى:

مهما بلغت خطية الشخص، ومهما طال رقاده في الشر، ومهما بلغ عتوه، يمكن أن يُشفَى ويمكن أن يتراجع عن شروره. والتاريخ الكنسي مليء بقصص لمثل هؤلاء، وهي قصص جميعها مفرح ومشجّع جدًا، بل فيهم من تاب قبيل انتقاله من العالمح وقد قبل الله الجميع.. المشكلة عندنا نحن في أنه قد نؤخَذ فجأة ولا تكون هناك بالتالي فرصة للتوبة، وقد قرأتُ عن أناس ظلّوا في غيبوبة مدة طويلة ثم أفاقوا بعدما ظن ذووهم ومعالجوهم أنهم لن يقوموا أبدًا من غفلتهم، وهناك أناس عاشوا معنا خطاة أشرارًا ولكنهم تابوا في مكان آخر من هذه الأرض، ولعل هذا الرجل المفلوج لم يكن هناك من يتابعهن وواضح أنه لم يكن من المنطقة بل جاء مثل كثيرين من أماكن عدة ليستشفوا... لا تيأسوا من إنسان، ولا تيأسوا من أنفسكم، فليس عند الله شيء عسير.

٧- بركة بيت حسدا والمعمودية:

ذِكر تحريك الماء والشفاء هو إشارة لما سيحدث في المعمودية، وتحريك الماء رمز لحلول الروح القدس، ولا ننسى أن الكاهن يحرك الماء في المعمودية عند صلاة قداس المعمودية، وبوضع الميرون فيها تصبح المياة حيّة ووالدة. والمعمودية تغفر الخطايا سواء الجدية أو الشخصية، لا سيما بالنسبة للمُعمَّدين البالغين، ومن ثَمّ كان البعض يؤجلون معموديتهم إلى سن متقدمة، ولكن السيد أشار إلى أن هذه المياه لن تشفيه ولن تجدّده، بل الماء الذي يعطيه هو والذي ينبع إلى حياة ابدية. ونلاحظ أن نهر المعمودية يجري خلال الصوم الكبير حتى ينتهي بأحد التناصير، فمن الابن الضال الذي لبس

الحلة الأولى التي هي المعمودية، إلى السامرية التي تحدث الرب معها عن ماء الحياة، إلى مريض بيت حسدا وبركة المياة، إلى المولود أعمى والاغتسال ليأتي بصيرًا علامةً للمعمودية وهي الاستنارة؛ حيث كانت قافلة الموعوظين تتعمّد بعد دروس في الإيمان خلال الصوم.

٨- العلاقة بين الخطية والمرض:

لا شك أن هناك علاقة بين الاثنين، ويظهر الربط هنا من خلال قول الرب «للمفلوج لا تُخطِئْ أيضًا، لئَلّا يكونَ لكَ أشَرُّ» (يوحنا ٥:١٤)، فالإدمان كخطية ينتج عنها تبديد المال والصحة كتلف الكبد وغيره، والشذوذ الجنسي والجنس عمومًا خارج إطار الزواج يسبّب أمراضًا ومنها الإيدز، التدخين وتلف الرئة وغيرها... وهكذا لما أراد الله أن يشفي المفلوج المُدلّى من السقف، غفر له أولًا: «وإذا مَفلوجٌ يُقَدِّمونَهُ إليهِ مَطروحًا علَى فِراشٍ. فلَمّا رأى يَسوعُ إيمانَهُمْ قالَ للمَفلوجِ: ثِقْ يا بُنَيَّ. مَغفورَةٌ لكَ خطاياكَ» (متى ٩:٢)، ولمّا أراد أن يحذّر المفلوج هنا من المرض مُجدَّدًا حذّره من العودة إلى الخطية.

ومن مظاهر ارتباط الاثنين معًا هو ما يراه الإنسان فيُصاب بالمغص أو الإغماء وأحيانًا الموت، وأحيانًا تفضي السرقة إلى الموت، والغضب الذي ينتج عنه الضرب أو القتل، وبسبب التعيير قد يميت الإنسان شخصًا آخر.

ويرى البعض أن الألم والمرض ينتجان عن اضطراب العلاقة بالله، وفي سفر يشوع بن سيراخ نقرأ أن الطبيب الذي يصف الدواء هو نفسه يصلي إلى الله لكي يشفى مريضه «إنَّ لِلأَطِبَّاءِ وَقْتاً، فِيهِ النُّجْحُ عَلَى أيْدِيهِمْ، لأنَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ إلَى الرَّبِّ، أنْ يُنْجِحَ عِنَايَتَهُمْ بِالرَّاحَةِ وَالشِّفَاءِ، لاِسْتِرْجَاعِ الْعَافِيَةِ» (سيراخ ٣٨:١٣،١٤)، وهناك فرق بين الطبيب المؤمن والآخر الشرير.

٩- **الشفاء في السبت:**

كانت أكثر معجزات المسيح في السبت، ليس بغرض مضايقة البعض من اليهود وإنما لأنه كان يذهب إلى المجامع في السبوت، وهناك كان يجتمع جمع غفير من الشعب، وكانوا يتابعونه ليحملوا إليه مرضاهم، فكان يشفيهم، وكان اليهود لا يجسرون على مواجهته في ذلك لضعفهم أمامه، ومن ثَمّ كانوا يلاحقون المرضى الذين شُفوا ويبكّتونهم ويتآمرون عليهم بما يصل إلى القتل، مثلما أرادوا ان يفعلوا مع لعازر. والمرة التي تجرأ فيها رئيس مجمع ووجه الكلام للشعب في وجود المسيح «هي سِتَّةُ أيّامٍ يَنبَغي فيها العَمَلُ، ففي هذِهِ ائتوا واستَشفوا، وليس في يومِ السَّبتِ!» (لوقا ١٣:١٤)، بكّته الرب بقوله: «يا مُرائي! ألا يَحُلُّ كُلُّ واحِدٍ مِنكُمْ في السَّبتِ ثَوْرَهُ أو حِمارَهُ مِنَ المِذوَدِ ويَمضي بهِ ويَسقيهِ؟» وكان يقصد الرئيس الذي تكلم.

ومع ذلك شرح الرب للجموع في أكثر من مناسبة عن أن السبت جُعِل لأجل الإنسان وليس الإنسان لأجل السبت، وأنه يجوز فعل الخير في السبوت، وأن الكهنة يكسرون السبت وهم أبرياء إذا ما أُضطُروا لختان طفل صادف يومه الثامن يوم سبت، ثم حسم القضية بقوله إن «ابن الانسان هو رب السبت»، أي أنه هو الذي وضعه، وهو لا ينقضه هنا وإنما يرقى بمفهومه.

المولود أعمى (يو ٩)

اعتبر اليهود تفتيح عيني المولود أعمى هو أكبر المعجزات، حتى أكثر من قيامة الموتى. فقد صنع المسيح عينين للأعمى الذي وُلِد بدون عينين، حتى أن التأكيد على ذلك تكرّر خلال سرد أحداث المعجزة. وعندما تحدث القديس باخوميوس عن الطريق الحقيقي للمعجزات، ذكر ان رجوع الخاطئ هو إقامة ميت، بينما تبشير وثني يُعَد تفتيح عيني أعمى. هذا وقد صرّح الأعمى نفسه قائلًا: «منذُ الدَّهرِ لَمْ يُسمَعْ أنَّ أحَدًا فتحَ عَينَيْ مَوْلودٍ أعمَى» (يو ٩:٣٢).

وهناك فرق بين المولود أعمى، والذي فقد البصر في وقت لاحق، أي بين الذي حُرِم الإبصار، والذي لم يختبره أصلًا، الذي رأى الألوان والجمال والطبيعة والأشخاص الذين يحادثهم، والمباريات والسيارات والنجوم وغيرها. ومع ذلك فهناك مشاهدات معثرة أشار إليها الرب بأنه «إنْ أعثَرَتكَ عَينُكَ فاقلَعها...» (متى ١٨:٩)، كما أشار إلى العين الشريرة والعين البسيطة (متى٦:٢٢-٢٤؛ لوقا ١١:٣٤-٣٦)، والفرق بين الاثنين هو أن العين البسيطة ترى الجمال وكل ما هو خير، وأمّا العين الشريرة فترى الشهوة والجسد والجنس.

ربما ندم بعض العميان بعد أن أبصروا، فإن الخيال يكون أحيانًا أجمل من الواقع، والصورة أحيانًا تحدّ انطلاق الخيال، ومن هنا فإن البصيرة هي عمق التفكير واتساع الأفق وكثرة التمعُّن، بل أن مجرد غلق العينين يساعد

على التركيز، ومن هنا فإن البعض منّا وهو مبصر يميل أحيانًا إلى الاستناد إلى الخلف وغلق العينين ليركّز ويستوحي ويفصل نفسه عما حوله. وعندما سُئِل القديس أنطونيوس عن أدواته ولغته في حياته قال : "إن لغتي هي السكون. لذلك أستطيع أن أقرأ لغة الله في أي وقت أشاء" (يقصد الاستنارة).

الاستنارة:

ارتبطت معجزة تفتيح عيني المولود أعمى ثم اغتساله بالمعمودية والاستنارة. لا شك أن هبة المعمودية هي سر استنارة الكنيسة، أو بمعنى آخر أن الاستنارة هي هبة إلهية تُمنَح لنا خلال هذا السر، والمرتبط بعطية الروح القدس في سر التثبيت. وهكذا فإن الإنسان الروحي الذي استنار بالروح القدس سيصبح قادرًا على التمييز بين ما هو جيّد وما هو رديء «وأمّا الرّوحيُّ فيَحكُمُ في كُلِّ شَيءٍ، وهو لايُحكَمُ فيهِ مِنْ أحَدٍ» (١كورنثوس ٢:١٥). ويقول القديس باسيليوس الكبير عن الروح القدس إنه مصدر القداسة والنور العقلي، والذي يهب كل الخليقة الاستنارة لفهم كل شيء.

وقد عزّى القديس أنطونيوس القديس ديديموس في هذا الشأن بقوله "لا تحزن إن كنتَ قد حُرِمت من حاسة البصر تلك التي يشترك فيها الحيوان والحشرات مع الإنسان، فقد وهبك الله البصيرة الروحية تلك النعمة التي يفتقر إليها الكثير من الناس"... «مُستَنيرَةً عُيونُ أذهانِكُمْ، لتَعلَموا ما هو رَجاءُ دَعوَتِهِ، وما هو غِنَى مَجدِ ميراثِهِ في القِدّيسينَ» (أفسس ١:١٨). وفي المقابل جاء عن شاول أنه بينما كان مفتوح العينين لم يكن يرى: «فنَهَضَ شاوُلُ عن الأرضِ، وكانَ وهو مَفتوحُ العَينَينِ لا يُبصِرُ أحَدًا. فاقتادوهُ بيَدِهِ وأدخَلوهُ إلَى دِمَشقَ» (أعمال ٩:٨)، «ألكُمْ أعيُنٌ ولا تُبصِرونَ، ولكُمْ آذانٌ ولا تسمَعونَ، ولا

تذكُرونَ؟» (مرقس ٨: ١٨)، وقيل عن تلميذي عمواس «ولكن أُمسِكَتْ أعيُنُهما عن مَعرِفَتِهِ» (لوقا ٢٤: ١٦).

عيون الذهن

بالعين العادية يرى الإنسان الأمور العادية، ولكنه يستحيل على هذه العين أن ترى ما هو فائق عن الطبيعة، فالعين الخارجية ترى صورة الأشياء، بينما العين الداخلية ترى حقيقة جوهر الأشياء، ولذلك يقول السيد المسيح لتلاميذه «ولكن طوبَى لعُيونِكُمْ لأنَّها تُبصِرُ» (متى ١٣: ١٦). وعندما كان سائرًا مع تلميذي عمواس، احتاج الأمر أن يفتح ذهنهما ليفهما الكتب «فانفَتَحَتْ أعيُنُهُما وعَرَفاهُ ثُمَّ اختَفَى عنهُما» (لوقا ٢٤: ٣١). وجاء في الفيلوكاليا: "تعاين العين ما هو منظور، ويدرك العقل ما هو منظور، فالعقل المحب لله هو الذي يصبح مستنيرًا مُفرِزًا".

يقول الأب أنطونيوس لتلاميذه: "لا أملّ الطلبة عنكم ليلًا ونهارًا، لكي يفتح الرب عيون قلوبكم وتعرفوا مكر الشياطين وخداعهم وشرهم، وأن يعطيكم قلبًا صاحيًا وروح إفراز لكي تستطيعوا أن ترفعوا ذواتكم ذبيحة لله، وتتحرّروا من مشورة الشياطين الرديئة".

ومن بين معاني العمى عدم الانتباه، فيقول شخص: "عميت عيناي عن كذا"، أو يقول شخص لآخر: "ماذا ترى؟" ويقصد كيف تقيّم الأمر، واليهود قالوا ليهوذا الأسخريوطي عندما أعلن لهم ندمه على تسليم المسيح «أنتَ أبصِرْ!» (متى ٢٧: ٤)، أي أن هذه مشكلتك، قرِّر ماذا تصنع. ويقول شخص لآخر: "ألا ترى معي كذا؟".

وهكذا نتحدث عن الرؤية والرؤى وغيرها، وهي أيضًا التصور، وهو تكوين صورة أو مشهد للأمر أو تكوين تصوُّر، ومن هنا يُقال إن فلانًا صاحب رؤية vision أي لديه تصوُّر. وهناك النظرة التلسكوبية أو نظرة الطائر، ويُقال عن البعض إن نظرتهم ضيقة أو يرون تحت أقدامهم فقط، أي أنهم لا يتحسّبون لما قد يترتّب عليه القرار، وفي المقابل هناك النظرة الميكروسكوبية أي التدقيق في الأمور... بالتالي فإن التفكير واتخاذ القرار أمر يفوق مجرد الرؤيا المجرّدة.

وفي كثير من الأحيان يكون الإنسان لا يرى في الحقيقة بينما هو فاتح عينيه، وإنما يكون شاردًا. وأحيانًا يكون شاخصًا فيك بينما لا يراك في الحقيقة. وهناك ما يُسمّى بـeye contact أي التواصل من خلال العين.

أمر آخر يتحدثون عنه وهو لغة العيون، عندما تكون نظرة العين لها معنى. هناك بعض النظرات المعبِّرة: نظرة حانية، وأخرى متحدية، وثالثة مشجِّعة، ورابعة مُعاتِبة، وخامسة مستنكرة، وسابعة مشتهية، وثامنة بلا معنى مثل نظرة الموناليزا، وتاسعة مستخفّة، أو مُحتقِرة، وعاشرة متسائلة، وحادية عشرة متحفّزة تستعد للالتهام، وغيرها... وكل ذلك بالطبع دون كلام. وعن مثل تلك المعاني يقول الكتاب: «هذِهِ السِّتَّةُ يُبغِضُها الرَّبُّ، وسَبعَةٌ هي مَكرَهَةُ نَفسِهِ: عُيونٌ مُتَعاليَةٌ...» (أمثال ٦:١٦-١٧)، وأيضًا «وقالَ الرَّبُّ: مِنْ أجلِ أنَّ بَناتِ صِهيَوْنَ يتَشامَخنَ، ويَمشينَ مَمدوداتِ الأعناقِ، وغامِزاتٍ بعُيونِهِنَّ، وخاطِراتٍ في مَشيِهِنَّ، ويُخَشخِشنَ بأرجُلِهِنَّ» (إشَعياءَ ٣:١٦)، وجاء كذلك في سفر إشعياء: «ويُذَلُّ الإنسانُ ويُحَطُّ الرَّجُلُ، وعُيونُ المُستَعلينَ توضَعُ» (إشَعياء٥:١٥).

ومن استخدامات العين: طلع عينه، من عينيّ، على عيني، عينه منها... وكلها تعبيرات مجازية، كما قال القديس بولس لأهل غلاطية: «فماذا كانَ إذًا تطويبُكُم؟ لأنّي أشهَدُ لكُمْ أنَّهُ لو أمكَنَ لَقَلعتُمْ عُيونَكُمْ وأعطَيتُموني» (غَلاطيَّةَ ٤:١٥).

وبخصوص النظر أيضًا هناك فرق بين النظر البسيط، والشخوص والتطلُّع والتمعُّن. الشخص الطبيعي يرى لأنه لا يسير مُغمَض العينين، ولكن هناك من يبحث عن شيء يراه، وهناك من يراقب ويلاحظ وملاحظاته قوية، هناك من يتطفّل على الناس في ثيابهم وما يرتدون وما يأكلون ويشربون ويصاحبون، وهناك من لا يعنيه كل ذلك.. والفرق بين النظرة البسيطة والأخرى المتمعّنة أن الأولى لا تترك صورًا داخل الذاكرة، وأمّا الأخرى فتحفر في الذاكرة. يقول القديس بطرس عن البعض: «لهُمْ عُيونٌ مَملوَّةٌ فِسقًا، لا تكُفُّ عن الخَطيَّةِ، خادِعونَ النُّفوسَ غَيرَ الثّابِتَةِ. لهُمْ قَلبٌ مُتَدَرِّبٌ في الطَّمَعِ. أولادُ اللَّعنَةِ» (٢بُطرُسَ ٢:١٤)، ويقول القديس يوحنا: «لأنَّ كُلَّ ما في العالَمِ: شَهوَةَ الجَسَدِ، وشَهوَةَ العُيونِ، وتَعَظُّمَ المَعيشَةِ، ليس مِنَ الآبِ بل مِنَ العالَمِ» (١يوحَنا٢:١٦).

هذا وتأتي العين أيضًا بمعنى الظاهر أو الشكل، فيقول الكتاب: «لأنَّ الإنسانَ يَنظُرُ إلَى العَينَينِ، وأمّا الرَّبُّ فإنَّهُ يَنظُرُ إلَى القَلبِ» (١صَموئيلَ١٦:٧)، ويقول القديس بولس الرسول: «لا بخِدمَةِ العَينِ كمَنْ يُرضي النّاسَ، بل كعَبيدِ المَسيحِ، عامِلينَ مَشيئَةَ اللهِ مِنَ القَلبِ» (أفَسُسَ٦:٦). وكثيرًا ما تقيّم العين بشكل خاطئ حسب الظاهر، ولهذا فإنه يجب ألّا يُكتفى بالعين، وسقراط قال:

"تكلم حتى أراك"، لأنه قد يدخل في تقييم العين: الجمال الجسدي والثياب ونوع السيارة وغيرها، بينما الأذن أكثر قدرة على التقييم كما أسلفنا.

هذا وتُعرَف شخصية الشخص من عينيه، لأن أكثر ما يميز الإنسان هو عيناه، ويُقال عن شخص: "فلان بعينه"، ولذلك بعض المسئولين يخفون أعينهم بظارات سوداء حتى لا يتعرّف عليهم أحد، والبعض الآخر من المجرمين يخفون عيونهم إذا نُشِرت صورهم، أحيانًا للتحقير وأحيانًا للحفاظ على الخصوصية ومنعًا للتشهير. ومن العين يأتي التعيين أي التحديد والتوثيق، مثل "عيَّن يومًا للمجازاة" (القداس الإلهي)، ومثلما نقول عن بعض الأماكن: "صارت أثرًا بعد عين"، أي ذكرى بعد حقيقة وواقع.. ويُقال أيضًا عن المساكن والممتلكات "العين" أي الحقيقة أو الموضع المحدد.

شفاء الأعرج (أعمال ٣: ١-١٠)

«وصَعِدَ بُطرُسُ ويوحَنا مَعًا إلَى الهَيكلِ في ساعَةِ الصَّلاةِ التّاسِعَةِ. وكانَ رَجُلٌ أعرَجُ مِنْ بَطنِ أُمِّهِ يُحمَلُ، كانوا يَضَعونَهُ كُلَّ يومٍ عِندَ بابِ الهَيكلِ الّذي يُقالُ لهُ «الجَميلُ» ليَسألَ صَدَقَةً مِنَ الّذينَ يَدخُلونَ الهَيكلَ. فهذا لَمّا رأى بُطرُسَ ويوحَنا مُزمِعَينِ أنْ يَدخُلا الهَيكلَ، سألَ ليأخُذَ صَدَقَةً. فتفَرَّسَ فيهِ بُطرُسُ مع يوحَنا، وقالَ: «انظُرْ إلَينا!». فلاحَظَهُما مُنتَظِرًا أنْ يأخُذَ مِنهُما شَيئًا. فقالَ بُطرُسُ: «ليس لي فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ، ولكن الّذي لي فإيّاهُ أُعطيكَ: باسمِ يَسوعَ المَسيحِ النّاصِريِّ قُمْ وامشِ!». وأمسَكَهُ بيَدِهِ اليُمنَى وأقامَهُ، ففي الحالِ تشَدَّدَتْ رِجلاهُ وكعباهُ، فوَثَبَ ووقَفَ وصارَ يَمشي، ودَخَلَ معهُما إلَى الهَيكلِ وهو يَمشي ويَطفُرُ ويُسَبِّحُ اللهَ. وأبصَرَهُ جميعُ الشَّعبِ وهو يَمشي ويُسَبِّحُ اللهَ. وعَرَفوهُ أنَّهُ هو الّذي كانَ يَجلِسُ لأجلِ الصَّدَقَةِ علَى بابِ الهَيكلِ الجَميلِ، فامتَلأوا دَهشَةً وحَيرَةً مِمّا حَدَثَ لهُ» (أعمالُ الرُّسُلِ ٣: ١-١٠).

أيّد الله الآباء الرسل بالآيات مع التعليم حتى يؤكد أنهم من الله، ولكي يكون هناك أعمال تفوق الإدراك البشري. والمعجزة ليست ضد القانون الطبيعي الذي وضعه الله ولكنها فوق القانون، وكانت المعجزات كثيرة جدًا في

البدايةِ لتأييد الرسل «وأمّا هُم فخرجوا وكرَزوا في كُلِّ مَكانٍ، والرَّبُّ يَعمَلُ معهُمْ ويُثَبِّتُ الكلامَ بالآياتِ التّابِعَةِ. آمينَ» (مَرقُسَ ١٦:٢٠).

ومن المعجزات المذكورة في سفر الأعمال شفاء الأعرج، وإقامة طابيثا وأفتيخوس، ومرضى كثيرين كانوا يُشفَون من مناديل وعصائب الرسل، بل وظلّهم كما ورد في سفر الأعمال ونرددها في قسمة صوم الرسل. «أيُّها الرِّجالُ الإسرائيليّونَ اسمَعوا هذِهِ الأقوالَ: يَسوعُ النّاصِريُّ رَجُلٌ قد تبَرهَنَ لكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بقوّاتٍ وعَجائبَ وآياتٍ صَنَعَها اللهُ بيَدِهِ في وسطِكُمْ، كما أنتُمْ أيضًا تعلَمونَ» (أعمالُ ٢:٢٢)، «وصارَ خَوْفٌ في كُلِّ نَفسٍ. وكانتْ عَجائبُ وآياتٌ كثيرَةٌ تُجرَى علَى أيدي الرُّسُلِ» (أعمالُ ٢:٤٣)، «وجَرَتْ علَى أيدي الرُّسُلِ آياتٌ وعَجائبُ كثيرَةٌ في الشَّعبِ. وكانَ الجميعُ بنَفسٍ واحِدَةٍ في رِواقِ سُلَيمانَ» (أعمالُ ٥:١٢)، «فأقاما زَمانًا طَويلًا يُجاهِرانِ بالرَّبِّ الّذي كانَ يَشهَدُ لكلِمَةِ نِعمَتِهِ، ويُعطي أنْ تُجرَى آياتٌ وعَجائبُ علَى أيديهِما» (أعمالُ ١٤:٣).. ولكن الآية دائمًا لغير المؤمنين، والسيد المسيح قال لتوما ومن بعده «طوبَى للّذينَ آمَنوا ولَمْ يَرَوْا» (يوحَنا ٢٠:٢٩).

الرسل في الهيكل: بدأ الرسل في الهيكل مشتركين في الليتورجيات «وكانوا كُلَّ يومٍ يواظِبونَ في الهَيكلِ بنَفسٍ واحِدَةٍ. وإذ هُم يَكسِرونَ الخُبزَ في البُيوتِ، كانوا يتَناوَلونَ الطَّعامَ بابتِهاجٍ وبَساطَةِ قَلبٍ» (أعمالُ ٢:٤٦)، «فلَمّا سمِعوا دَخَلوا الهَيكلَ نَحوَ الصُّبحِ وجَعَلوا يُعَلِّمونَ. ثُمَّ جاءَ رَئيسُ الكهنَةِ والّذينَ معهُ، ودَعَوْا المَجمَعَ وكُلَّ مَشيَخَةِ بَني إسرائيلَ، فأرسَلوا إلَى الحَبسِ ليؤتَى بهِمْ... ثُمَّ جاءَ واحِدٌ وأخبَرَهُمْ قائلًا: هوذا الرِّجالُ الّذينَ وضَعتُموهُم في السِّجنِ هُم في الهَيكلِ واقِفينَ يُعَلِّمونَ الشَّعبَ!» (أعمالُ ٥:٢١،٢٥)، «حينَئذٍ أخَذَ

بـولُسُ الرِّجـالَ فـي الغَـدِ، وتَطَهَّـرَ معهُـمْ ودَخَـلَ الهَيكـلَ، مُخبِـرًا بكَمـالِ أيّـامِ التَّطهيرِ، إلَى أنْ يُقَرَّبَ عن كُلِّ واحِدٍ مِنهمُ القُربانُ. ولَمّا قارَبَتِ الأيّامُ السَّبعَةُ أنْ تتِمَّ، رآهُ اليَهودُ الّذينَ مِنْ أسيّا في الهَيكلِ، فأهاجوا كُلَّ الجَمعِ وألقَوْا علَيهِ الأيادِيَ... فهاجَتِ المدينةُ كُلُّها، وتَراكَضَ الشَّعبُ وأمسَكوا بولُسَ وجَرّوهُ خارِجَ الهَيكـلِ. ولِلوقـتِ أُغلِقَـتِ الأبـوابُ» (أعمـالُ ٢١:٢٦-٢٧،٣٠)، «وكـانوا لا يَزالـونَ كُلَّ يـومٍ فـي الهَيكـلِ وفـي البُيـوتِ مُعَلِّمـينَ ومُبَشِّرينَ بيَسـوعَ المَسيحِ» (أعمالُ ٥:٤٢).

وهكذا فعل السيد المسيح، والذي كان يشترك في كل المناسبات في الهيكل منذ صباه.

أعرج يُحمَل ويضعونه عند باب الهيكل: يضعونه ليستعطي وليس لينال الشفاء، حتى انه بمرور الرسولين نظر اليهما مُؤمِّلًا الحصول على صدقة، وكان ذلك على باب الجميل؛ بعكس الذي حمله الرجال الأربعة ليضعوه أمام المسيح حتى يُشفى وليس للحصول على صدقة.

أبواب أورشليم: ١- باب الضأن، ٢- باب السمك، ٣- الباب العتيق، ٤- باب الوادي، ٥- باب الدمن، ٦- باب العين، ٧- باب الماء، ٨- باب الخيل، ٩- باب الشرق، ١٠- باب النثينيم (ربما الباب الذي كان يجلس عنده الشيوخ للقضاء في الأمور)، ١١- باب الجميل.

باب الجميل: هو الباب الرئيسي المؤدّي إلى رواق النساء ورواق إسرائيل ورواق الكهنة، فيعبر به كل الشعب اليهودي من رجال ونساء وشيوخ وأطفال، كما يعبر به الكهنة واللاويون، يرى د. لايتفوت Lightfoot أن باب الجميل

هو الباب المؤدّي من دار الأمم إلى دار اليهود، بهذا يلتقي به اليهود سواء كانوا من الرجال أو النساء دون الأمم، إذ كان يترفّع عن أن يمد يده ليأخذ عطاءً من أممي.

ليس لي فضة ولا ذهب: هذا تبكيت للذين يتعاملون بلغة المال مع الناس، يحلون المشاكل بالمال، يعلمون الناس الابتزاز والبطالة والطمع، ويربطون بين وجود الناس في الكنيسة والمال والعطايا.. وليتخيل الخادم والكاهن أنه لا مال له فهل يستطيع اجتذاب الناس؟ اليوم تلعب الأموال والهدايا في التنافس بين الخدام والخدام، والكهنة، وأسرة وأسرة، بحسب اتصالات وصداقات كل شخص.. هنا يرد القديس بطرس بشكل قاطع على هذا الأمر «ليس لي فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ»، ولكن له ما لا تستطيع أموال وأجهزة العالم الطبية أن تحققه.. الذين تبعوا المسيح لم يهبهم أموالًا أو مرتبات، بل سلامًا وأتعابًا وضيقات. ونقرا عن أحد باباوات روما أن زائرًا كان بصحبته يرى التحف والتماثيل والعمارة الفائقة والمذهبات في الكاتدرائية، فقال البابا له: "إذًا مضى الوقت الذي يُقال فيه: ليس لي فضة ولا ذهب"، فأجابه الزاير: "نعم! ومضى بالتالي الوقت الذي يُقال فيه للأعرج: باسم يسوع الناصري قم"...

بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!: هذا هو رصيد الشفاء الذي منحه الله بسلطان للرسل الأطهار «اشفوا المَرضَى الّذينَ فيها» (لوقا ١٠:٩). وقد ظن بعض السحرة مثل «قَوْمٌ مِنَ اليَهودِ الطَّوّافينَ المُعَزِّمينَ أنْ يُسَمّوا علَى الّذينَ بهِمِ الأرواحُ الشِّرّيرَةُ باسمِ الرَّبِّ يَسوعَ، قائلينَ: «نُقسِمُ علَيكَ بيَسوعَ الّذي يَكرِزُ بهِ بولُسُ!». فأجابَ الرّوحُ الشِّرّيرُ وقالَ: «أمّا يَسوعُ فأنا أعرِفُهُ، وبولُسُ

أنا أعلَمُهُ، وأمّا أنتُمْ فمَنْ أنتُم؟» فوَثَبَ علَيهِمُ الإنسانُ الّذي كانَ فيهِ الرّوحُ الشِّرّيرُ، وغَلَبَهُمْ وقَوِيَ علَيهِمْ، حتَّى هَرَبوا مِنْ ذلكَ البَيتِ عُراةً ومُجَرَّحينَ» (أعمالُ ١٩:١٣،١٥-١٦)، لقد ظنوها كلمة السر ولكنها رصيد شفاء أعطاه الله للبعض، ولذلك عليكم الحذر من المدعين النبوة وموهبة الشفاء.

وَدَخَلَ مَعَهُمَا إِلَى الْهَيْكَلِ وَهُوَ يَمْشِي وَيَطْفُرُ وَيُسَبِّحُ اللهَ: اذهب وحدِّث بكم فعل بك الرب.. لم يستطع الأعرج أن يخفي فرحته، بل مجّد الله متهلِّلًا، ونحن أيضًا يجب ،ن نكرز بفرح وتهليل كم صنع بنا الرب. وأمّا معنى "يمشي ويطفر" أي يقفز بفرح (يتنطط)، فلها مردود على طبيعة مرضه، لقد ورد أنه أعرج من بطن أمه، أي لم يتعرض لحادث عارض أو مجرد وجع، لقد كان مشلولا يُحمَل، وهو ما عُبِّر عنه بأنه من بطن أمه، ليظهر حجم المعجزة، كما انه هنا لم يحتج إلى علاج طبيعي أو تمهيد.

الذي لي إيّاه أعطيك: ليست المساعدة بالمال والعطايا فقط، كلّا! وإنما بالدعاء والعطف والاحترام والنصيحة. كما يعني التعبير هنا ألّا نبخل بأي شيء نمتلكه، نضحي بكل ما نملك. وأن الناس قد لا يحتاجون إلى مال بل اهتمام وصلاة. ولذلك فالبعض يصرّح في البداية أنه لا يحتاج إلى المال بل إلى من يسمعه. لا تهب السائل دائمًا ما يسأل وإنما ما يحتاج، افعل ما يفيده لا ما يطلبه، مثل الأب مع أطفاله **يعمل ما يبنيهم لا ما يرضيهم**.

أخيرًا... الكنيسة مستشفى الخطاة: ومن يمضي إليها يُشفى من أي مرض اعتراه، ونردّد في الكنيسة: "شفاءً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا"، وعن المسيح: "الطبيب الحقيقي لأنفسنا وأجسادنا". والخاطئ عندما يتم له الشفاء يفرح ويُسر ويتهلل مسبّحًا الله شاكرًا.

الباب الثالث:

تعليقات على بعض حوارات ولقاءات السيد المسيح

التطويبات (مت ٥: ٢-١٢)

١- رسم لنا السيد المسيح طريقًا للسعادة في التطويبات (كلمة طوبى معناها "يا لسعادة")...

٢- طوّب المساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات (متى ٥: ٣)، مشيرًا إلى الاتضاع كطريق للسعادة.

٣- كما طوّب الحزانى لأنهم يتعزّون (متى ٥: ٤)، ويقصد الحزن الذي بحسب مشيئة الله، والحقيقة أن التعزية القلبية هي من أعمق درجات الفرح، وفي هذا المعنى قال الرب: «طوباكُمْ أيُّها الباكونَ الآنَ، لأنَّكُمْ ستَضحَكونَ» (لوقا ٦: ٢١)؛ وهناك فرق بين الضحك هنا بمعنى الفرح، والضحك المُشار إليه في الآية: «ويلٌ لكُمْ أيُّها الضّاحِكونَ الآنَ، لأنَّكُمْ ستَحزَنونَ وتبكونَ» (لوقا٦: ٢٥)، لأن الضحك المُشار إليه يأتي بمعنى الاستهزاء.

٤- ثم طوّب الودعاء عديمي الشر مثل الحمام والحملان، لأنهم يرثون الأرض، ولا شك أن أحد مصادر الفرح ألّا يوجد داخل الإنسان شرٌّ ما، ذاك الذي يثقّل ضميره ويحرمه من الفرح.

٥- كما أن أحد الأسباب التي تحرم من السعادة والفرح الشبع المادي، فهو يُظلِم العقل ويسبّب الكبرياء: «طوبَى للجياعِ والعِطاشِ إلَى البِرِّ، لأنَّهُمْ يُشبَعونَ» (متى ٥: ٦).

٦- كما أن الراحم الآخرين ينال رحمة من الله «طوبَى للرُّحَماءِ، لأَنَّهُمْ يُرحَمونَ» (متى ٥:٧).

٧- ولا شيء يكدّر صفو القلب سوى الشرور، ولا يمكن أن يسكن الله في قلبٍ ما، أو يعاين ذلك القلب الله ما دام يرعى إثمًا: «طوبَى للأنقياءِ القَلبِ، لأَنَّهُمْ يُعايِنونَ اللهَ» (متى ٥:٨).

٨- ومثلهم صانعي السلام والمطرودين من أجل البر، والذين يُشهَّر بهم مجانًا من أجل الله، لأن الله يحول ذلك إلى تعزية قلب لهم.

٩- ومن دواعي الفرح أنه قد أُتيح لنا أن نعاين ما اشتهى الأنبياء أن يروه ويسمعوه، فنحن في النعمة مقيمون، يكفي أننا نتقدم للتناول من الأسرار.

١٠- إن الآتين من الأمم يتعجّبون كيف لا نقدّر النعم التي نحن فيها، إن الأبرار في العهد القديم لم ينعموا سوى بإشارة أو رمز أو نبوة ووعد، بل ماتوا على الرجاء، لقد نظروا المواعيد من بعيد وصدقوها وحيّوها، ومن هنا قال الرب يسوع: «ولكن طوبَى لعُيونِكُمْ لأَنَّها تُبصِرُ، ولآذانِكُمْ لأَنَّها تسمَعُ» (متى١٣:١٦).

الشاب الغني (الوصية بين التنظير والتطبيق)

(مت ١٩: ١٦-٢٦) (مر ١٠: ١٧-٢٧) (لو ١٨: ١٨-٢٧)

كان ذلك الشاب غنيًا «ذا أموال كثيرة» (متى ١٩: ٢٢)، وذا مركز مرموق: «رئيس» (لوقا ١٨: ١٨)، ومتدينًا: «هذه حفظتُها منذ حداثتي» (متى١٩: ٢٠)، ومُهذَّبا: «جثا قدامه» (مرقس ١٠: ١٧)، وغالبًا ما كان صادقًا في رغبته في أن يحظى بنصيب أبدي. يذكّرنا هذا الشاب بسمعان الفريسي الذي دعا يسوع للعشاء معه (لوقا ٧: ٣٦). إنه شاب صالح، أتى إلى الصالح معلِّم الصلاح، وسأله أيّ صلاح يفعل ليخلص.

ومحور هذه الواقعة -والتي يرسم الرب من خلالها معالم طريقه- هو: «**ماذا أعمل؟**»، ويُفهَم هذا المطلب بالمقارنة مع أنه **يعرف الوصايا، وأنه لا غبار عليه: ماليًا ومجتمعيًا ودينيًا**.. ولكني تعجبت عندما رأيتُ أن هذا الشاب لفت انتباهنا **أن الذي يخلّص هو العمل**،غير أن هذا العمل ليس التلاوات وحدها، والعمل هنا هو في الواقع "الفداء"، فالتضحية بكل ما نملك هي فكرة الفداء، ومع ذلك لم يطع الشاب، بينما انتبه كثيرون من خلال طلبه هذا: «ماذا أعمل؟» ليتحولوا من الكلام والدراسة إلى العمل، ومن النَص إلى السلوك. إن هذا الشاب يذكّرني بالواعظ الذي يُنهِض هِمَم سامعيه للعمل، بينما يبقى في مكانه.لأن الشاب من جهة الوصايا كان يحفظها منذ نعومة أظافره، وربما كان قادرًا على شرحها للآخرين إذا اقتضت الضرورة.

ولكنه جاء اليوم إلى الرب لكي ينير له الطريق: كيف يخلص؟ وكانت لديه القناعة الكافية بأن كل ما يمتلكه ماليًا ودينيًا وأدبيًا لا يقدر أن يمنحه

الحياة الأبدية. كما تفوق هذا الشاب على رؤساء اليهود الذين كانوا يحسبون أنفسهم "بني الملكوت" لكونهم فقط من نسل إبراهيم، فبكّتهم يوحنا المعمدان قائلًا: «لا تبتَدِئوا تقولونَ في أنفُسِكُمْ: لنا إبراهيمُ أبًا!!» (لوقا ٣:٨)، فإن الذين يخلصون هم "ورثة إيمان إبراهيم وليس نسله بالجسد". وكان أقصى اشتياق بلغه اليهود -عندما بُهتوا من تعليم السيد المسيح- هو: «طوبَى لمَنْ يأكُلُ خُبزًا في ملكوتِ اللهِ» (لوقا ١٤:١٥)، بل حتى التلاميذ أنفسهم كان الملكوت بالنسبة لهم هو وزارات السيادة (من سيجلس عن اليمين ومن على اليسار)... وأخيرًا اكتشفها اللص المرذول، إذ قال: «اذكُرني يا رَبُّ مَتَى جِئتَ في ملكوتِكَ» (لوقا ٢٣:٤٢).

لماذا ارتدّ هذا الأمير اليهودي المتوهّج إلى الخلف؟ هل لم يحتمل كُلفة الطريق؟ أم لم يتحسّب قبلًا لها؟ أم صُدِم لأنه كان قد أَمِلَ أن يجمع بين الغنى الأرضي والمجد السمائي؟ بمعنى أنه تساءل: وما المانع أن يخلص الأمراء والأغنياء، وهل الفقر شرط ضروري للخلاص؟ إن الحقيقة التي استيقظ عليها فجأة هي أنه **يحتاج الى التطبيق العملي**، ولكن ثمن هذا التطبيق كان أكثر من ميزانيته التي وضعها قبلًا.. ولكن الرب يريدنا أن نلقي بأنفسنا عليه دون تحسُّب، فإن مطلب الرب: «بِعْ كُلَّ مالِكَ» لا يُقصَد به تحديدًا النقود والعملات، كلّا! وإنما كل ما نعتزّ ونتمسك به. من هنا نجحت المجدلية والرامي وميلانية والجوهري.

إن البعض ضحّى بأمواله، والآخر بوقته، والبعض الثالث بممتلكاته، والبعض الرابع بجهد جسدي، والبعض بأعضاء من جسده، والبعض بجسده كله، والبعض بجسده مع دمائه: مثل الشهداء.. وقد فعل كل هؤلاء ذلك بفرح،

ولكن مشكلة الشاب الغني أنه أراد أن يرث الملكوت مع المال، فأورثه المال الحزن وحرمه من الملكوت! إن مَنْ يترك ما عنده يغنيه الله هنا، ويهبه الحياة الأبدية، والذي يتمسك بالعالم يفقد الاثنين معًا، والدليل أن هذا الشاب ارتبك وارتد على أعقابه، فهل كان الرب يختبره أم أراد أن يرسي القاعدة: أنه لايمكن الاحتفاظ بسيدين، أو أن ينظر الإنسان بإحدى عينيه لأعلى والأخرى لأسفل، أو أن يعرج بين الفرقتين، أو يجمع بين الله والعالم... كلّا! بل ليكن الاجتهاد أن يحيا في العالم لله «لا يَقدِرُ أحَدٌ أنْ يَخدِمَ سيِّدَينِ، لأنَّهُ إمّا أنْ يُبغِضَ الواحِدَ ويُحِبَّ الآخَرَ، أو يُلازِمَ الواحِدَ ويَحتَقِرَ الآخَرَ. لا تقدِرونَ أنْ تخدِموا اللهَ والمالَ» (متى ٦:٢٤).

مضى الشاب حزينًا، وفيما مضى أحسّ القديس بطرس بنشوة عارمة وفخر طارئ، فلم يكتمه بل سأل الرب متباهيًا وكأنه "يتجمّل" عليه: «ها نَحنُ قد ترَكنا كُلَّ شَيءٍ وتَبِعناكَ» (حسبما ورد في مرقس ١٠:٢٨، وإن جاءت العبارة مكتملة في متى ١٩:٢٧). ويبدو لي أن الرب لم يدعه يكمل، لأن الجملة التي قالها تُعَد ناقصة، فقاطعه الرب قائلًا: «ليس أحدٌ تَرَكَ "أي شيء" لأجلي ولأجل الانجيل إلّا ويأخذ مئة ضعف هنا، وحياة أبدية في الدهر الآتي». إن لفي هذا عجبًا، أن يكسب المرء مئة ضعف في هذا العالم، بل والحياة الأبدية في الدهر الآتي.. هكذا الذي يتاجر مع الله!! غير أن الأمر يحتاج إلى شجاعة في التخلّي، والمحك دائمًا هو أن "تعطي صدقة"، فالناس عادة ما يحبون أن تظهر دلائل علامات تقدماتهم: مثل مباني الكنائس، والعطايا المُوقَّعة باسم المعطي، واللوحات الرخامية التي تخلّد العطاء أرضيًا، وغيرها... ولكن الشاب أنطونيوس ترك ثلاثمائة فدان من الأرض وترهّب، ولم

يتزوج ويورّثها لأولاده، ولكن الأراضي والمنشآت التي على اسمه الآن لا تُحصى، كما أن أولاده من الرهبان والراهبات على مدار التاريخ لا يُعَدّون من الكثرة، سواء في مصر وخارجها.

ولكن لماذا صرّح الرب بأن «مُرورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إبرَةٍ أيسَرُ مِنْ أنْ يَدخُلَ غَنيٌّ إلَى ملكوتِ اللهِ!»، ولا سيما الأغنياء المتكلّين على أموالهم؟ السبب هو أن المال قد يجلب الكبرياء، وإذا أحبه البعض طعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة (١تيموثاوس ٦: ١٠)، وقد يشجع على تعظم المعيشة، وقد يسوق إلى خطايا سمجة كثيرة، حتى لقد تخيل البعض أن المال يمكن أن يكون العقبة الرئيسية في خلاص كثيرين، وذلك من كثرة ما تردّد في الانجيل وفي التراث عن شرور بعض الأغنياء ونفوذهم. ولكن أغنياء كثيرين خلصوا رغم غناهم، وآخرون خلصوا بسبب غناهم!!

أليس من المخجل أن يهلك الشاب الذي دلّنا على أن الخلاص لا يأتي إلّا من خلال العمل وليس بالمعرفة فقط! بينما يخلص بها كثيرون مثل الشاب أنطونيوس، على الرغم من أن أنطونيوس سمعها من شماس بالكنيسة، بينما سمعها الشاب الغني من فم المسيح نفسه؟! أليس من المؤسف أن يتأثر السامع لنصيحة محدّثه بينما، يفوت ذلك على المتكلم؟! أليس من المدهش ألّا يطلب اليهود من السيد أن يدلّهم على الحياة الابدية، بينما يسبقهم الوثنيون إلى هناك؟! أليس من الغريب أن يتصارع التلاميذ على مراكز قيادية في مُلك أرضي مُحتمَل للمسيح، ولا يأبهوا للأبدية؟! ألا يبكّتنا أن الوحيد الذي اهتم بذلك هو "اللص" وليس الشاب الشريف المتدين؟!

سَمْعَان الشيخ (لو٢: ٢٥-٣٥)

«هَـذَا الرَّجُـلُ كَـانَ بَـارًّا تَقِيًّـا يَنْتَظِـرُ تَعْزِيَـةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّـهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ» (لوقا٢: ٢٥، ٢٦).

+ هو أحد رجال العهد القديم، وقد عاش طويلًا حتى شاهد المخلّص بعينيه، وما أن احتضنه حتى شعر أنه لم يعد في احتياج إلى أي شيء، ومن ثَمّ طلب أن ينطلق من هذا العالم. هذا ويُلَقَّب سمعان الشيخ بـ"مراقب الصبح" إذ يرد في مزمور ١٣٠: «انْتَظَرْتُكَ يَا رَبُّ. انْتَظَرَتْ نَفْسِي، وَبِكَلاَمِهِ رَجَوْتُ. نَفْسِي تَنْتَظِرُ الرَّبَّ أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ. أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ. لِيَرْجُ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ، لأَنَّ عِنْدَ الرَّبِّ الرَّحْمَةَ وَعِنْدَهُ فِدًى كَثِيرٌ، وَهُوَ يَفْدِي إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ آثَامِهِ»، وعبارة يفدي إسرائيل من كل آثامه نجد صداها في قول القديس لوقا عن حنة بنت فنوئيل بعدما علمت بما حدث مع سمعان: «فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْـهُ مَـعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ» (لوقا٢: ٣٨).

وكان الأمر قد ضاق بالشعب جدًا، وبلغ الحزن منتهاه، وكان صوت النبي يتردد: «عَزُّوا، عَزُّوا شَعْبِي، يَقُولُ إِلهُكُمْ. طَيِّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ وَ نَادُوهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمُلَ، أَنَّ إِثْمَهَا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ

ضَعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا» (إشعياء٤٠: ١-٣). ولم يكن زكريا وحده الذي ينتظر تعزية في إسرائيل، بل أن كثيرين كانوا ينتظرون تلك التعزية.

+ وهو الذي عمل فيه الروح القدس كثيرًا، فقد أوحِي إليه بأنه لن يموت قبل أن يرى المسيح الرب، كما أوحِي إليه أن يدخل الهيكل ليقابل الطفل، رغم أنه على ما يبدو لم تكن نوبة خدمته، عنه قال القديس لوقا: «وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ..»

+ وعندما حمل الطفل على ذراعيه سلّمنا أن نفعل مثله حين نحمل الحمل (القربان) على ذراعينا وليس ذراعًا واحدة، سواء ونحن نحمله من بيت لحم أو عند تقديم الحمل، وليس على منضدة أمام الهيكل (آية ٢٨). وقد تم ذلك يوم ٨ أمشير، وهو نفس اليوم الذي نعيّد فيه بتذكار نياحة سمعان الشيخ، وهو ما يعني أنه تنيح في اليوم ذاته الذي عاين فيه المسيح الرب، حيث حقّق له الرب طلبته.

+ ولا شكّ أنه بشّر سكان الجحيم بأنه رأى المخلص بعينيه ولمسه واحتضنه وتبارك منه، أمّا الأنبياء الذين سبقوه فقد تسلّموا الوعد بالايمان، ورقدوا على الرجاء مسلّمين هذا الوعد للذين أتوا بعدهم.

+ إن سمعان ما أن رأى الطفل واحتضنه، حتى شعر أنه لم يعد محتاجًا إلى شيء، والآباء الكهنة يحملونه كل يوم، وبعد التناول من جسده ودمه يشعرون بأنهم لم يعودوا في احتياج إلى شيء، ولعلّ أكثر ما يطلبه المشرف على الموت سواء هو أو ذووه: هو التقدُّم للأسرار، ليقول بعدها براحة تامة:

«الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ».

هذه الطلبة الممزوجة بالراحة والفرح القلبي التقطتها الكنيسة لتردّدها في المناسبات الآتية:

+ في انجيل النوم والذي اختارته الكنيسة ليُقال قبل النوم.

+ ويرددها الكاهن وهو يدور بالبشارة حول المذبح بعد أوشية الانجيل، والتي يقول فيها: "إن أنبياء وأبرارًا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا، وأن يسمعوا... أماّ أنتم..."

+ ونردّدها في تسبحة كل يوم قبل القطعة التي تتكلّم عن ولادة المسيح: "السلام لك يامريم.. التي ولدت لنا الله الكلمة" أي أن مجيئة أصبح حقيقة.

+ ويصليها الأب الكاهن في تحليل المرأة، ضمن صلاة سمعان في وجود الطفل وأمه مريم.

+ وفي نهاية تسبحة نصف الليل، في إشارة إلى انقضاء الظلمة وبداية النور «عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ»، وتأكيد على فكرة "مراقب الصبح".

زكا العشار (قصير القامة صار عظيم القامة)
(لو١٩: ١-١٠)

«اليومَ حَصَلَ خَلاصٌ لهذا البَيتِ» (لوقا١٩: ٩)

من القصص الشهيرة الممتعة، والرجل الذي عُرِف بقصر قامته أثبت للجميع أن هناك ما هو أعظم من القامات الجسدية، ولعل اسمه الأصلي هو ترجمة لمضمون قصته، فاسمه الأصلي هو زكريا ويعني الله يذكر، وقد ذكره الله وافتقده واقتناه له تائبًا ثم رسولًا ثم أسقفًا في فلسطين.

١- زكا هو عشار مكروه عند اليهود: ومنذ بدأت عائلة يوسف بن طوبيا في جمع الضرائب لحساب الرومان، واليهود يكرهونهم كراهيتهم للزناة، ومن ثَمّ وردت اللفظتان متلازمتين في العهد الجديد "العشارون والزناة": «فلَمّا نَظَرَ الفَرّيسيّونَ قالوا لتلاميذِهِ: لماذا يأكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مع العَشّارينَ والخُطاةِ؟» (مت٩: ١١)، بل إلى ذلك أشار الرب نفسه: «الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّ العَشّارينَ والزَّوانيَ يَسبِقونَكُمْ إلَى ملكوتِ اللهِ» (متى٢١: ٣١). وأمّا زكا فخطيته رباعية (أ- فهو يجمع لحساب الرومان الوثنيين، ب- وهو يجمع زيادة عن المطلوب، ج- ثم يجمع بالقسوة وربما يتطلّب الأمر السجن أو الضرب، د- هو ليس مجرد عشار عادي وإنما رئيس للعشارين)، بل كان اليهود يحذّرون من العمل مع الوثنيين أو المشاركة في مشروع يتبنّونه، وهناك إشارة لذلك في (لو١٣: ٤) حين ظنّ اليهود أن البرج سقط على اليهود الذين يعملون في مشروع مائي يتبناه الرومان.

٢- زكا فيه شيء صالح: فليس هناك إنسان شرير بالتمام، ولا يوجد من هو بارٌّ بالتمام، حتى من يتّصفون بالكمال، كمالهم نسبي، لا بد وأن بهم بعض الضعف، والشرير لا بد وأن به بعض من الخير، وإذا تعاملتَ مع

الشخص على أنه شرير ستجد منه شرًا والعكس صحيح. وهكذا في التربية بالبيت، إذا وسمت الأم ابنها بالغباء دائمًا، لا بد وأن يقتنع أنه غبي وتُجهَض بالتالي فيه كل موهبة، والعكس صحيح. وقد قرأت كثيرًا عن لصوص بهم بعض الرحمة، وقتلة فيهم بعض الشفقة، وبعض الوحوش فيه بعضٌ من الإنسانية، مثلما يوجد بين البشر من به طبع وحشي.. لذلك يبدو من قصة زكا أنه لم يكن شريرًا بالكمال، وهكذا كان اللص اليمين، بل قيل إن كل إنسان به بذرة خير وبذرة فساد، وحسبما يرعى تنمو البذرة.

٣- طلب ان يرى يسوع "من هو": أنت أيضًا اطلب أن ترى يسوع، أن تسمعه، أن تقرأ عنه مَنْ يكون؟ تعرّف عليه، اقترب منه، أينما وُجِد اسعَ إليه، اطلبه حيث يوجد، وستجده في انتظارك مادًّا يده طول النهار، «أُطلُبوا الرَّبَّ وَقُدرَتَهُ. التَمِسوا وجهَهُ دائمًا» (مزمور ١٠٥: ٤)، «أُطلُبوا الرَّبَّ ما دامَ يوجَدُ. ادعوهُ وهو قريبٌ» (إشعياء٥٥: ٦)، ونقرأ عن اليونانيون الزائرين أورشليم: «فتقَدَّمَ هؤُلاءِ إلَى فيلُبُّسَ الّذي مِنْ بَيتِ صَيدا الجَليلِ، وسألوهُ قائلينَ: يا سيِّدُ، نُريدُ أنْ نَرَى يَسوعَ» (يوحنا١٢: ٢١)، وهؤلاء بالطبع يختلفون عن رغبة هيرودس في لقاء المسيح: «فقالَ هيرودُسُ: «يوحَنا أنا قَطَعتُ رأسَهُ. فمَنْ هو هذا الّذي أسمَعُ عنهُ مِثلَ هذا؟»». وكانَ يَطلُبُ أنْ يَراهُ» (لوقا٩: ٩). وقد يتساءل البعض منّا: كيف أرى يسوع وأنا قصير القامة؟ إن الله لا يطلب منّا سوى أن نطلبه وأن نريده هو، نعطيه الرغبة والنيّة وهو يكمل ضعفنا ويسعى إلينا. ومَنْ كان قصير القامة، ينزل الله إليه، كما فعل بالتجسد إذ لم تستطع قامتنا الوصول إليه!

٤- اهتمام زكا الأول: لم يهتم زكا برأي الناس حين قرّر أن يصعد الجميزة، وهو من عظماء القوم وأثريائهم، شخص مهيب وله مكانته، ولكنه لم يضع رأي الناس في اعتباره.. وهكذا الاهتمام برأي الناس قد يعطّل خلاص

النفس، المهم ماذا تريد؟ وحين تود أن تلتقي الله لا تنشغل بالناس كثيرًا، قال القديس بولس: «أفأستَعطِفُ الآنَ النّاسَ أمِ اللهَ؟ أم أطلُبُ أنْ أرضيَ النّاسَ؟ فلو كُنتُ بَعدُ أُرضي النّاسَ، لَمْ أكُنْ عَبدًا للمَسيحِ» (غلاطية١:١٠)، بينما قال القديس بطرس: فأجابَ بُطرُسُ والرُّسُلُ وقالوا: «يَنبَغي أنْ يُطاعَ اللهُ أكثَرَ مِنَ النّاسِ» (أعمال٥:٢٩). وكم من مرة تمنعنا الكرامة البشرية من عمل الخير أو تحقيق الأهداف الروحية، وكم من مرة نراعي الناس أكثر من الله.

إنه درس هام لأولئك الذين يبحثون لهم عن حيثية في الكنيسة، وضع ومكانة ودور، أصحاب الثياب الفاخرة والعطور الغالية والمقاعد الوثيرة والصفوف الأولى، وبعضهم له كرسيه أو دولابه أو يتقدم للتناول باستثناء خاص، والذين يحبون المناداة بالأسماء والألقاب، وأن يدعوهم الناس: "سيدي"، وهو ما حذر منه السيد المسيح، لذلك يسبقنا المتضعون والفقراء والخطاة إلى الملكوت، لأن كل من يضع نفسه يرتفع.

٥- **الله يراقب**: الله يطّلع على الجميع من فوق، وهنا يطّلع على زكا من أسفل! إنه مالئ كل مكان في السموات وعلى الأرض وما تحت الأرض، وهو يتابع ويستجيب لمجرد المحاولات. وأتذكر هنا أن الأب الذي كان ينتظر ابنه الضال، كان يراقب الطريق من فوق؛ والأب هنا يراقب من أسفل «لأنَّ مَحَبَّةَ المَسيحِ تحصُرُنا. إذ نَحنُ نَحسِبُ هذا: أنَّهُ إنْ كانَ واحِدٌ قد ماتَ لأجلِ الجميعِ، فالجميعُ إذًا ماتوا» (٢كورنثوس٥:١٤). إن مجرد المحاولة ثمينة جدًا لدى الله، وقد استجاب الله لمبادرة زكا، وقد قرأتُ منذ مدة أن الله يتقابل مع الخاطئ في منتصف الطريق، يترك له الحرية ليختار طريقه، فإذا ضلّ يقابله ليعيده.. وبينما لم يكن هدف زكا أن يراه المسيح بل أن يرى هو المسيح، فإن الله قابل هذه المبادرة بما لم يكن يتوقعه زكا.

٦- **المسيح في بيت زكا**: فاجأ السيد المسيح زكا وسط ذهول الجموع بالقول «يَنبَغي أنْ أمكُثَ اليومَ في بَيتِكَ» (لوقا١٩:٦). بالافتقاد يعطي المسيح كرامة للبيت، وعند دخول الكاهن البيت نقول "لست مستحقًا أن تدخل تحت سقف بيتي"، بينما عند مغادرته نقول: "اليوم حصل خلاص لأهل هذا البيت". وهذا البيت -بيت زكا- من بين منازل كثيرة دخلها المسيح ليعلّم، مثل بيت حماة سمعاة، وبيت سمعان الفريسي، وبيت عنيا، وبيت مار مرقس، والبيت الذي شفى فيه المفلوج المُدلّى من السقف، والبيت الذي قال فيه أمثال الملكوت... وفي الافتقاد ينقل الكاهن الكنيسة إلى البيت. لا تستهينوا بزيارة بيت فإنه يتحول إلى منصة وإلى منبر ومنارة لكل من يحضر. ومثلما كان تعبير السيد المسيح للمرأة الكنعانية «يا امرأةُ، عظيمٌ إيمانُكِ!» (متى١٥:٢٨) هو أعظم وسام يهبه لإنسان، كذلك كان دخوله لأي بيت أكبر تكريم له. وكانت النتيجة «اليومَ حَصَلَ خَلاصٌ لهذا البَيتِ» (لوقا١٩:٩).

٧- **خلاص البيت**: لم يخلص زكا فقط وإنما بيته أيضًا، هكذا يجلب الشخص على بيته الفخار أو الدمار، وقد بارك المسيح البيت، وبسبب أو بآخر قاد زكا بيته في هذا الطريق، وصار سبب بركة له. زيارة الرب هنا تختلف عن زيارة نيقوديموس له والذي أرادها سرية وخاصة (أتى ليلًا إلى يسوع).

٨- **زكا يرفع الحرج عن الضيف الغالي**: ما أن تذمر الفريسيين على دخول المسيح بيت العشار وهو بمرتبة الزناة والخطاة العتاة، حتى وقف زكا ليقدم توبة علنية مثل التي قدمتها الخاطئة أمام باب الكنيسة حين طلب منها الأب الأسقف دليلًا على تركها الخطية. وبينما كشف المسيح عن فكر سمعان الذي أدانه كنبي يقبل ملامسة خاطئة له (لوقا٧)، فإن زكا هنا يقوم بالدور

ذاته بعد أن لاحظ همهمة الضيوف وتذمرهم. لقد أعلن أنه سيهب نصف أمواله للفقراء، وأن يردّ لكل من سلبه أربعة أضعاف المسلوب، ولعله في ذلك يردّ لليهود الذين جمع منهم للرومان ظلمًا، كما أنه سيتصدق بنصف أمواله للفقراء. وهنا يعلن زكا عن مبدأ هام في التوبة، فإن رد المسلوب وإصلاح ما أفسدته الخطية، شرط للتوبة الكاملة وبالتالي للغفران: السارق يرد المسروق، والمسيء يقدم الاعتذار، ومن أفسد شيئا عليه إصلاحه... وهكذا كانت الزيارة لإعادة ترتيب الأوراق.

وأتساءل هنا: ماذا كان يمكن أن يفعل يسوع إذا لم يكن زكا قد بادر بالاعتذار وهذا العرض؟ هل كان الرب قد دافع عنه مثلما فعل لأجل المراة الخاطئة وتلك التي أُمسِكت في ذات الفعل وكذلك ساكبة الطيب؟ وأتذكر الآن كيف دافعت المرأة الكنعانية عن نفسها وعن ابنتها باحتجاجها لدى الرب نفسه!

٩- **لأن ابن الانسان جاء ليطلب ويخلّص ما قد هلك:** وليس المُهدَّدون بالهلاك... لا يشترط الخادم أن يكون الناس أبرياء محبّين، بل أن دوره أن يجعلهم هكذا. إذا كانوا خائفين عليه أن يشجعهم، وكسالى يجب أن يُنهض قلوبهم بالتذكر. السيد المسيح لم يأتِ ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة، لاحظوا أيضًا اهتمام الكتاب بالخطاة التائبين، أكثر من الحديث عن الأبرار الصالحين، فالسماء تفرح بالخاطئ التائب، وقصص التائبين بشطل عام مفرحة قوية ومعزية.

١٠- **هو أيضًا ابن إبراهيم:** يبدو هنا وكأن اليهود قد أنكروا على زكا الجنسية اليهودية، وهنا يؤكد الرب على يهوديته ليس باعتباره نسل إبراهيم بل

ابنه. وهناك فرق بين نسل إبراهيم بالجسد، وأبناء ابراهيم في الإيمان، وقد قال الرب ذلك أيضًا عن المرأة المنحنية «ابنة إبراهيم» (لوقا١٣:١٦). وقد أشار الرب كثيرًا إلى أن المهم هو إيمان إبراهيم وأعمال ابراهيم وليس مجرد النسب الجسدي، بل حذّر أن كثيرين سيأتون ويتكئون في حضنه بينما يُرذَل الذين يتشدّقون بأنهم أولاد إبراهيم، وهو ما أكد عليه السيد المسيح في (يوحنا ٨)، والقديس بولس في (رومية ٩)، عن أولاد إبراهيم الحقيقيين... هنا يعيد الرب إلى زكا رتبته وكرامته.

١١- **إن من يرفضه الناس يقبله الله**، ومن لا مكان له بين البشر حضن الله ينتظره، والخاطئ مستعد دائمًا للتخلي عن خطيته حالما وجد من يثق به ويقبله إليه. ولقد وجد زكا الكنز، ووجد اللؤلؤة الكثيرة الثمن، فباع كل شيء واشتراها.. ها هوذا المسيح في بيته، فماذا يطلب أكثر من هذا؟ لقد نظر في وجه المسيح فتضاءلت في عينيه كل مباهج وكنوز الدنيا، ولم تعد تعني له شيئًا، وهكذا شبع بالمسيح، والنفس الشبعانة تدوس الشهد.

١٢- **تقرأ الكنيسة هذا الفصل في باكر أحد الشعانين** لتضع هذه المقابلة بين دخول المسيح بيت زكا فحدث خلاص لأهل البيت، مثلما دخل أورشليم فحدث خلاص للبشرية جمعاء، وكان يسوع صاعدًا إلى أورشليم مثلما اتجه بنظره إلى زكا وهو فوق الشجرة.

١٣- **زكا في التقليد الكنسي**: قيل إنه صار اسمه متياس بعد أن تبع المسيح، وأنه صار بدلًا من يهوذا. بينما قال البعض إنه أصبح واحدًا من السبعين الذين أرسلهم المسيح، ثم صار أسقفا لقيصرية بالقرب من يافا. كما أصبحت "شجرة زكا" التي تقع في شارع عين السلطان وسط المدينة، وتقع

الشجرة ضمن أراضٍ وبساتين تملكها الحكومة الروسية في أريحا، صارت مقصدًا للعشرات من الحجاج الذين يأتون يوميًا ويقفون أمام الشجرة المُسيَّج حولها. وفي أريحا أيضًا يوجد ما أُعتُبِر قبر زكا العشار. ودير "مار زكا" الذي يشرف عليه الأقباط الأرثوذكس، ويعود تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، وأقيم الدير تكريمًا لذكرى حلول المسيح ضيفًا على زكا. وفي القرن الماضي قام المتنيحرالأنبا باسيليوس مطران القدس الأسبق، ببناء كنيسة على أطلال أخرى قديمة، ولاحقًا قام المتنيح الأنبا أبراهام مطران القدس السابق، بتطوير المكان وبناء قلالي للرهبان.

١٤- **زكا وقصار القامة:** يُحسَب الإنسان ويُقاس من كتفه فما فوق (١صموئيل٩:٢؛ ١٠:٢٣)، فالناس من كتفهم فما دون متشابهون، ولكن الاختلافات مصدرها ما هو أعلى الكتف. لا يمكنك من صورة الوجه فقط لإنسان أن تكتشف طوله أو حجمه أو أبعاد جسده، وإنما بإمكانك أن تفهم سنّه وبعضًا من ملامح شخصيته. لقد صار زكا شفيعًا لقصيري القامة، بل لقد نال زكا شهرة لم ينلها إلا القليلون. وعلى الرغم من قصر قامته، فهي لم تمنعه من أن يتفوق بشكل آخر. بل أنه مقارنةً بأولئك الذين أدانوه واستظهروا عليه، خرج مُبرَّرًا دونهم. والمهم ليس كيف تبدأ حياة إنسان، وإنما كيف تنتهي. وأتذكر الآن القديس يوحنا الموصوف بـ"القصير" وهو أب جبل شيهات، لقد كان قصير القامة، ولكنه استطاع أن يعلّق الإسقيط كله بإصبعه كما ورد في سيرته، ومع أنه كان قصير القامة، إلّا أنه كان عظيمًا.

لقد كان زكا "قصير القامة"، ولكنه لم يكن "قليل القامة"...

مريم ومرثا (لو١٠: ٣٨-٤٢)

وفيما هُم سائرونَ دَخَلَ قريةً، فقَبِلَتهُ امرأةٌ اسمُها مَرثا في بَيتِها. وكانتْ لهذِهِ أُختٌ تُدعَى مَريَمَ، الّتي جَلَسَتْ عِندَ قَدَمَيْ يَسوعَ وكانتْ تسمَعُ كلامَهُ. وأمّا مَرثا فكانتْ مُرتَبِكَةً في خِدمَةٍ كثيرَةٍ. فوَقَفَتْ وقالَتْ: «يا رَبُّ، أما تُبالي بأنَّ أُختي قد ترَكَتني أخدُمُ وحدي؟ فقُلْ لها أنْ تُعينَني!». فأجابَ يَسوعُ وقالَ لها: «مَرثا، مَرثا، أنتِ تهتَمّينَ وتَضطَرِبينَ لأجلِ أُمورٍ كثيرَةٍ، ولكن الحاجَةَ إلَى واحِدٍ. فاختارَتْ مَريَمُ النَّصيبَ الصّالِحَ الّذي لن يُنزَعَ مِنها». (لوقا ١٠:٣٨-٤٢)

بينما يُنسَب الانشغال والعمل الجسداني -في الغالب- إلى "مرثا"، فإن التلمذة والعمل الروحي والتكريس أعمال تُنسَب في المقابل إلى "مريم". ولكننا في الواقع نحتاج الى الاثنتين، نحتاج إلى نشاط مرثا بقلب مريم، وإلى محبة مريم بنشاط مرثا. ولنا هنا بعض الملاحظات بخصوص هذا الدرس الرائع الذي سلّمه الرب للكنيسة:

فكر مرثا + فكر مريم = حياة الخادم.
الجهاد + التأمل

١- بيت مرثا ومريم:

كان ذلك البيت وكأنه "بيت يسوع"، ويقع في قرية "بيت عنيا" القريبة من أورشليم «وكانتْ بَيتُ عنيا قريبَةً مِنْ أورُشَليمَ نَحوَ خَمسَ عَشرَةَ غَلوَةً» (يوحنا ١١:١٨). وبسبب كثرة تردُّد المسيح على البيت نُسِبت القرية إلى مريم

ومرثا: «وكانَ إنسانٌ مَريضًا وهو لعازَرُ، مِنْ بَيتِ عنيا مِنْ قريةِ مَريَمَ ومَرثا أُختِها» (يوحنا ١١:١). ويُذكَر كثيرًا كيف كان يسوع يستريح هناك ويبيت: «ثُمَّ تركَهُمْ وخرجَ خارِجَ المدينةِ إلَى بَيتِ عنيا وباتَ هناكَ» (متى ٢١:١٧؛ أنظر أيضًا: متى ٢٦:٦؛ ومرقس ١١:١١؛ ١٤:٣؛ ويوحنا ١٢:١).

ومرثا هي الأخت الكبرى وهي صاحبة البيت، إذ لا يرد ذكر للأم خلال المرات التي جاء فيها ذكر الأسرة، وبالتالي فقد كانت مرثا مسئولة عن استقبال الضيوف والاهتمام بهم، ولابد من الانتباه أنه لطالما أتى السيد المسيح ومعه بعض من محبيه، ثم يتوافد على البيت الكثيرون ممن سمعوا بوجوده، فنقرأ على سبيل المثال أنه بعد اقامة لعازر: «فعَلِمَ جَمعٌ كثيرٌ مِنَ اليَهودِ أنَّهُ هناكَ، فجاءوا ليس لأجلِ يَسوعَ فقط، بل ليَنظُروا أيضًا لعازَرَ الّذي أقامَهُ مِنَ الأمواتِ» (يوحنا ١٢:٩). وقد ظن البعض أن سمعان الابرص هو رب هذه الأسرة إذ ذُكِر ذات مرة: «بيت سمعان الأبرص» (متى ٢٦:٦؛ مرقس١٤:٣). بينما رأى البعض الآخر أن سمعان الأبرص –والذي شفاه المسيح من برصه– هو زوج مرثا.. غير أن الثابت أن مرثا هي الأكثر نشاطًا بين أفراد هذا البيت الشهير.

هناك بيوت عديدة دخلها السيد المسيح، بعض من هذه البيوت زارها بشكل مُحدَّد، مثل بيت زكا العشار الذي دعاه بمناسبة توبته: «فقالَ لهُ يَسوعُ: اليومَ حَصَلَ خَلاصٌ لهذا البَيتِ، إذ هو أيضًا ابنُ إبراهيمَ» (لوقا ١٩:٩)، وكذلك بيت لاوي بن حلفا: «وبَينَما هو مُتَّكِئٌ في البَيتِ، إذا عَشّارونَ وخُطاةٌ كثيرونَ قد جاءوا واتَّكأوا مع يَسوعَ وتلاميذِهِ» (متى ٩:١٠)، وبيت سمعان الفريسي ليتناول خبزًا وليرأس ندوة لاهوتية حضرها كثيرون من علماء اليهود

وأفراد الشعب، وبعض البيوت ليصنع أشفية وعجائب، وأحيانًا ليصنع شفاءً مثل شفاء حماة سمعان أو إقامة ابنة يايرس، ومرات من أجل التعليم حيث استخدم تلك البيوت كمنابر للتعليم، مثل البيت الذي قال فيه أمثاله الشهيرة (متى ١٣)، والبيت الذي شفى فيه المفلوج المُدلّى من السقف (مرقس ٢:٤)، وكذلك البيت الذي صنع فيه الفصح: «وقولا لرَبِّ البَيتِ: يقولُ لكَ المُعَلِّمُ: أين المَنزِلُ حَيثُ آكُلُ الفِصحَ مع تلاميذي؟» (لوقا ٢٢: ١١). وكانت الجموع تتقاطر عليه متى سمعوا به أنه في بيت: «ثُمَّ دَخَلَ كفرَناحومَ أيضًا بَعدَ أيّامٍ، فسُمِعَ أنَّهُ في بَيتٍ. ولِلوقتِ اجتَمَعَ كثيرونَ حتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ ولا ما حَوْلَ البابِ» (مَرقُسَ ٢:١-٢).

ونقرأ في التاريخ الكتابي والكنسي كيف استراح بعض الآباء والأنبياء إلى بيوت بعينها، مثل إيليا النبي «قُمِ اذهَبْ إلَى صِرفَةَ الّتي لصيدونَ وأقِمْ هناكَ. هوذا قد أمَرتُ هناكَ امرأةً أرمَلَةً أنْ تعولكَ» (١ملوك ١٧:٩)، وكذلك إليشع النبي (٢ملوك ٤). وبعض الآباء البطاركة استراحوا إلى بعض البيوت فدخلوها كثيرًا، مثل البابا مينا الثاني الـ٦١ (٩٥٦-٩٧٤م) والذي بسبب الضيقات التي حلّت به، وفد أقام بعد البطريركية في محلة دانيال ببلدة تيدا غربية، في ضيافة سيدة قبطية غنية تُدعَى دينة، وكان يدير الكنيسة من هناك، وذلك بسبب الاضطهاد حينذاك، وهناك دُفِن. وكذلك بعض الآباء المطارنة، والآباء الكهنة.

كل هؤلاء يفتقدون بيوتًا كثيرة ويحملون الإفخارستيا ومسحة المرضى إليها، ولكن تظل بعض البيوت ينظر الله إليها قائلًا: «هذِهِ هي راحَتي إلَى الأبدِ. ههنا أسكُنُ لأنّي اشتَهَيتُها» (مزمور ١٣٢:١٤)، ويُعرَف عنه أنه يستريح لذلك البيت.

مثل هذا المكان يستريح فيه الراعي، وفيه سرّه (وليس أسرار الشعب)، وكذلك أسرارهم معه. وكانت مثل تلك البيوت تتحول مع الوقت إلى كنائس، وإذا لم يتحول إلى كنيسة، فإن تلك البيوت التي بات فيها بعض الآباء أو أقاموا لعدة أيام أو كلما زاروا القرية، اعتاد اصحابها على غلقها طوال الوقت، وبعضهم احتفظ بها مغلقة بعد نياحة الأب ولم يستخدموها في أغراض أخرى، بل وضعوا فيها صورة له وكانت بمثابة مزار. وقد حدث في القديم عندما أوصى الرب الرسل: «وأقيموا في ذلكَ البَيتِ آكِلينَ وشارِبينَ مِمّا عِندَهُمْ، لأنَّ الفاعِلَ مُستَحِقٌّ أُجرَتَهُ. لا تنتَقِلوا مِنْ بَيتٍ إلَى بَيتٍ» (لوقا ١٠:٧)، وكان ذلك البيت الذي يقيمون فيه سيتحول إلى كنيسة.

ولكن كيف يقع اختيار الأب الأسقف أو الأب الكاهن على بيت لكي يكون موضع راحته، إنه لا يشترط أن يكون ذلك البيت بيتًا أرستقراطيًا، أو ذا اسم لامع، بل كانت بعض تلك البيوت لأناس فقراء، ولكن التقوى شرط هام، وكذلك كتم الأسرار، وعدم التدخل في شئون الكنيسة.

أتذكر أن راهبًا أُضطُرّ للمبيت في أحد المنازل في إحدى مدن الوجه البحري، بسبب تعطُّل سيارته وعدم إمكانية العودة إلى الدير، غير أنه لم يغمض له جفن طوال تلك الليلة، ولم يشعر بأيّة راحة حتى غادر المكان عند أول ضوء. وبهذه المناسبة يجب ألّا ننسى أن بيوتًا كثيرة قد يدخلها الأب الكاهن، ليخرج متألمًا مجروحًا، وكلما تذكر ذلك البيت شعر بالمرارة.

مرثا:

اعتدنا أن نلوم مرثا، وأن نعتبرها جسدانية، واعتبرناها في أفضل الأحوال: إنسانة طبيعية (أي كريمة، مضيافة، ودودة، لبقة)، ولكن المطلوب

أن تبقى إنسانة روحية. ليس عيبًا أن نرحب بضيف أو نهتم به، لكن المشكلة أن يشغلنا الكرم والإكرام عن الهدف الطبيعي.

هذا يحدث عندما تكون مجموعة من الخدام والخادمات لإخوة الرب يعملون بحب وباتضاع، وكلهم رغبة في البذل والعطاء، ولكن ما أن تمرّ عدة أشهر ربما حتى يتحول الخادم إلى شخص عصبي وعنيف وبخيل، وقد ينتهر الفقراء أو يؤذي مشاعرهم، وربما يشغله العمل مع إخوة الرب أو أخوات الرب عن الرب نفسه! فقد ينظّم يومًا لإخوة الرب ليشتركوا في صلاة القداس ويتناولون من الأسرار المقدسة، في حين لا يتناول هو، كان مشغولًا بالتنظيم وإعداد الطعام والبرنامج. وهذا يتكرّر أحيانًا مع المسئولين عن النظام في الكنيسة، فهو ينظم الكنيسة من أجل أن يجد الناس هدوءًا وراحة أثناء العبادة، بينما ذهنه هو نفسه صاخب ومشوَّش، لا يستمتع بالقداس. ويتكرّر الأمر مع خدام المرضى، بل ومع الخدام والخادمات العاديين.

ويحدث ربما مع لجان الكنائس، فإن الشخص الذي تم اختياره عضوًا في لجنة الكنيسة، يُفترَض فيه أنه أرخن فاضل وإنسان تقي وعابد، يجمع بين البُعد الروحي والبُعد الاجتماعي، اختاروه لكي يكون حلقة وصل بين الكنيسة كمؤسسة روحية وبين العالم كمؤسسة عادية أو مادية، وإذا جاز التعبير فهو يحسن التعامل مع الطرفين دون أن يُعثِر أهل العالم في الكنيسة، أو يسلك داخل الكنيسة بأسلوب أهل العالم. ولكنه لا يليق بأعضاء لجنة كنيسة ما، أن يتسامروا أثناء القداس أو يتناولوا الطعام والشراب في منظر معثر، أو يهتموا فقط بجمع المال، أو تكون علاقتهم سيئة بالناس، أو يطردوا الناس من الكنيسة، أو يعملوا بالوشاية أو النميمة. "**هذا لم تفعله مرثا**"، ولكنه يعمل في

بيت الرب ويعمل من أجل الرب، ولكن لا علاقة له إطلاقًا بالرب نفسه. وقد قيل: "مكثتَ سنوات هذا عددها تخدم بيت الرب، متى تخدم رب البيت؟"

ليس الخُدام فقط هم من يعانون من مثل هذه الأمراض، بل وحتى أفراد الشعب العاديين، قد يتواجدون داخل إطار الكنيسة بالجسد فقط ولهم اهتمامات أخرى، وفكرهم شارد في أمور أخرى، بل هناك من يدخل الكنيسة بغرض السرقة مثلًا، ألم يكن يهوذا الاسخريوطي بين تلاميذ المسيح ومؤتمنًا على صندوق التبرعات؟ ولكنه كان جاسوسًا وسارقًا وخائنًا «لأَنَّهُ كانَ سارِقًا، وكانَ الصُّندوقُ عِندَهُ، وكانَ يَحمِلُ ما يُلقَى فيهِ» (يوحنا ١٢:٦).

الطعام وألوانه:

رأى بعض الشراح أن مرثا صرفت وقتًا طويلًا في إعداد ألوان عديدة من الطعام إكرامًا للسيد المسيح فهو ضيف فوق العادة، وإن كان من عادات الناس عندنا في الشرق التعبير عن إكرام الضيف من خلال المائدة العامرة بكل طعام شهي، وأن قول الرب لها «الحاجة إلى واحد» كان يقصد بها نوعًا واحدًا أو طبقًا واحدًا من الطعام يكفي. وبغضّ النظر عمّا إذا كان هذا هو المقصود أم لا، فإنه ليس من اللائق أن ينشغل صاحب البيت عن ضيفه بإطعامه فقط، دون التمتع بالجلوس إليه والحديث معه. ففي المطاعم يهتم العاملون بتوفير الطعام للزبون بينما يُحرَّم عليهم الحديث معهم، وهكذا العكس صحيح.

روى لي أحد الآباء هذه الواقعة الطريفة والمؤسفة فقال: "ذهبت في زيارة إحدى الأسر وهناك رحّبوا بي كثيرًا، فقالت لي سيدة المنزل: ماذا تحب أن تشرب؟ فأجبتُ بتلقائية وأنا أتصفّح الإنجيل استعدادًا للقراءة والتأمل: أيّ شيء... ولكنها لم تقتنع، فعدّدت الأنواع الكثيرة لديهم من المشروبات، بعضها

تقليدي والآخر مستورد، فقلتُ بنفس التلقائية دون أن ألتفت: "كله كويس!" ولكنها أصرّت وأضافت أن "خير ربنا كتير"، وأن أيّ شيء يمكن أن تجده عندهم بوفرة، قالتها بطريقة وكأنها تسوّق لبضاعة، فاخترت القهوة لحسم الأمر والتحول إلى ما هو أهم. ولكنها عادت تسأل من جديد أسئلة مستفزة مثل: نوع الكوب وحجمه (ماج أم كوب) ثم كمية السكر ونوع السكر سبلندا أم عادي (وكله موجود وخير ربنا كتير!!)، ثم انتقلنا إلى اللبن أم الكريمر، وهل أحتاج أم لا، ثم النوع، وبعد ذلك عادت لتسأل عن نوع الكيك الذي أحبه مع القهوة، ثم أين أريد أن أحتسي القهوة هل في الصالون أم البلكون، وهكذا ضاع الوقت واُضطُرِرت للمغادرة بسبب ضيق الوقت. والعجيب هو أنني لم أجد الوقت للحديث الروحي معهم بل ولا حتى لتناول القهوة.. وهكذا بعدت عن الإكرام الحقيقي، فخرجتُ وأنا اردّد بصوت خفيض: «مَرْثَا، مَرْثَا، أَنْتِ تُهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ»."

والبعض الآخر يأخذون الزائر في جولة داخل المنزل، ويروون له عن الجدود، والأمجاد، وتظل السيدة تجري هنا وهناك، تفرش هنا وتنظف هناك وترتب المأكولات والمشروبات، وكل همّها أن تبدو أمام الأب الكاهن أنها بيت كرم. صحيح أنها صادقة وكريمة، ولكنها مهتمه بأن تكرمه، ويهمها كذلك أن تعرف كم درجة حصلت عليها في نهاية الزيارة، ويحاول الأب الكاهن مرارًا أن يلفت نظرهم دون جدوى..

حتى وإن كان بعض الكرم ضروريًا:

هل هناك ما يمنع ان يهتم الانسان بأمور الضيافة ولكن بشكل روحي؟ يصلّي وهو يطبخ، يصلي وهو يرتدي ثيابه... كان الرهبان –وما يزالون– يقرأون ويصلون أثناء العمل، بل وأثناء تناول الطعام ذاته، يطبخ وهو يصلي،

وهكذا وهو يزرع أو يخبز.. ولكنه ليس من المقبول ونحن نصلي في الاوقات الرسمية أن تنشغل بأيّ عمل آخر غير الصلاة، ومن ثَمّ نعاتب الذين يدخلون الكنيسة وفي فمهم لبان أو مع اطفالهم بعض المأكولات والمشروبات.

عند الذهاب إلى الكنيسة:

كثيرًا ما تكون المرأة مهتمة بأمور كثيرة، هل راضية عن شكلها في المرآة أم لا؟ الثياب.. الشعر.. الماكياج.. العطر.. وتقف طويلًا قدام المرآة، وتتركها لتعود إليها مرارًا، علّها ترضى عن مظهرها قبل مغادرة المنزل. وهذا يحدث أيضًا مع الرجال وإن كان بشكل أقل (فهناك بين الرجال مرثا أيضًا) والسؤال هنا: من ستقابلين في الكنيسة؟ لمن تهتمين بمظهرك؟ إن كان للناس فأنت تهتمين بما للناس، وإن كان للمسيح فهو يريد القلب النقي المستقيم. ومن المهم أن أذكر هنا أن كثيرين من الخارج يُعثَرون في المسيح والمسيحيين بسبب المبالغة في الاهتمام بالمظهر.

جاء عن الأب سلوانس بطور سيناء، أنه خرج ليسقي البستان وكان وجهُه مُغطىً، وما كان ينظر سوى أثرِ قدميه فقط، وفي ذلك الوقتِ أتى إليه أخٌ، زائرًا له، وكان يتأمل ماذا يصنع، في حين أن الشيخَ لم يكن يبصره. فلما جاء إليه الأخُ، قال له: «لماذا غطيتَ وجهَك يا أبي، وأنت تسقي البستانَ»؟ فقال له: «قلتُ لئلا تبصرَ عيني الشجرَ، فينشغل عقلي عن شغلِه».

شغلة الشاغل أنه يصلي، شغله أن يبقي في اتصال مستمر مع الله، وإذا توجّب عليه أن يشتغل؟ فلا مانع من أن يشتغل دون أن تنقطع هذه الصلة. وهل يجوز أن يكون وقت العمل أن يكون خبّازًا أو مزارعًا، ووقت الصلاة:

راهبًا ورجل الله، ووقت الأكل: رجلًا جسدانيًا، وهو على المذبح رجلًا روحانيًا؟ كلّا! وإنما يصلّي وفكره مرتبط مع الله في جميع الأحوال.

عندما كان راهب يزور آخر، كان التقليد المتبع أن يجلسا صامتيْن لمدة ساعة، يصليان سرًا قبل أن يتبادلا أطراف الحديث، فإذا حان الوقت للكلام: "جعلا يتحدثان في عجائب الله".. والأمران مرتبطان أحدهما بالآخر، اذ أن النتيجة الطبيعية للصلاه هي التحدث بعجائب الله.

تصوروا إنسانة تصلي وهي تطبخ، أو بجانبها تسجيل لعظة، فهي تود أن تربط فكرها بالله، ولا تضيّع وقتًا في إعداد الطعام فقط. هذا بالطبع بخلاف الذين يتركون القنوات القبطية مفتوحة طوال اليوم دون التركيز معها أو الالتفات إليها، ولا حتى مراعاة الضيوف متى جاءوا بإغلاقها، بل تصبح القنوات المفتوحة دائمًا: شكلًا من أشكال الديكور في البيت!!... ولكن السيدة الفاضلة وهي تعد الطعام: هي مرثا وهي تعمل... ولكن مرثا روحية.

ثم ونحن في الكنيسة:

هل نهتم أن نرضي الناس أم الآخرين؟ هل نجعل أعيننا وآذاننا نحو المذبح أم تدور فيما حولنا، أم نهتم أن نعطي درجات للآخرين في الكنيسة، الثياب وغيرها، وننكر على هذه وجودها وعلى تلك مظهرها وهكذا..؟ إن مريم ومرثا موجودتان في ذات الوقت في الكنيسة..

حتى الشمامسة:

قد يسلكون مثل مرثا حينما يتحركون كثيرًا –وربما في مهام خاصة بالقداس– ولكن دون تفاعل مع القداس، وربما ينام الشماس داخل الهيكل حتى موعد التناول، أو شماس مشغول بالشمع أو البخور أو المياه، وهكذا هو

موجود ليس بالكنيسة فقط بل في الهيكل ذاته، ولكنه مثل مرثا أيضًا!!! يضطرب ويهتم لأمور كثيرة...

«يَارَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي!»:

لا شك في أن الرب قد شكر مرثا على الطعام ومدح لها فيه، ولكنه عاتبها أنها اهتمت به أكثر من شخصه هو، ربما قال لها الرب: نعم ولكن لي عليكِ أنكِ مهتمة بهذا الأمر أكثر من اللازم، لكن مريم بالمقارنة اختارت النصيب الصالح. وربما تأسفت مريم لتذمُّر أختها، ولكن مرضاة الرب بالنسبة لها أهم بكثير من مرضاة شقيقتها. والحقيقة أنه لو لم تكن مرثا قد فعلت ذلك، لتوجّب على مريم القيام بهذا الواجب تجاه يسوع الصديق الحميم للأسرة. ولكن إن كان في طاقتنا عمل الاثنين فهذا عمل تام، مثل أن يوفِّق الابن الخادم بين الخدمة واحتياجات الأسرة، بين بيت الرب وبيته، حتى لا يعثر ذووه إذا قصّر في حقهم.

مرثا الزوجة:

هذا أحيانًا يحدث مع الزوجات اللائي يهتممن بطعام الزوج وملابسه وليس به شخصيًا، بالبيت ونظافته وديكوراته وتحفه ومنظرهم قدام الناس، بينما هو لا. بأناقتها ومظهرها قدام الناس ولكن ليس لأجله هو... بالأولاد ومظهرهم ودروسهم وطعامهم أكثر منه هو، وهم وإن كانوا أولاده أيضًا، إلّا أن إهماله يسبّب له الامتعاض من زوجته. وهكذا اهتمامها برأي الآخرين فيها وليس رأيه هو.

مريم بمرثا مُدِحت:

جاء في كتاب بستان الرهبان أنه زار أحدُ الإخوةِ الأب سلوانس في جبل سينا، فلما رأى الإخوةَ منكبِّين على العملِ، قال للشيخِ: «لا تعملوا للطعامِ البائد أيها الأب، لأن مريمَ اختارت لها الحظَّ الصالح». فقال الشيخُ لتلميذِه: «أعطِ الأخَ مصحفًا (أي إنجيلًا) وأدخله في قلايةٍ فارغةٍ». ففعل. فلما حانت ساعةُ الأكلِ بقي الأخُ منتظرًا على البابِ مترقبًا وصول من يسأله المجيء إلى المائدةِ. فلما لم يدعُهُ أحدٌ، نهض وجاء إلى الشيخِ وقال له: «أما أكل الإخوةُ اليوم يا أبانا»؟ فأجابه: «نعم». فقال له: «ولماذا لم تدعُني للأكلِ معهم»؟ فأجابه الشيخُ: «ذلك لأنك رجلٌ روحاني، لستَ في حاجةٍ إلى طعامٍ، وأما نحن فجسديون نحتاجُ إلى طعامٍ ولذلك نمارسُ الأعمالَ. أما أنت فقد اخترتَ النصيبَ الصالح، تقرأ النهارَ كلَّه، ولا تحتاج إلى أن تأكلَ طعامًا». فلما سمع الأخُ هذا الكلامِ خرَّ ساجدًا وقال: «اغفر لي يا أبانا». فأجابه الشيخُ: «لا شكَّ أن مريمَ تحتاجُ إلى مرثا، لأن مريمَ بمرثا مُدحت».

النصيب الصالح:

هذا هو عنوان مسيرة كل منّا، أنه خرج يطلب "النصيب الصالح"، وخرج يطلب الرب نفسه "يطلب وجه النور". هذا النصيب الصالح هو الذي دفع البعض إلى الرهبنة، والبعض الآخر إلى التكريس، ودفع البعض إلى قبول دعوة الكهنوت، والبعض إلى إعطاء الخدمة والكنيسة أكبر مساحة من الوقت. وهذا النصيب الصالح، هو الذي جعل البعض يخصِّصون أماكن داخل البيت للاختلاء بالله، وهو أيضًا الذي دفع البعض أن يجعل الأولوية لله في حياته، حتى لو كان متزوجًا وله أولاد واهتمامات متعددة، فهو يجعل الله: "أولًا ودائمًا".

أنتم الذين تقرأون هذا المقال من تختارون؟: النصيب الصالح، أم أمورًا حول الله نفسه، أم أمور العالم؟ هل أنت في مركز المسيح، أم بعيد عن المركز، أم على المحيط، أم خارج الدائرة؟ ربما اختار كثيرون النصيب الصالح، ولكن يجب الانتباه أن الشيطان يحاول خطف هذه الشهوة وهذه الرغبة داخل الكنيسة..

نحتاج إلى مريم ومرثا:

الذين يخدمون أحيانًا خدمات اعتبرها البعض بأنها "دور مرثا"، يليق بنا أن نقول لهم إننا نحتاج إلى موسى ويشوع، هذا يحارب وذاك يصلي، ونحتاج إلى الجندي الخفي، نحتاج إلى الركب المنحنية والأيدي العاملة. إن خدمة التعليم لها جناحين: الصلاة لأجل الخدام، وتدبير الاحتياجات العادية، مريم ومرثا...

ما تفعله مرثا نفعله نحن الآن، وما تفعله مريم نرجوه، لنفعل العمل الأول حسنًا، فننال الثاني كاملاً.

م. أغسطينوس

سِرّ الفرح في هذا العالم (لو١٢: ٢٢-٣٥)

«لا تخَفْ، أيُّها القَطيعُ الصَّغيرُ، لأنَّ أباكُمْ قد سُرَّ أنْ يُعطيَكُمُ الملكوتَ. بيعوا ما لكُمْ وأعطوا صَدَقَةً. اِعمَلوا لكُمْ أكياسًا لا تفنَى وكنزًا لا يَنفَدُ في السماواتِ ... لأنَّهُ حَيثُ يكونُ كنزُكُمْ هناكَ يكونُ قَلبُكُمْ أيضًا. لتكُنْ أحقاؤُكُمْ مُمَنطَقَةً وسُرُجُكُمْ موقَدَةً» (لوقا١٢:٣٢-٣٥)

لا تخَفْ:

عندما يقول الرب: "لا تخف" فالكلمة هي وعد صادق منه لأن الكلمة تَستمدّ قوتها من قائلها، وكل من يؤمن بالسيد المسيح، ويؤمن بالتالي بأقوال الله، عليه ألاّ يخاف، لأن الخوف سيكون بالتالي ضد الإيمان، ويكفي أن يقولها الرب مرة واحدة لنؤمن به، فالأمر لا يحتاج إلى أن تُقال ٣٦٥ مرة!

القَطيعُ الصَّغيرُ:

وقد وصف الربِ سامعيه بأنهم "القطيع الصغير" – حيث هو الراعي، وقد استخدم الله على مدار الكتاب كله هذه الصورة، أي صورة الراعي والخراف، لشرح طبيعة علاقته بنا، لِمَا يتميّز به الراعي من صفات وكذلك الرعية؛ فالراعي يحب الخراف، ويضمن لها قُوتها، ويدافع عنها، كما أنه يعرفها بأسمائها وظروفها، أما الخراف فهي في المقابل تتبع الراعي، تطيعه، تثق به، وتحبه. وأمّا من جهة أنه "صغير" فالكلمة في القبطية تأتي "كوجي kouji"

ولها معنيان: صغير في السن وقليل من جهة العدد، أي أننا معرفون جميعًا مهما كان عددنا، كما أننا محبوبون لأننا "صغارٌ مدلّلون".

أباكُمْ:

ثم يشير إلى أنه أبونا، وهو الذي بدأ بدعوتنا هكذا واتّخذنا بنين له: «إسرائيلُ ابني البِكرُ. فقُلتُ لكَ: أطلِقِ ابني ...» (خروج ٤:٢٢،٢٣)، كما طلب الينا: «مَتَى صَلَّيتُمْ فقولوا: أبانا...» (لوقا ١١: ٢)، وهي أغلى صفة في علاقته بنا، إنه إلهنا ومخلّصنا وربنا وسيدنا وخالقنا ومدبرنا ... الخ، ولكن يبقى دائمًا أن أعذب تلك الصفات أنه " «لأنَّ أباكُمْ يَعلَمُ ما تحتاجونَ إليهِ قَبلَ أنْ تسألوهُ» (متى ٦:٨).

سُرَّ أنْ يُعطيَكُمُ الملكوتَ:

فالملكوت هبة من الله ونحن نجاهد لكي نحتفظ بها، ومسرّة الله أن نكون معه في ملكوته: «... تأكُلوا وتشرَبوا علَى مائدَتي في ملكوتي» (لو ٢٢:٣٠)، فإن كل جهاد الإنسان لا يمكن أن يساوي الملكوت أو يكون ثمنًا له، مثل الأعمال لا يمكن أن تخلّص الإنسان ما لم تكن نتيجة الإيمان السليم بالمسيح المخلّص، لقد كان هناك بنون للملكوت ولكنه نُزِع منهم: «يأتونَ مِنَ المَشارِقِ والمَغارِبِ ويتَّكِئونَ مع إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السماواتِ، وأمّا بَنو الملكوتِ فيُطرَحونَ إلَى الظُّلمَةِ الخارِجيَّةِ» (متى ٨:١١-١٢). وأمّا ما قاله الرب عن أن «ملكوتُ السماواتِ يُغصَبُ» (متى ١١:١٢)، فالمقصود هو المحافظة علية ضد الخطايا والإغراء والإلحاد. وأمّا من جهة الفعل "سُرَّ" فهو يعني أن ذلك تمّ منذ الأزل وليس على أساس برٍّ سوف يفعله الإنسان لاحقًا،

وإنما في الزمان المحدَّد لمن يؤمن ويتمسّك بهذه العطيّة، وفي القديم تشفّع موسى النبي في الشعب لدى الله لكي يغفر له وإلاّ فليمحُ اسمه من سفر الحياة الذي كتبه (منذ الازل).

إذًا فعطية الملكوت هي سرّ زهدنا في العالم، وسرّ الشجاعة التي تملأ قلوبنا طاردة كل خوف وكل قلق، فليس هناك عطية أو مُلك أو كرامة أفضل منها (فالذي نقل أمواله إلى بنوك مضمونة لا يمكن أن يقلق من أيّة اضطرابات في بلده، أو ضعف للاقتصاد، فإن نصيبه مضمون).

بيعوا ما لكُمْ وأعطوا صَدَقَةً:

تعبير "مالنا" لا يُقصد به النقود بل ما نملكه. ولكن لماذا الربط بين الصدقة وعطية الملكوت؟ لأن الصدقة تعني عدم الارتباط بالماديات والأرض هنا؛ ولأنها في الخفاء، فالله يرى في الخفاء ويجازي علانية. حقيقي أن الملكوت ليس ثمنًا لما نقدّمه من أعمال المحبة، ولكن هذه تعكس اهتمام الشخص بما هو آتٍ، بعكس الغني الغبي – والذي وردت قصته قبل هذا الحديث (لوقا ١٢:١٦-٢١) – فهو معني بنفسه: "أنا" .. "أبني" .. "أقول لنفسي" ..الخ. هذا وقد ربط الرب في حديثه مع الناموسيين بين عمل الرحمة والنقاوة الداخلية: «أعطوا ما عِندَكُمْ صَدَقَةً، فهوذا كُلُّ شَيءٍ يكونُ نَقيًّا لكُمْ» (لوقا ١١:٤١)، ونعرف أنه «طوبَى للأنقياءِ القَلبِ، لأنَّهُمْ يُعايِنونَ اللهَ» (متى ٥:٨).

لأنَّهُ حَيثُ يكونُ كنزُكُمْ هناكَ يكونُ قَلبُكُمْ أيضًا:

إنه تنبيه لكل إنسان: أين يوجد قلبه؟ "أين هي قلوبكم؟" هل عند الرب (كما نجيب عادة على الكاهن في القداس)؟ إن القلب يوجد حيث يوجد

اهتمامنا: ربما عند البنك، أو عند الصوان (الدولاب)، أو عند بعض الأشخاص، أو الممتلكات، أو الأماكن؛ بعكس الشخص الذي عيناه تتطلّعان دائمًا نحو السماء جهة المشرق، أو الذي ثبّت نظره على الأبدية، لا شكّ إن مثل هذا الإنسان سيستخفّ بأمور هذا العالم، والتي أطلق عليها الآباء: "أباطيل العالم".

فلا تخف مهما خسرتَ هنا، لأن الله وهبنا الملكوت، وسنحيا معه كأولاد مع أبيهم المحب، فلنمنطق أحقاءنا، ونوقد سرجنا، وننتظره في شوق ولهفة.

طوبى للبطن الذي حملك (لو١١: ٢٧)

وفيما هو يتكلَّمُ بهذا، رَفَعَتِ امرأةٌ صوتَها مِنَ الجَمعِ وقالَتْ لهُ: «طوبَى للبَطنِ الّذي حَمَلكَ والثَّديَينِ اللَّذَينِ رَضِعتَهُما». (لوقا ١١:٢٧)

نقرأ كثيرًا في البشائر الأربعة أن **الشعب بُهت** من تعليم المسيح، أي تعجب كثيرًا، «فلَمّا سمِعَ تلاميذُهُ بُهِتوا جِدًّا» (متى ١٩:٢٥)، «فبُهِتوا بَهتًا عظيمًا» (مرقس ٥:٤٢)، «فسكَنَتِ الرّيحُ، فبُهِتوا وتَعَجَّبوا في أنفُسِهِمْ جِدًّا إلَى الغايَةِ» (مرقس ٦:٥١). وأُشير إلى هذه الدهشة ١٥ مرة في البشائر الأربعة. وبدأ هذا الانبهار بالسيد المسيح منذ كان صبيًا «وكُلُّ الّذينَ سمِعوهُ بُهِتوا مِنْ فهمِهِ وأجوِبَتِهِ» (لوقا ٢:٤٧)، وكانوا يعلّقون بكلمات من قبيل: «مِنْ أين لهذا هذِهِ الحِكمَةُ...؟» (متى ١٣: ٥٤)، أو «ما رأينا مِثلَ هذا قَطُّ!» (مرقس٢:-١٢)، أو «ألَعَلَّ هذا هو ابنُ داوُدَ؟» (متى ١٢:٢٣)... الخ.

أمّا هذه السيدة... وبعد أن انبهرت بتعليم السيد المسيح، عن استجابة الصلاة والسلطان على الأرواح النجسة وغيرها، لم تشعر بنفسها إلّا وأن هتفتْ تطوّب أمّه: «طوبَى للبَطنِ الّذي حَمَلكَ والثَّديَينِ اللَّذَينِ رَضِعتَهُما». وبالطبع لم تكن تعرف أن أمه هي العذراء مريم، والتي توصف بعشرات الصفات، وإليها تُنسَب العديد من الفضائل، ولكن تبقى أهمّ صفة وميزة لها أنها أم الله، مثلما أن أعظم صفة ليوحنا أنه المُعمّد، فجاءت كرامتها الحقيقية من كونها أمه ومثلها يوحنا...

ذكّرتني هذه السيدة بموقف حدث مع المتنيح البابا شنوده في زيارته لأستراليا، حيث جلست إحدى الصحفيات مشدوهة مبهورة من كلامه، حتى أنه أُغمِي عليها، وقد ظن البعض أنه لا علاقة للإغماءة بوجودها مع البابا، ولكنها صرّحت بنفسها في وسائل الإعلام إنها فقدت الوعي من شدة انبهارها! فكم بالحري من يجلس أمام السيد المسيح..

ولعل تلك السيدة تمنّت أن ترى هذه الأم، ولعل الجالسين تمنوا أن تكون جميع الأمهات على شاكلة تلك الأم. وكم من مرة نُعجَب بشخص بسبب أقواله وأعماله فنهتف في داخلنا: طوبى لوالديك، أو ليحفظ الرب والديك، أو تُرى من هذان العملاقان اللذان ربيا هذا الإنسان أو اللذان يُنسَب إليهما هذا الإنسان.. كم من مرة تمنيت أن تكون هذه أمك، وكم من مرة تمنيتِ أن يكون هذا ابنكِ.

المهم "المُخرَج النهائي" سواء في المباحثات أو التصنيع أو التربية، المنتج الذي سيخرج للمستهلك. ولذلك عندما قال الرب: «لِكَيْ يَرَوْا (أي الناس) أعمالكُمُ الحَسَنَةَ، ويُمَجِّدوا أباكُمُ الّذي في السماواتِ» (متى ٥:١٦)، لم يقل: يرون إنتاجكم الأدبي أو قصوركم فيحترمونكم، أو سياراتكم فينبهرون بكم؛ وإنما "أعمالكم" فيمجدون الله الذي وضع هذا في قلوبكم. فالآباء الكهنة والآباء الجسدانيون يعلّمون وينصحون، وأنتم تقرأون وتدرسون وتعلّمون، ولكن المخرج النهائي هو المحك والسلوك. ولذلك فإن الأم والأب بوعي شديد يُعدّون أبناءهم ليكونوا مثالًا يستحق الثناء.

إذًا عندما قالت السيدة هذه الكلمات، كانت تقصد أن تمتدح ايضا تلك السيدة التي يحيا معها هذا الإنسان، فهي محظوظة به تفتخر به، وليس المقصود فقط هو امتداحها لأنها ربّته حسنًا، بل لأنها شرفت بحمله ونسبته

إليها، أو بالأحرى نسبتها إليه. وهكذا فإنه وكما يُمتدَح شخص بسبب والدته فيُقال له: طوباك لأن هذه أمك، تُمتدَح امرأة بسبب ابنها فيُقال: طوباكِ لأن هذا الابن منسوبٌ لكِ.

إن كثيرًا من الأمهات يستحون من أولادهم وبناتهم، كما أن الكثير من الأبناء يستحون من آبائهم وأمهاتهم، وتقول إحداهن عن ابنها أو ابنتها إنها ماتت أو إنها ليس لها ابن بهذا الاسم.. في حين تتحدث أم عن ابنها في كل مجلس وفي كل مقام، أو يتحدث ابن عن أمه في كل مجلس، بل وهناك من يعلق صورهم على صدره حتى وهم أحياء. وأنا أتعجب، كيف يتبرّأ ابن من أبويه، وكيف لا يتشرّف بهما، وكيف لا يقدمهما في المجتمع لأصحابه، وكيف يستأجر أحدهم شخصًا ليحلّ محل والده أو والدته؟!!

ومع ذلك يجب أن يحسن الآباء والأمهات معاملة أولادهم، فالأم التي تحتمل أولادها في صغرهم وتحملهم، يحملونها في كبرهم ويحتملونها، لأن ما يزرعه الإنسان إيّاه يحصد. كما يحذّرون الوالدين بالأكثر إن كان ابنهما أديبًا أو شاعرًا، أي له القدرة على وصفهما أو هجوهما.

الثديين اللذين رضعتهما: لم تُرضِع السيدة العذراء ابنها اللبن الجسدي فقط، وإنما لقّنته الكثير من التعليم كطفل، مثل أي طفل يهودي، مع أنه الإله خالق الكل واللوغوس مصدر كل معرفة. وفي احتفالات الفصح كان من بين فقرات الطقس أن يسأل الابن اباه عن معنى ما يتم، فيستعرض له الأب تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر، وبشكل عام يسلمه الوصايا: «وقُصَّها علَى أولادِكَ، وتكَلَّمْ بها حينَ تجلِسُ في بَيتِكَ، وحينَ تمشي في الطريقِ، وحينَ تنامُ

وحينَ تقومُ» (تَثنيَة ٦:٧)، «أُذكُرْ أيّامَ القِدَمِ، وتأمَّلوا سِني دَوْرٍ فدَوْرٍ. إسألْ أباكَ فيُخبِرَكَ، وشُيوخَكَ فيقولوا لكَ» (تَثنيَة ٣٢:٧).

هذا فعلته يوكابد أم موسى النبي، فلم تكن مرضعة جسدية له وإنما كانت إشبينة ومعلمة له. ومن هنا فإن الأم تعيّنها الكنيسة يوم عماد ابنها كإشبينة أو معلمة له، تسلمه الإيمان والفضائل، وهو ما يمكن أن نسميه "الثدي الروحية" التي يرضع منها الأولاد، كذلك كانت أفنيكي ولوئيس أم تيموثاؤس الرسول وجدته: «إذ أتَذَكَّرُ الإيمانَ العَديمَ الرّياءِ الّذي فيكَ، الّذي سكَنَ أوَّلًا في جَدَّتِكَ لوئيسَ وأُمِّكَ أفنيكي، ولكني موقِنٌ أنَّهُ فيكَ أيضًا» (تيموثاوُسَ الثّانيةُ ١:٥).

وقد أُشير باللبن إلى التعليم في الصغر، فيرى القديس بولس أن البعض لا يحتملون طعام البالغين فيُعطى لهم اللبن «لأنَّكُمْ -إذْ كانَ يَنبَغي أنْ تكونوا مُعَلِّمينَ لسَبَبِ طول الزَّمانِ- تحتاجونَ أنْ يُعَلِّمَكُمْ أحَدٌ ما هي أركانُ بَداءَةِ أقوالِ اللهِ، وصِرتُمْ مُحتاجينَ إلَى اللَّبَنِ، لا إلَى طَعامٍ قَويٍّ» (عبرانيين ٥:١٢)، ويقول أيضًا: «لأنَّ كُلَّ مَنْ يتَناوَلُ اللَّبَنَ هو عَديمُ الخِبرَةِ في كلامِ البِرِّ لأنَّهُ طِفلٌ» (العِبرانيّينَ ٥:١٣)، وكذلك: «وكأطفالٍ مَوْلودينَ الآنَ، اشتَهوا اللَّبَنَ العَقليَّ العَديمَ الغِشِّ لكَيْ تنموا بهِ» (بُطرُسَ الأولَى ٢:٢). ويُقال في الأمثال إن فلانًا رضع التقوى مع اللبن، أو الفساد أو الجريمة مع اللبن. "فلنسبح نحن مع الأولاد أبناء العبرانيين، شاربي اللبن من ثديي أمهاتهم، الذين كانوا يمشون قدام المخلص يسوع المسيح" (طرح باكر أحد الشعانين).

هذه العبارة وحقيقة التجسد: استخدام تعبير الثدى واللبن والرضاعة، أحد الأدلة على أن التجسد كان حقيقيًا، وليس خياليًا كما علّم بعض الهراطقة، ومن هنا فإن أيقونة السيدة العذراء وهي ترضع ابنها هي أيقونة أساسية في

الطقس القبطي، فقد وُلِد من بطنها ورضع من ثدييها، وتربّى معها ومع يوسف في الناصرة "تجسد منكِ وظهر مولودًا كالبشرية. وأرضعتِه من ثدييكِ، الذي يعول كل الخليقة" (طرح واطس لعيد البشارة والميلاد والقيامة)، "طوباكِ أنتِ يا مريم العذراء، لأنكِ أرضعتِ من ثدييكِ الذي يعول الكل" (طرح واطس لعيد العذراء)، "الجالس على مركبة الشاروبيم، والسارافيم يمجدونه، حملتِه على ذراعيكِ. المعطي طعامًا لكل ذي جسد من قِبل رأفته، مسك ثدييكِ وأرضعتِه اللبن، لأنه هو إلهنا ومخلّص كل أحد" (ثيئوتوكية الجمعة). ولذلك توضع أيقونة السيدة العذراء على حامل الايقونات وهي تحمل السيد المسيح على شمالها، ومن بين الأيقونات الطقسية لها كذلك: أيقونتها وهي تضعه في حجرها، أو وهي ترضعه من صدرها.

«بل طوبَى للّذينَ يَسمَعونَ كلامَ اللهِ ويَحفَظونَهُ»: رأى بعض المشكّكين في قداسة العذراء ودوام بتوليتها، أن السيد المسيح بردّه هذا يقلّل من أمومة العذراء الجسدية ومن مكانتها، لأنه لم يؤمّن على كلام المرأة التي امتدحتها بل تجاهل مديحها، موجّهًا أن الذي يستحق المديح هو فقط من يعمل الوصايا! والحقيقة أن السيد المسيح، بينما أكرمت السيدة المتحدّثة أمه إكرامًا بشريًا، أكرمها هو إكرامًا إلهيًا، إذ أن تعبير «بل طوبَى للّذينَ يَسمَعونَ كلامَ اللهِ ويَحفَظونَهُ» جاء مديحًا في أمه مريم ذاتها، وكأنه -له المجد- يقول بل أنها تستحق الطوبى كذلك لأنها فعلت ما هو أعظم إذ آمنت بي ولم تشكّ واحتملت الكثير لأجلي «وأنتِ أيضًا يَجوزُ في نَفسِكِ سيفٌ» (لوقا ٢:٣٥). ومريم فعلت ذلك حين قيل عنها «كانتْ تحفَظُ جميعَ هذا الكلامِ مُتَفَكِّرَةً بهِ في قَلبِها» (لوقا٢:١٩)، كما جاء عنها «فطوبَى للّتي آمَنَتْ أنْ يتِمَّ ما قيلَ لها مِنْ قِبَلِ

الرَّبِّ» (لوقا ١:٤٥). كما أن تعبير "بل" لا يفيد الاعتراض هنا بل الإضافة، مثلما جاء في قصة المرأة الكنعانية والتي علّقت على قول الرب بأنه «ليس حَسَنًا أنْ يؤخَذَ خُبزُ البَنينَ ويُطرَحَ للكِلابِ»، بقولها: «نَعَمْ، يا سيِّدُ! والكِلابُ أيضًا تأكُلُ مِنَ الفُتاتِ الّذي يَسقُطُ مِنْ مائدَةِ أربابِها!» (متى ١٥:٢٦-٢٧).

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "إنَّ القدِّيسة مريم قد تزكَّت بالأكثر بهذه الكلمات، إذ حملته في نفسها كما حملته في جسدها"، ويقول القديس أغسطينوس: "اقترابها كأمٍّ لا يفيدُ مريم، لو لم تكن قد حملته في قلبها بطريقةٍ طوباويَّةٍ أكثر من حَملها إيّاه في جسدها".

ثم أليس هو القائل «أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ لكَيْ تطولَ أيّامُكَ علَى الأرضِ»؟ ولقد أكرمها في قانا الجليل وصنع المعجزة في العرس بشفاعتها، كما اهتم بها عند الصليب وسلمها ليوحنا، وجاء عنه في طفولته «ثُمَّ نَزَلَ معهُما وجاءَ إلَى النّاصِرَةِ وكانَ خاضِعًا لهُما» (لوقا ٢:٥١).

لماذا أُمتُدِحت الأم وليس الأب؟ هنا تأكيد على تجسد الله وأن له أمًا حقيقية جسدية، وأمّا يوسف فهو خطيبها ولم يتزوجها، لا قبل الميلاد ولا بعده. كذلك -ومن جهة أخرى- نُسِب أكثر رجال الله في العهد القديم إلى أمهاتهم «مَلَكَ يَهوآشُ. مَلَكَ أربَعينَ سنَةً في أورُشَليمَ، واسمُ أُمِّهِ ظَبيَةُ مِنْ بئرِ سبعٍ» (٢ملوك ١٢:١)، ليس فقط على سبيل التكريم للمرأة وإنما بسبب أن الشخص قد تكون له أكثر من زوجة، مثلما حدث مع إبراهيم، فكان إسحق ابن سارة، وليس هاجر، وغيره كثير. وحدث كثيرًا أن كانت الزوجة وثنية أو أممية مثل إيزابل وهي ابنة ملك الصيدونيين. وربما كان السبب هو التعريف بكيفية تربية الابن وميوله، فقد أساءت ايزابل وعثليا ابنتها كثيرًا إلى أزواجهن وأولادهن،

وجلبنا عليهم العار. وأمر ثالث وهو أن التربية تُنسَب للأم أكثر من الأب، لأن الطفل يكون لصيقًا بها أكثر، كما أن فرصتها في تعليمه وتسليمه تكون أكثر من الأب.

أخيـرًا...

انتبه فإن الأهل قد يُمتدَحون بسبب بِرّ أولادهم ونجاحهم، وقد يُساء إليهم أيضًا بسبب تطاولهم وفسادهم. أمّا أنت -كأب أو أم- فلا تجلب العار على ابنك، وأنت -كابن أو ابنة- فلا تجلب العار على أبويك، بل ليت كل من يقابلك يهتف رغمًا عنه «طوبَى للبَطنِ الّذي حَمَلَكَ والثَّديَينِ اللَّذَينِ رَضِعتَهُما»، ويقول يشوع بن سيراخ: «تَـذَكَّرْ أَبَـاكَ وَأُمَّـكَ إِذَا جَلَسْـتَ بَـيْنَ الْعُظَمَـاءِ» (سيراخ٢٣:١٨). وعندما يقول لكِ إنسان: "طوباكِ لأنكِ حملتِ وأرضعتِ فلانًا"، أجيبي باتضاع: «بل طوبَى للّذينَ يَسمَعونَ كلامَ اللهِ ويَحفَظونَهُ».

فتشوا الكتب (يو ٥: ٣٩، ٤٠)

«فتِّشوا الكُتُبَ لأنَّكُمْ تظنّونَ أنَّ لكُمْ فيها حياةً أبديَّةً. وهيَ الّتي تشهَدُ لـي. ولا تُريدونَ أنْ تـأتوا إلَـيَّ لتكونَ لكُمْ حياةٌ» (يوحَنا ٥:٣٩-٤٠)

بحسب اللغة، فإن "فتشوا" ليست فعل أمر بل هي خبر، أي "لأنكم تفتشون الكتب، فإنكم تجدون فيها حياة"، أو "أنتم تدرسون الكتب لأنكم تعتقدون أنها ستهديكم إلى الحياة الأبدية". ولكن الرب عاتبهم: "هذه الكتب تشهد لي، ولكنكم ترفضون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة". وهذا يذكرنا بقوله له المجد: «قد أعمَى عُيونَهُمْ، وأغلَظَ قُلوبَهُمْ، لـئَلّا يُبصِروا بعُيونِهِمْ، ويَشعُروا بقُلوبِهِمْ، ويَرجِعوا فأشفيَهُمْ» (يوحَنا ١٢:٤٠).

وهكذا فإن المسيح يلومهم هنا، فهم يَدَّعون الخبرة في الكتب المقدسة، ولكنهم بعد كل هذه السنين لم ينفتح ذهنهم على سر الحياة الأبدية الكائن في الأسفار، ليدركوا منها الأمور المختصة بالمسيح (لوقا ٢٤:٢٧)، هذا ما عاتب به تلميذي عمواس: «أيُّها الغَبيّانِ والبَطيئا القُلوبِ في الإيمانِ بجميعِ ما تكلَّمَ بهِ الأنبياءُ!» (لوقا ٢٤:٢٥). فالأسفار المقدسة هي استعلان للمسيح، وهي مملوءة نبوات عنه، في كل خطوة من خطوات حياته «وعِندَنا الكلِمَةُ النَّبَويَّةُ، وهي أثبَتُ، الّتي تفعَلونَ حَسَنًا إنِ انتَبَهتُمْ إليها، كما إلَى سِراجٍ مُنيرٍ في مَوْضِعٍ مُظلِمٍ، إلَى أنْ يَنفَجِرَ النَّهارُ، ويَطلَعَ كوكَبُ الصُّبحِ في قُلوبِكُمْ، عالِمينَ هذا أوَّلًا: أنَّ كُلَّ نُبوَّةِ الكِتابِ لَيسَتْ مِنْ تفسيرٍ خاصٍّ. لأنَّهُ لَمْ تأتِ نُبوَّةٌ قطُّ

بمَشيئَةِ إنسانٍ، بل تكلَّمَ أُناسُ اللهِ القِدّيسونَ مَسوقينَ مِنَ الرّوحِ القُدُسِ» (بُطرُسَ الثّانيَةُ ١:١٩-٢١)، «الخَلاصَ الّذي فتَّشَ وبَحَثَ عنهُ أنبياءُ، الّذينَ تنَبّأوا عن النِّعمَةِ الّتي لأجلِكُمْ، باحِثينَ أيُّ وقتٍ أو ما الوقتُ الّذي كانَ يَدِلُّ علَيهِ روحُ المَسيحِ الّذي فيهِمْ، إذ سبَقَ فشَهِدَ بالآلامِ الّتي للمَسيحِ، والأمجادِ الّتي بَعدَها» (بُطرُسَ الأولَى ١:١٠-١١).

هم كانوا يظنون أن فهمهم الحرفي للأسفار المقدسة سيعطيهم حياة أبدية، وكانوا يظنون أن مجرد حفظها أو تلاوتها سيعطيهم حياة أبدية، ولكنهم لو فهموها بعمق لاكتشفوا المسيح واهب الحياة الأبدية. لكنهم درسوها لمجرد المعرفة والتفاخر بما يعرفونه.

والتعبير "فتشوا" يعني الفحص الشديد المثابر للأسفار، ومن يفعل سيكتشف المسيح وسيعرفه ويؤمن به، ولذلك فإن أكثر ما يقوم بعمله كل من يرغب في معرفة المسيح هو القراءة الكثيرة المتأنية، أكثر من أيّة وسائل أخرى من مناقشات لاهوتية رغم أهميتها، لذلك فإن أول ما يُنصَح به الموعوظون هو قراءة الكتاب المقدس.

ومن الذين فتشوا الكتب ووجدوا فيها حياة هم "المجوس"، لقد تفوقوا على اليهود، ووجدوا السيد المسيح وسجدوا له وقدموا له هداياهم والتي فيها إشارات إلى أفعال المسيح الخلاصية، الذي تجسد لأجلها. لقد درسوا النبوات والتقليد وما ورثوه عن جدهم بلعام بن بعور.

أمّا اليهود فقد كانت الكتب بين أيديهم فانشغلوا بالمعرفة، بل وأرشدوا هيرودس إلى طلبه وأجابوا بدقة على تساؤلاته، وأمّا هم فقد اهتموا بتساؤلات أخرى، مثل أيّة وصية هي العظمى؟ وهل يجوز عمل الخير في السبوت؟

وهل يجوز لنا إعطاء الجزية للقيصر؟ وغيرها... لذلك قال لهم المسيح «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة» (يوحنا٥:٣٩). وهو ما يعني أولًا الاهتمام بالمعنى الروحي للنصوص وكذلك الفهم الصحيح. لقد انشغل داود بشخص الله فأحبه، فقال: «ذوقوا وانظُروا ما أطيَبَ الرَّبَّ!» (مزمور ٣٤:٨). يقول القديس بطرس عن الأنبياء الأبرار: «الخَلاصَ الّذي فتَّشَ وبَحَثَ عنهُ أنبياءُ، الّذينَ تنَبّأوا عن النِّعمَةِ الّتي لأجلِكُمْ» (بطرس الأولى ١:١٠).

وتعبير "الكتب" يُقصَد به الكتب المقدسة أو الكتاب المقدس بعهديه، «فدَخَلَ بولُسُ إليهِمْ حَسَبَ عادَتِهِ، وكانَ يُحاجُّهُمْ ثَلاثَةَ سُبوتٍ مِنَ الكُتُبِ... وكانَ هؤُلاءِ أشرَفَ مِنَ الّذينَ في تسالونيكي، فقَبِلوا الكلِمَةَ بكُلِّ نَشاطٍ فاحِصينَ الكُتُبَ كُلَّ يومٍ: هل هذِهِ الأُمورُ هكذا؟» (أعمالُ ١٧:٢،١١). وقد استخدم الرب يسوع هذا التعبير كثيرًا: «قالَ لهُمْ يَسوعُ: أما قَرأتُمْ قَطُّ في الكُتُبِ: الحَجَرُ الّذي رَفَضَهُ البَنّاؤونَ هو قد صارَ رأسَ الزّاويَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كانَ هذا وهو عَجيبٌ في أعيُنِنا!» (متى ٢١:٤٢)، «فأجابَ يَسوعُ وقالَ لهُمْ: «تضِلّونَ إذ لا تعرِفونَ الكُتُبَ ولا قوَّةَ اللهِ» (متى٢٢:٢٩)، وكذلك الآباء الرسل: «وَأَنَّكَ مُنْذُ ٱلطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ ٱلْكُتُبَ ٱلْمُقَدَّسَةَ، ٱلْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ، بِٱلإِيمَانِ ٱلَّذِي فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ. كُلُّ ٱلْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ ٱللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَٱلتَّأْدِيبِ ٱلَّذِي فِي ٱلْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ ٱللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (٢تيموثاوس ٣:١٥-١٧).

ماذا يعني تفتيش الكتب بالنسبة لنا؟

١- **الكتب هي مرجع لكل عقيدة وكل فكر**، وعقائد الكنيسة جميعها لابد لها من سند كتابي، ومن بين المعايير التي قبلت بها الكنيسة الأسفار القانونية

هو أن العقائد الموجودة في السفر تتفق مع بقية الأسفار من جهة إيمان الكنيسة المُسلَّم مرة للقديسين. كذلك كل من يقدم تفسيرًا يجب أن يكون لتفسيره سندًا من الأسفار المقدسة. لذلك كان الآباء يسهرون الليالي يفتشون في الكتب ليؤكدوا ويشرحوا الإيمان، وأحيانًا كان حرف واحد يغيّر المعنى، ومن ثَمّ كانوا متيقّظين جدًا للهراطقة.

٢- **كل حكمة نجدها في الكتاب المقدس**، ومن أراد أن يصير حكيمًا سيجد كلام الحكمة في الكتاب المقدس، بل أن هناك أسفارًا بالكامل تتحدث عن الحكمة مثل الأمثال والجامعة وحكمة سليمان ويشوع بن سيراخ وأيوب الصديق وغيرها. ويستطيع إنسان أن يخلص بحكمة أو مبدأ كتابي.

٣- **الكتب المقدسة هي مصدر كل تعزية**، يقول القديس بولس: «لأنَّ كُلَّ ما سبَقَ فكُتِبَ كُتِبَ لأجلِ تعليمِنا، حتَّى بالصَّبرِ والتَّعزيَةِ بما في الكُتُبِ يكونُ لنا رَجاءٌ» (روميَةَ ١٥:٤)، ليس فقط باعتبار أن كل ما هو مكتوب هو مكتوب لنا خصيصًا من الله، وإنما لأن مجرد القراءة في الكتب المقدسة تغسل وتطهر وتقدس. بل أن الأسفار المقدسة أُطلِق عليها وصف "الخبر السار" (ايڤ آنجيليون euaggelion)، وكم يمتلئ القلب بالتعزية بسبب تلك الأخبار السارة.

٤- **في الكتاب المقدس سنجد شخصيات كثيرة يمكن أن نقتدي بها،** وشخصيات أخرى يمكن أن نتعلم من أخطائها، ولنا في كل شخصية مرجع في اتجاهات متعددة، حتى في ضعفات الآباء والأنبياء تحذيرات لنا.. أيوب في الصبر، وداود في البر، ودانيال في الحكمة، ويوسف في العفة، ونحميا في العمل الجاد، وإيليا ويوحنا في الشجاعة. وفي الاتجاه الآخر: الشكاك مثل

توما، والمنكر مثل بطرس، والخائن مثل يهوذا، والطماع مثل حنانيا، والمقاوم مثل عليم الساحر واسكندر الحداد...

٥- **والتفتيش هو البحث عن الكنز الذي في الحقل**، وهو ما يعني ألّا تقرأ قراءة سطحية فقط، من أجل الضمير أو المعرفة العابرة، وكذلك ألّا تختار القراءة بشكل عشوائي سواء آيات أو مقاطع، ولكن فتش أو اقرأ بتمعُّن وتأمُّل، وابحث عن الكنز المخبوء داخل الحقل الذي هو الكتاب المقدس، الكنز الذي باع التاجر كل ماله واشتراه، ومن هنا فإننا نفتش عن المسيح بين السطور، نلتقي معه ونشبع به.

٦- **لقد تعجبت كيف كان الآباء يبحثون عن الآيات ويربطونها ببعضها البعض**، رغم عدم وجود نظام بحث وبرامج كتاب مقدس كتلك التي بين أيدينا الآن. ومن الذين فتشوا الكتب الذين ترجموا ونسخوا وبحثوا في أصول الكلمات والمصطلحات، ومن أمثالهم ممن فتشوا الكتب العلّامة أوريجانس أمير شُرّاح الكتاب المقدس، والعلّامة جيروم صاحب الترجمة الكاملة للأسفار المقدسة إلى اللاتينية، والمعروفة بالفولجاتا أو الشعبية، والقديس إبيفانيوس والذي كتب كتابه المشهور "دواء كل الهرطقات"، والذي كتب فيه ردودًا من الكتاب المقدس على جميع الهرطقات، وغيرهم من الآباء المدافعين.

٧- **إن التفتيش في الكتب يبيّن لنا بوضوح أن المسيح هو المسيا المنتظر**، والذي تحدثت عنه النبوات والرموز، وأشارت إليه كثير من الشخصيات الكتابية. ليس ذلك فحسب وإنما كل ما فعله المسيح في تجسده هو مكتوب في الكتب، وقد قام السيد المسيح بشرح ذلك لتلميذي عمواس: «ثُمَّ ابتَدأَ مِنْ موسَى ومِنْ جميعِ الأنبياءِ يُفَسِّرُ لهُما الأُمورَ المُختَصَّةَ بهِ في جميعِ

الكُتُبِ... فقالَ بَعضُهُما لبَعضٍ: «ألَمْ يَكُنْ قَلبُنا مُلتَهِبًا فينا إذ كانَ يُكلِّمُنا في الطريقِ ويوضِحُ لنا الكُتُبَ؟»... حينَئذٍ فتحَ ذِهنَهُمْ ليَفهَموا الكُتُبَ» (لوقا ٢٤:٢٧، ٣٢، ٤٥). ويقول القديس بولس: «فإنَّني سلَّمتُ إلَيكُمْ في الأوَّلِ ما قَبِلتُهُ أنا أيضًا: أنَّ المَسيحَ ماتَ مِنْ أجلِ خطايانا حَسَبَ الكُتُبِ، وأنَّهُ دُفِنَ، وأنَّهُ قامَ في اليومِ الثّالِثِ حَسَبَ الكُتُبِ» (كورنثوس الأولى ١٥:٣-٤)، وقال كذلك: «الّذي سبَقَ فوَعَدَ بهِ بأنبيائهِ في الكُتُبِ المُقَدَّسَةِ» (رومية ١:٢)، ونقرأ عن أبلوس السكندري: «ثُمَّ أقبَلَ إلَى أفَسُسَ يَهوديٌّ اسمُهُ أبُلّوسُ، إسكَندَريُّ الجِنسِ، رَجُلٌ فصيحٌ مُقتَدِرٌ في الكُتُبِ. لأنَّهُ كانَ باشتِدادٍ يُفحِمُ اليَهودَ جَهرًا، مُبَيِّنًا بالكُتُبِ أنَّ يَسوعَ هو المَسيحُ» (أعمال ١٨:٢٤-٢٨).

٨- **ومن ثَمّ فالذين ينكرون الإيمان نعاتبهم بأن افتحوا الكتاب وفتشوه بتدقيق**، لأن عدم التفتيش أو القراءة بدقة يمكن أن تكون سببًا في ضلال البعض وهلاكهم، وهذا ما أشار اليه الرب يسوع حين عاتب الصدوقيين: «فأجابَ يَسوعُ وقالَ لهُمْ: «أليس لهذا تضِلّونَ، إذ لا تعرِفونَ الكُتُبَ ولا قوَّةَ اللهِ؟» (مَرقُسَ ١٢:٢٤).

٩- **والقديس الأنبا أنطونيوس يقول: "في كل أمر تعمله ليكن لك شاهد من الكتب المقدسة**"، وأتذكر أن القديس أوغريس كتب كتابًا حول محاربة الأفكار، وذلك من خلال الأسفار المقدسة، إذ جعل من الآيات ردودًا على كل فكر، وهذا يحتاج إلى تفتيش الكتب. بل أن الرب يسوع نفسه أفحم الشيطان من خلال الردود بآيات: «مكتوب: ليس بالخبز وحده... مكتوب: للرب إلهك تسجد... مكتوب أيضًا: لا تجرب الرب الهك..».

١٠- من ثَمّ فإننا نعتب على الخدام والخادمات الذين توقفوا عن التفتيش في الكتاب المقدس، واكتفوا بالقشور والتحضير السريع والمقالات المنشورة على صفحات الإنترنت، والآيات المتفرقة هنا وهناك، واجتزاء الفقرات، والتفسير المبتور الذي لا يراعي السياق، فالسياق والاهتمام به هو شكل من اشكال التفتيش في الكتب.

١١- الفرق بين الرقمي والعقارب: في النظام الرقمي للساعة أو أيّة قراءات ديجيتال، فإنه بإمكانك أن تعرف الوقت أو الحالة منفصلًا تمامًا عن السابق واللاحق، ولكن العقارب تضع الزمن الحالي بين الزمنين السابق والتالي (الأزمنة الثلاثة معًا أو المشهد مكتملًا)، هكذا القراءة المختارة أو المستقلة، بعيدًا عن السياق وغير مكتملة المعنى وربما مبتورة الخ. وهي كذلك تمثل فكرة السبحة والـ puzzle، البازل يضمن تكامل الكل واشتراكه في تكوين الصورة، وأمّا السبحة فهي تجمع الكل في خيط واحد، ولكن تظل كل حبة مستقلة عن الأخرى، وهو أمر أيضًا ضد فكرة التفتيش في الكتب.

في ذات الفعل (يو ٨: ١-١١)

هذه القصة من أكثر القصص التي أتحفنا بها القديس يوحنا، لتبثّ الرجاء في كل شخص زنا بأي مستوى وفي أي مرحلة من حياته، سواء عُرِفت خطيته أولم تُعرَف، وكثيرون يتمنّون أن يصل الأمر إلى الله وستُحَل المشكلة، وهذا هوالفرق بين الناس والله؛ لقد فسّر البعض معنى أن «الحرف يقتل» بأن الناموس يقضي بقتلها بحجر...

+ + +

كان كل واحد قد ذهب إلي بيته، أمّا السيد المسيح فقد مضى كعادته إلى الجبل، وفي الصباح الباكر حضر يسوع إلى الهيكل، وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم، وذلك في بعض الساحات التي كان مسموحًا فيها أن يجتمع المعلم مع تلاميذه، بدليل أن الفريسيين أدخلوا المرأة إلى هناك مع كونها خاطئة...

وكان بالأمس يعلّم في نفس المكان وكان عيد المظال، وكانت الساحة اسمها "الخزانة" أو "ساحة النساء"، وملحق بها "حجرة السكون" التي يجمعون فيها التبرعات، وفيها الشمعدانات الأربعة التي توقد في عيد المظال. كما كان هذا المكان مواجهًا لمجلس السنهدريم، ولذلك فإنه أثناء المحاكمة قال لهم: كل يوم كنت أعلم في الهيكل ولم أقل شيئًا في الخفاء (راجع متى ٢٦: ٥٥؛ مرقس ١٤: ٤٩).

قدموا إليه امرأه أُمسِكت في ذات الفعل، والواضح أنهم أرادوا لا أن ينتصروا للناموس، ولكن أن ينصبوا له فخًا مزدوجًا... وكانت العادة أن تُرفَع

القضايا الكبيرة إلى المعلم؛ والذين كانوا يشتمونه بالأمس يقولون له الآن: يا معلم!!

الفخ الأول: هو إن سامحها يكسر بذلك الناموس ويشجّع الانحراف؛ وأما **الفخ الثاني:** إن أمر بقتلها أظهروا قسوته للكل، وتعدّيه على قيصر «فقالَ لهُمْ بيلاطُسُ: "خُذوهُ أنتُمْ واحكُموا علَيهِ حَسَبَ ناموسِكُمْ". فقالَ لهُ اليَهودُ: "لا يَجوزُ لنا أنْ نَقتُلَ أحَدًا"» (يوحنا ١٨:٣١).

+ + +

قالوا له: هذه المرأة أُمسِكت وهي تزني في ذات الفعل (حالة تلبّس). ونحن نتعجب: أين الحياء؟!.. مثلما فعل الكثير من القديسين عندما تواروا أمام الشر، والبعض أدار ظهره، والبعض اعتذر ومضي... منعهم الحياء من التحدّث في مثل تلك الأمور... مثلما فعل أبناء نوح، والقديس مقار الكبير عندما جلس على الماجور ليستر كلًّا من الخاطئ والخاطئة... وكذلك بعض القديسين مثل الأنبا أبرآم والأنبا صرابامون أبو طرحة اللذين لم يكونا يعرفان الفرق بين الفتاة والزوجة، وغيرهم يستحون من معرفة بعض الأمور ولا يريدون الإسهاب فيها، فيقاطع المتكلم: فهمت ولا داعي للتفاصيل...

ونحن أيضا نرجو ألا تسهبوا في التفاصيل عندما تعرض مشكلة من هذا النوع، بل يمكن أن تقول: "لا أريد أن ألوّث ذهنك.."، واكتفِ بالقليل. يقولون إن من أعظم الفضائل ألّا تقول كلمتين إن كان الإمر يكفيه كلمة.

شكّك البعض في القصة وأصالتها لعدم وجودها في بعض المخطوطات، ولكن هذا لا ينفي أصالتها، فقد ذكرتها الدسقولية وعلّقت بأنه يجب على الأسقف أن يكون رحيمًا؛ وذكرها يوسابيوس نقلاً عن بابياس الذي سمعها من

الرسل أنفسهم. ويفسّر القديس أغسطينوس اختفائها من بعض المخطوطات لئلا يجعل منها البعض مبرّرًا للزنى.

+ + +

لم يكن قصد الفريسيين خيرًا بل شرًّا، فهم يسعون للقضاء لا للرحمة، للهلاك لا للخلاص، متعطّشون للدماء لا للستر. هم أدانوها بسبب خطيتها الظاهرة، ولم يخجلوا هم من خطاياهم التي حرصوا على إخفائها. ولكن الله هنا يفضحهم... لقد جاءوا ليصطادوه، لا ليستفتوه... وإن كانوا يستترون خلف الناموس: «وموسَى في النّاموسِ أوصانا أنَّ مِثلَ هذِهِ تُرجَمُ. فماذا تقولُ أنتَ؟» (يوحنا ٨:٥).

هنا سيقوم السيد المسيح بدور القاضي والمحامي معًا، لُيظهر عطف الله أمام قساوة الناس، ليس كمحامٍ فقط ولكن كمخلص وفادٍ سيموت عنها، لأن نفسًا بنفس!!!

ولكن إن كانوا يتمسكون حقًا بأحكام الناموس، فإذا كانت المرأة قد أُمسِكت في ذات الفعل فأين الرجل؟ ولماذا التفرقة والناموس يأمر بقتل الاثنين!! «وإذا زَنَى رَجُلٌ مع امرأةٍ، فإذا زَنَى مع امرأةِ قريبِهِ، فإنَّهُ يُقتَلُ الزّاني والزّانيَةُ» (لاويين ٢٠: ١٠).

هذا يفجّر أيضًا قضية هامة وهي التفريق بين الرجل والمرأة في الخطايا والأخطاء، فلماذا يغفر المجتمع للرجل ويلتمس له العذر؟ ولماذا لا تخاف الأم على ابنها مثلما تخاف على ابنتها؟ المهم الآن هو أن ندرك أن الله لا يفرق بين خطية هذا وتلك، بل يتحدث الكتاب عن النفس بشكل عام.

«إذا وُجِدَ رَجُلٌ مُضطَجِعًا مع امرأةٍ زَوْجَةِ بَعلٍ، يُقتَلُ الاثنانِ: الرَّجُلُ المُضطَجِعُ مع المَرأةِ، والمَرأةُ. فتنزِعُ الشَّرَّ مِنْ إسرائيلَ.

«إذا كانتْ فتاةٌ عَذراءُ مَخطوبَةً لرَجُلٍ، فوَجَدَها رَجُلٌ في المدينةِ واضطَجَعَ معها، فأخرِجوهُما كِلَيهِما إلَى بابِ تِلكَ المدينةِ وارجُموهُما بالحِجارَةِ حتَّى يَموتا. الفَتاةُ مِنْ أجلِ أنَّها لَمْ تصرُخْ في المدينةِ، والرَّجُلُ مِنْ أجلِ أنَّهُ أذَلَّ امرأةَ صاحِبِهِ. فتنزِعُ الشَّرَّ مِنْ وسَطِكَ. ولكن إنْ وجَدَ الرَّجُلُ الفَتاةَ المَخطوبَةَ في الحَقلِ وأمسَكَها الرَّجُلُ واضطَجَعَ معها، يَموتُ الرَّجُلُ الّذي اضطَجَعَ معها وحدَهُ. وأمّا الفَتاةُ فلا تفعَلْ بها شَيئًا. ليس علَى الفَتاةِ خَطيَّةٌ للموتِ، بل كما يَقومُ رَجُلٌ علَى صاحِبِهِ ويَقتُلُهُ قَتلًا. هكذا هذا الأمرُ. إنَّهُ في الحَقلِ وجَدَها، فصَرَخَتِ الفَتاةُ المَخطوبَةُ فلَمْ يَكُنْ مَنْ يُخَلِّصُها.

«إذا وجَدَ رَجُلٌ فتاةً عَذراءَ غَيرَ مَخطوبَةٍ، فأمسَكَها واضطَجَعَ معها، فوُجِدا. يُعطي الرَّجُلُ الّذي اضطَجَعَ معها لأبي الفَتاةِ خَمسينَ مِنَ الفِضَّةِ، وتَكونُ هي لهُ زَوْجَةً مِنْ أجلِ أنَّهُ قد أذَلَّها. لا يَقدِرُ أنْ يُطَلِّقَها كُلَّ أيّامِهِ.

«لا يتَّخِذْ رَجُلٌ امرأةَ أبيهِ، ولا يَكشِفْ ذَيلَ أبيهِ.» (تثنية ٢٢:٢٢-٣٠).

\+ + +

فلسفة السيد المسيح:

اعتاد السيد المسيح أن يستخدم طريقة الرد على السؤال بسؤال، فخرج السيد المسيح عن الدائرة وبدأ يتكلم في اتجاه آخر... «وأمّا يَسوعُ فانحَنَى إلَى أسفَلُ وكانَ يَكتُبُ بإصبِعِهِ علَى الأرضِ» (يوحنا ٨:٦): هل انحني خجلًا وألمًا وحسرة على الخطاة وعلى القساة معًا؟ أم انحني يكتب وكأنه لم يسمعهم؟!! إنها المرة الوحيده التي كتب فيها المسيح!! أم كان يكتب خطاياهم

كما يرى البعض؟ أم رافق السؤال الاستنكاري (من منكم...) بالكتابة لترك الفرصة لفحص النفس! ربما كانت الكتابة على الأرض نوعًا من كسب الوقت، أو فرصة لتهدأ النفوس وتحدث المواجهة. ولكن إرميا النبي يقول: «الحائدونَ عَنِّي في التُّرابِ يُكتَبونَ» (إرميا ١٧:١٣).

+ + +

المسيح لا يشجع على الخطية:

إن المبدأ الذي يرسيه السيد المسيح هنا هو أنه: «لا يحق لإنسان أن يدين سواه، لا سيما إذا كان هو أسير نفس الداء... لا تدينوا لكي لا تدانوا... بالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم...»، لم يقل السيد إنها لم تخطئ، ولكن تكلم عن شيء آخر، فهو ديّان الكل... ولم يقل إن الناموس لا يعاقبها... ولكن وماذا عنكم أنتم؟!... مثلما يشكو موظف من زميله الفاسد فيعاتبه المدير بأنه فاسد أيضًا وأحرى به أن يتوب، أو خادم يشكو من آخرين وهو واقع في نفس الخطأ.

+ + +

ولَمّا استَمَرّوا يَسألونَهُ، انتَصَبَ وقالَ لهُمْ: «مَنْ كانَ مِنكُمْ بلا خَطيَّةٍ فليَرمِها أوَّلًا بحَجَرٍ!» (يوحنا ٨:٧)، لقد زادوا في إلحاحهم فقرّر أن يواجههم، لم يلغِ ناموس موسى (فهوالذي جاء ليكمل الناموس ليصيّره ناموس الكمال، بل قال السيد ما معناه: «من ينطق بالحكم وينفّذ الحكم يلزمه أن يكون لم يأتِ الخطية، وإلّا فإنه مستوجب الموت...»، إذًا معني الكلمة «مَنْ كانَ مِنكُمْ بلا

خَطِيَّةٍ فليَرمِها أوَّلًا بحَجَرٍ!»: أن الدينونة من حق الله الذي بلا خطية وحده! كما يعني ذلك أيضًا تنفيذ ناموس موسى... فهو يحترمه، أي أنه لا مانع من التطبيق، ولكن ليقم بذلك الذي بلا خطية!!

وصار القول مثلًا: يقال في كل مرة يُستَهدَف فيها مسكين من أدعياء الحق وحماة القانون: «مَنْ كانَ مِنكُمْ بلا خَطيَّةٍ فليَرمِها أوَّلًا بحَجَرٍ!»، وصار استخدامه شائعًا بين جميع الناس وليس المسيحيين فقط.

وأمّا هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحدًا فواحدًا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين، فالشيوخ هم الذين فهموا السيد المسيح جيدًا وكان الكلام موجَّهًا إليهم بشكل خاص... ولولا أن السيد المسيح فاحص القلوب والكلى ويعرف خطاياهم وأفكارهم، لولا أنهم خجلوا وانصرفوا، وربما خشوا أن يفضح خطاياهم أمام الآخرين ولا سيما المرأة، أمّا الشباب الذين تشجّعوا بالشيوخ فقد لحقوا بهم يجرّون أذيال الخجل. وبقي يسوع وحده والمرأة في الوسط.

يقول القديس أنبا بيمن: "أيها العفيف لا تدن الزاني، لأن الذي قال: لا تزنِ، قال أيضًا: لا تدن، فإن أنت لم تزنِ ولكن أدنتَ فقد صرتَ مخالفًا للناموس". وهي مقتبسة من رسالة القديس يعقوب: «لأنَّ الّذي قالَ: لا تزنِ، قالَ أيضًا: لا تقتُلْ. فإنْ لَمْ تزنِ ولكن قتَلتَ، فقد صِرتَ مُتَعَدّيًا النّاموسَ» (يعقوب ٢:١١).

+ + +

أسقط في يد الله لأن مراحمه كثيرة:

ثم يسألها السيد المسيح: «أين هُم أولئكَ المُشتكون علَيكِ؟» (يو٨: ١٠).

يقول القديس أغسطينوس في ذلك: "بقي اثنان: المرأة التعسة، والرحمة المتجسدة"، وهكذا خسر الشيوخ القضية، وكانوا قد توقّعوا فريستين: المسيح والمرأة الخاطئة، فإذا هم الفريسة، وأصبح السيد المسيح هو وحده القادر على الحكم على الخطاة، فهو الذي بلا خطية وحده، والقادر على مغفرة الخطايا... لذلك يقول داود النبي: «أسقُطُ في يَدِ الرَّبِّ لأنَّ مَراحِمَهُ كثيرَةٌ، ولا أسقُطُ في يَدِ إنسانٍ» (١أخبار ٢١: ١٣).

أراد السيد المسيح أن يقول لها إن الفرصة الآن مهيَّأة لمحاسبة النفس ومواجهتها، قال القديس أنبا مقار: "على نفسك احكم يا أخي قبل أن يحكموا عليك لأن الحكم لله وحده"، ويوجّه إليها السيد هذا السؤال:

أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟:

أي أن الأمر الآن يخصّك بالدرجة الأولى، بغضّ النظر عمّا إذا كان هناك من يدينكِ أم لا. فقد لا يديننا الناس، وقد لا نُعاقَب على خطايانا مباشرة، ولكن علينا ألّا نغفر لأنفسنا، وإلّا فهناك دينونة أعظم تنتظرنا هناك...

أيتها المرأة: لم يدنك أحد ولكن ليتك تتبصّرين في الأمر، مثل لص أمسكه الناس محاولين قتله أو تسليمه للشرطة، وجاء من دافع عنه وخلّصه من أيديهم، ثم أوصاه من ثَمّ بأن يكفّ عن السرقة ويقدم توبة، لا شكّ أن اللص سيتأثّر كثيرًا، لا سيما لأجل خاطر الذي أنقذه...

والحقيقة أن السيد المسيح دفع الثمن ليس بدلًا من هذه الزانية فقط بل وكل الزناة والخطاة، وصُلِب عن خطايا العالم كله... ليخلص كل العالم... لم يقل لهم: لا تعاقبوها، ولكن لستم مفوَّضين لمعاقبتها، أمّا الناموس فإني أنتصر له وأكمّله... وسوف أموت أنا عن الكل....

ولا أنا أدينك:

لأن المسيح لم يأتِ ليدين العالم بل ليخلص العالم، مع أنه صاحب الحق في ذلك!! كما قصد السيد المسيح أنه لن يُصدِر عليها حكمًا نهائيًا الآن، وبالتالي فأمامها فرصة لتتخلّى عن خطاياها... إنه لن يدين هنا، ولكنه سيدين هناك... إذًا اذهبي وكوني أهلًا للثقة التي أعطيتُك إياها...

اذهبي ولا تخطئي أيضًا:

إنه رجاء، يترجّاها ألّا تخطئ أيضًا!! يدعوها إلى التوبة، يقولها المسيح بنفسه، إذًا فهي دعوة مُحمَّلة بقوة إلهية... إن المعترضين – اخذوا النصف الأول «ولا أنا أدينك»، بينما تجاهلوا النصف الثاني «ولا تخطئي أيضًا».

+ + +

في هذه القضية المتشعّبة: أدان المسيح الخطية وخلّص الخاطئ... لقد برّر المرأة، وأدان المشتكين، وأعطى الناموس قدره، وأرسى قواعد ناموس الكمال والنعمة. وهكذا ترك الرب...

السؤال الهامّ الآن: هل نسعى لخلاص نفس شخص أم إهلاكه؟

فهرس الكتاب

	صفحة
الباب الأول: تعليقات على بعض أمثال السيد المسيح	
مقدمة	٧
زَمَّرنا لكم فلم ترقصُوا...	١٠
مَثل الزارع	١٤
الزرع الجيد وَالزوان	١٧
ثلاث عشرة ملاحظة عَلى مَثل العذارى	٢٤
إسهرُوا إذًا...	٢٧
الوزنات	٢٨
أيّهَا الطبيب إشفِ نَفسك	٣٦
السَامِري الصَّالح الحنون	٤١
فلسَفة اللجاجة في الصَّلاة	٥٠
مَثلُ الغني الغبي	٥٣
حسابُ النفقَة	٥٩
الدرهم المفقوُد	٦٦
الابن الضَال وَالأبَ الحنون	٧٢

الغنِي وَلعازر ٧٦

الباب الثاني: تعليقات على بعض معجزات السيد المسيح

المفلوج المُدَلىَ مِن السقف ٨٦

العَشرة البُرص ٩٤

المخَلَّع ١٠٢

المولود أعمَى ١٠٩

شِفاء الأعرج ١١٥

الباب الثالث: تعليقات على بعض حوارات ولقاءات السيد المسيح

التَطويبات ١٢١

الشابُ الغني (الوَصيَة بَين التنظير وَالتطبيق) ١٢٣

سَمْعَان الشيخ ١٢٧

زَكّا العَشّار (قصيرُ القامَة صَار عَظيم القامة) ١٣٠

مَريم وَمَرثا ١٣٧

سِرّ الفرح في هذا العَالم ١٤٩

طوُبَى للبطن الذي حَملك ١٥٣

فتشوُا الكتب ١٦٠

في ذات الفِعل ١٦٧

... إنها سياحة مع الرب يسوع وهو يجول يصنع خيرًا...

جاء يكرز ويشفي ويصحّح المفاهيم، وأكثر من ذلك أنه قدّم نفسه مثالًا ونموذجًا يحتذي به البشر «لأنِّي أعطَيتُكُمْ مِثالًا، حتّى كما صَنَعتُ أنا بكُمْ تصنَعونَ أنتُمْ أيضًا» (يوحَنا ١٣: ١٥)، «تارِكًا لنا مِثالًا لكَيْ تتَّبِعوا خُطواتِهِ» (١بطرس٢: ٢١). إنه المعلم الصالح، والإله القوي، والفادي المخلّص، وهو محب البشر.